



مطبوعات كتابي  
الترجمة الكاملة والأمانة لشوامخ الكتب العالمية

# الملك بلزاك

(ألف ليلة وليلة الفرنسية)

للأديب الفرنسي الخالد: "أونوري بيزاك"







اوتونوڊى بلزالك

# لئالى بلزالك

(ألف ليلة وليلة الفرنسية)




LES CONTES DROLATIQUES





مطبوعات  
**كنايت**

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية  
يصدرها : حلمى مراد

خمسار الكتاب  
  
عنيح الفكر عند الإغريق

الكتاب الرابع والثلاثون

**ليالى بلزاك**

ترجمة : زكى شنوده المحامى

الإدارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة  
تليفون ٥٩٥٥٦ -



## مجموعة كتابي

### ( الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية )

صدر منها حتى الآن واحد وسبعون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد اول كل شهر .. وتطلب من ادارة كتابي : ١٤ شارع ٢٦ يوليو ( فؤاد سابقا ) بالقاهرة ( عمارة الجندول ) ، وثمان كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجرة البريد المسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمانه عشرون قرشا والاعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا . اما الاعداد الستة الاولى والعدد العشرون فقد نفذت ، والادارة مستعدة لشراؤها .

• الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : في مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفي العراق وسورية ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازي ١٤٠ قرشا مصريا وفي الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة اجر البريد المسجل ، وفي ألمانيا ١٦٠ قرشا بخلاف اجر البريد الجوي

• ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : في مصر والسودان بالبريد عادي ، وفي الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة او تحويلات عليه .

واذا تقرر فترسل كويونات دولية فئة ٤٠ مليما على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها في مصر ، علما بان الكويونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

## مطبوعات كتابي

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الابيض ، الخالدون ، الخاطنة ، حياة امرأة ( جزءان ) الخطيئة الاولى ، اوديب ، مدام بوفاري ، ( جزءان ) ، عاشقات في الخريف ، قلوب ضالة ، ديكامرون ، الظمأ للحب ، جين اير (ثلاثة اجزاء) ، فانتات الرجال ، رجال ونساء ، النار للوطن ، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل ، الابن الضال ، اسرار الجاسوسية ، بيللا دونا (ثلاثة اجزاء) بوشكين ، جان جاك روسو ، قصص من الصين ، ليالي بلزالك .. وثمان النسخة من كل عدد عشرة قروش فيما عدا الاعداد : ١ و ٤ و ٧ و ١٩ و ٢٢ فثمان النسخة عربون قرشا ، والاعداد : ١٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ اثنا عشر قرشا ، و ٢ و ٥ و ٦ ثمانية قروش ، ويضاف الى هذا السعر قرشان مقابل اجر البريد المسجل



# القصص التي سعى بها « بلزاك » الى المجد

عزيزى القارئ ..

♦ احسبك تتوق الى معرفة قصة تأليف هذه « القصص المأجنة » - التي يصح أن تسمى بحق « ليالى بلزاك » ! - قبل أن تستمتع بمطالعتها .. اذن فاليك هي :

**(( اذا لم تكونى قد أحببت حكايات ((لافونتين)) ، أوقصص ((بوكاشيو)) ، فخليق بك أن لا تقرئى ((القصص المأجنة)) ، وان كانت هي وسيلتى الكبرى الى الشهرة المرجوة فى المستقبل ))!** بهذه الكلمات - التى كتبها « انوريه دى بلزاك » ، الى صديقه مدام « هانسكا » - نستطيع ان نلمس النظرة التى كان الكاتب الفرنسى الكبير ينظر بها الى هذه المجموعة من قصصه : « وسيلتى الكبرى الى الشهرة المرجوة فى المستقبل » ! .. هكذا كان اعتداد « بلزاك » بهذه المجموعة . وقد اثبت التاريخ انه لم يكن مغاليا فى هذا الاعتداد ، فان « القصص المأجنة » و « الكوميديا الانسانية » و « الأب جوريو » كانت الأعمال الادبية الثلاثة التى خللت اسم « بلزاك » فى دنيا الادب .

والواقع أن هذا الكاتب الفحل كان قد ختم « مرحلة القلب » من حياته الادبية ، عندما شرع فى كتابة « القصص المأجنة » .. و « مرحلة القلب » تلك هي المرحلة التى ضمت الفترتين الاولىين من حياته الادبية : الفترة التى بدأت فى سنة ١٨٢٩ ، عندما نشر اسمه الحقيقى - لأول مرة - على احدى قصصه .. والفترة التى سبقتها ، والتى نشر فيها « بلزاك » كثيرا من القصص الغريبة والمثيرة والفاضة ، تحت أسماء منتحلة ، كان أشهرها : « هوراس دى سانتوبان » و « لورد رون » ! واذن ، فقد كانت « القصص المأجنة » بداية « مرحلة



الاستقرار» في حياة أديب روائي أنتج قبلها كثيرا من القصص، ولكنه لم يجرؤ على أن يضع اسمه الحقيقي عليها . فإذا رأيناه - بعد ذلك - يخرج عن تواريه وراء الاسماء الادبية التي كان ينتحلها ، لينسب انتاجه الى اسمه الحقيقي ، فمعنى ذلك انه كان قد بدأ - عندما أقدم على ذلك في سنة ١٨٢٩ - يطمئن الى رسوخ قدميه في ميدان القصة . . وكان في تلك الاثناء قد شرع في كتابة «القصص المأجنة» ليجعل منها التحفة الرائعة التي يرقى بها الى الشهرة التي كان يصبو اليها !

\*\*\*

• وليس هذا مجال الحديث عن سيرة «بلزاك» وتاريخ حياته ، (فتلك ناحية وفاها «كتابي» حقها في العدد ٢٤) . . وإنما أقصر الحديث هنا على هذه المجموعة القصصية بالذات ، التي أعدها «بلزاك» ليصل بها الى تخليد اسمه في تاريخ الادب العالمي ، كما خلد «بوكاشيو» الايطالي اسمه من قبل بقصص «ديكاميرون» . ويبدو ان «بلزاك» كان يترسم بالفعل - وهو يكتبها - خطى «بوكاشيو» الذي حاول جاهدا أن يمنح الادب الغربي أثرا خالدا مشابها للتحفة الشرقية التي تمثلت في «الف ليلة وليلة» ، على نحو ما أوضحنا في الدراسة التي قدمت بها للمجموعة الاولى من قصص «ديكاميرون» التي صدر بها العدد ١٣ من «مطبوعات كتابي»

وليس من التجنى في شيء ، القول بأن «بلزاك» في «لياليه» - ٢٠ «قصصه المأجنة» - كان يترسم خطى «بوكاشيو» : فلقد جعل «بوكاشيو» تحفته «ديكاميرون» مؤلفة من مائة قصة ، قسمها على عشر ليال . . وكذلك نجد أن المجموعة الاولى من «قصص مأجنة» - التي نشرت في سنة ١٨٣٢ - مؤلفة من عشر قصص ، وقد ظهرت تحت عنوان : «القصص المأجنة المائة» . . ثم ظهرت المجموعة الثانية في سبسننة



١٨٣٣ ، وكانت هي الاخرى تتألف من عشر قصص . . واعقبتها مجموعة ثالثة - في سنة ١٨٣٧ - وكانت بدورها تتألف من عشر قصص ، وقد اعلن فيها «بلزاك» عن مجموعة رابعة ، وعد بأن تتألف هي الاخرى من عشر قصص . . على أن هذه المجموعة الرابعة لم يقدر لها ان تكتب - رغم انه ذكر في اعلانه عناوين قصصها ! - والظاهر انه لم يستطع المضي فيها ، لسبب من الاسباب ، فعدل عن اكمالها الى مائة ، واكتفى بالثلاثين التي نشرت ، لانه لم يلبث ان جمعها معا في مجلد واحد ، في سنة ١٨٥٣ . . وفي هذه المرة اكتفى باسم « القصص المأجنة » ، واسقط كلمة «المائة» !

\*\*\*

♦ **على أن «بلزاك»** كان أكثر جموحا من «بوكاشيو» ، في انتهاجه اساليب الادب المكشوف في هذه القصص ، وقد كان هذا مصدر عناء ومشقة لي في «اختيار» المجموعة التي أقدمها اليك منها في هذا الكتاب : فقد حرصت - من جهة - على تأدية الرسالة التي آليت على نفسي القيام بها ، عن طريق ترجمة التحف الشامخة لدى الشعوب الاخرى ، الى لغتنا العربية ، لكنني حرصت - في الوقت نفسه - على مراعاة آداب مجتمعنا العربي وتقاليدهم ، ومن ثم جمعت لك من قصص «بلزاك» الثلاثين ، هذه المجموعة التي تعطيك نموذجا صادقا وافيا للكتاب كله ، ولكنها - في الوقت ذاته - لا تضم القصص التي أغرق «بلزاك» فيها في «المجون» ، حتى أوشك أن يوحى إلى بعض النقاد بأنه إنما ابتغى من ورائها الاثارة الرخيصة .

والواقع أننا قد نلتمس عذرا لبلزاك في ذلك الاغراق ، اذا عرفنا أنه ارتد في قصصه هذه الى الجو المكشوف ، الماجن ، المرح ، الذي كان يسود فرنسا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . . وقد نلتمس له عذرا - كذلك - اذا تذكرنا



ان روح رواة القصة القدامى من ابناء (الغال) - اجساد  
الفرنسيين - ونعنى بها روح التحرر المكشوف ، تظهر بين الحين  
والحين فى كتابات أدباء فرنسا فى مختلف الاجيال . وقد ظهرت  
هذه الروح خلال القرن التاسع عشر ، فى انتاج اكثر من أديب  
فرنسى : ظهرت فى «جامياني» لألفريد دى موسيه ، وفى «بنات  
عم زوجة الكولونيل» لموباسان . . وحوكم من اجلها «جوستاف  
فلوبير» عندما كتب « مدام بوفارى » ، ( على ما أوضحناه  
فى مقدمة الترجمة العربية التى واقتك بها «مطبوعات كتابى»  
فى عديها التاسع والعاشر )

**واذن ، فإن «بلزاك» - عندما عكف على كتابة (( القصص  
الماجنة )) - كان متأثرا بطابع تقليدى عريق فى ادب بلاده ، ففى  
عنقوان الحركة (( الرومانتيكية )) التى سيطرت على الادب  
الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، تذكر «بلزاك» مرح وعبث  
القرون الوسطى ، واتجه الى الاهداف التى طالما استهوت  
الاجيال السالفة من مواطنيه ، فنسج قصصه حول الزوجات  
الخائنات ، والازواج الغافلين ، والرهبان الغاوين ، والفتيان  
والفتيات الذين تستهويهم المغامرات الغرامية . . واضفى على  
هذا النسج لونا من الفكاهة الاصيلية فى نفوس أبناء (تورين) !  
على أن «بلزاك» لم يفرق فى المجون الى الدرجة التى نسي  
معها الادب العاطفى الرفيع . . بل ان مجموعته حوت تحفا من  
هذا اللون وتحفا من ذاك ، وتحفا ضمت النوعين معا . . وهذا  
ماساعدنى على ان اجمع لك هذه الباقية ، التى تمثّل روح  
«بلزاك» اصدق تمثيل ، كما تمثل أسلوبه الشعري، ودراساته  
العميقة للنفس البشرية . .**

وبعد هذه اللمحات السريعة ، أتركك لتحكم بنفسك على  
القصص التى اخترتها لك  
والله ولى التوفيق

حلمى مراد





أخوان في السلام!



♦ في بداية حكم الملك هنري الثاني - الذي كان مغرما جدا بالجميلة ديانا - كانت ثمة عادة متوارثة ، وان كانت ممارسها قد ضعفت - في ذلك الحين - ثم اختفت الآن اختفاء تاما ، مثلها في ذلك مثل كل العادات الجميلة التي كانت سائدة في العهود القديمة ! .. وكانت هذه العادة البديعة ، المنظوية على أنبل المشاعر ، هي أن يقوم كل فارس من الفرسان باختيار زميل من زملائه ليكون أخا له في السلاح .. وذلك بعد أن يختبر كل منهما الآخر ويتأكد من إخلاصه وشهامته . فإذا أطمأن كل من الرجلين الى صاحبه عقد بينهما رباط يربطهما لمدى الحياة .. ومن ثم يصبح كل منهما أخا للآخر . يدافع عنه في القتال ضد الأعداء الذين يهدونه ، ويدفع عنه في البلاط افتراء الأصدقاء الذين يفتابونه .. فإذا اتهمه أي إنسان - وراء ظهره - بالخيانة أو الحماقة أو الإجرام أو الإثم ، يادر أخوه الحميم الى رد التهمة عنه ، قائلا للمفتري : « لقد كذبت بكلماتك التي أخرجتها من حلقك ! » ..

وهكذا كان كل منهما يذهب الى ميدان القتال ، واثقا كل الثقة من شرف أخيه وأقامته على عهده .. ولا داعي لان نضيف أن كلا منهما كان عليه على الدوام أن يؤيد الآخر في كل الأمور - خيرا وشرها - وأن يشاطر الآخر كذلك في الخير وفي الشر .. فكانا - بذلك - أفضل من الأخوين الطبيعيين اللذين لم تجمع بينهما الا مصادفة الميلاد من أم واحدة ، ولم تربط بين قلبيهما الا عاطفة قاهرة لا تصدر الا عن اذعان لحكم صلة الرحم .. وبذلك كانت تلك العادة النبيلة مصدرا لأسمى المشاعر التي تماثل - فيما تنطوي عليه من شرف وشهامة - أخلاق قدماء الإغريق والرومان ، وغيرهم من الشعوب .. الا



أن هذا ليس موضوعنا ، فقد سجل مؤرخو بلادنا هذه الأمور ،  
فألم بها كل انسان

\*\*\*

• ولقد حدث في تلك الأيام أن سيدين من شباب (تورين) — هما العنيد « مايه » ، والسيد لافالير — اختار كل منهما الآخر أخا له في السلاح ، وكان ذلك في ذات اليوم الذي حصل فيه على مهمـاز الفرسان ، وبمجرد أن غادرا منزل السيد « مونتورنسي » ، حيث كانا قد تثقفا بما لذلك القائد العظيم من آراء ثمينة ، وبرهنا على مقدار تأثرهما بصحبته الطيبة ، حين خاضا معا معركة ( رافينا ) ، وابديا فيها من الشهامة ما استحقا من أجله الثناء من أكبر الفرسان سنا في ذلك الزمان . . ففي معـمان تلك الموقعة العنيفة ، أنقذ « لافالير » حياة « مايه » . وقد استبان لهذا الأخير مقدار ما ينطوى عليه قلب منقذه من بسالة ونبل . . واذ كان كل منهما قد أصيب بجراح أثناء القتال ، فقد دشنا تأخيهاا بدمائهما ، وأجريت مراسيم ارتباطهما ، وتشاطرا فراشا واحدا تحت خيمة قائدهما السيد مونتورنسي . . حسب التقاليد ! •

ولعله من الضروري أن نخبرك — ايها القارئ العزيز — بأن السيد « مايه » ، كان على عكس المعروف عن عائلته من جمال الطلعة . . كان صاحب وجه لا يسر الناظرين ، ولم يكن يتصف بأي جمال ، اللهم الا جمال الشيطان . . أما فيما عدا ذلك فقد كان مرن الجسم — ككلب الصيد الأغبر — عريض المنكبين ، متين البنية كالملك « بيبين » ، الذي كان مقاتلا مخيفا . .

أما السيد « لافالير » ، فقد كان شخصا ظريفا ، أنيقا ، يبدو أن من أجله ابتدعت الأشرطة الفاخرة ، والجوارب الحريرية ، والأحذية المزرة . . وكانت خصلات شعره الطويلة الفاحمة ، تحكى في جمالها صفائر شعر النساء . وباختصار . .



كان كالطفل الذى يروق لجميع النساء أن يلعبن معه ! .. حتى  
لقد قالت الحسناء « دوفين » ، بنت أخ البابا - ذات يوم -  
للملكة نافار ، التى لم تكن تكره مثل هذه المزح الصغيرة : « ان  
هذا الوصيف يلبس لكل الأوجاع ! » .. مما دفع بحمرة  
الخجل الى محيا الفتى التورينى الجميل الصغير . فقد فهم  
هذه الملاحظة ، على انها تعبير ، اذ انه لم يكن قمد تجاوز  
السادسة عشرة اذ ذاك !

وعندما عاد السيد «مايه» من ايطاليا ، وجد خف الزواج  
جاهزا لقدمه .. فان أمه كانت قد حصلت عليه - من أجله -  
ممثلا فى شخص الأنسة «دانيبو» .. التى كانت عذراء لطيفة  
الشمائل ، ذات شكل جميل ، وكانت مجهزة بكل شيء ..  
فقد كانت تملك قصرا بديعا فى شارع ( باربيت ) ، ذا أثاث  
فاخر ، ولوحات ايطالية .. كما كانت ترتقبها ممتلكات واسعة،  
سوف ترثها ..



• ولقد حدث عقب وفاة الملك « فرانسيس » ببضعة أيام  
وكانت وفاته فى ظرف أوقع الرعب والبليلة فى قلب كل انسان ،  
اذ مات جلالته على اثر اصابته ب « داء نابولى » وهو ذلك  
المرض الخبيث الناشئ عن الحب .. حدث فى ذلك الظرف ،  
أن اضطر السيد «مايه» - السابق الذكر - الى أن يفسادر  
البلاط ، كي ينجز مهمة خاصة ، ذات أهمية كبرى ، فى مدينة  
( بيد مونت )

وثق - ايها القارى العزيز - من ان السيد « مايه » ، كان  
متألما كل الألم ، ومهموما كل الهم ، لأن يترك زوجته الوفية -  
وهى بكل هذا الشبيب ، وكل هذا الظرف ، وكل هذه  
الرشاقة - فى وسط الأخطار ، والاغراءات ، والشراك ،  
والمصائد ، والمكائد ، والأحابيل ، التى كان يموج بها ذلك



المجتمع الرفيع الذى ضم اشخاصا كثيرين جدا ، من ذوى الجمال والفتنة والجسارة ، وكلهم مولعون بالنساء ، يشتهونهن كما يشتهون فخذ الخنزير المحمر الذى يقدم فى محلات ( باسكال ) !

وبسبب هذه الفيرة الشديدة ، أصبح السيد (( مايه )) فى حالة يرثى لها من البلبلة والاضطراب . . الا أنه بقوة التفكير المتواصل ، وقع على فكرة رائعة يطمئن بها على زوجته ، بطريقة جديدة بالذكر . . فسرعان ما استدعى اليه أخاه فى السلاح - السيد العزيز (( لافالير )) - لى يوافيه فى صبيحة يوم رحيله . . وما ان سمع فى فجر ذلك اليوم حوافر جواد صديقه فى فناء الدار ، حتى قفز سريعا من فراشه ، تاركا نصفه الحلو غارقا فى ذلك النوم اللطيف الملىء بالاحلام ، المثقل بالنعاس ، الذى تغرم به السيدات الناعمات . . وخلف ستائر النافذة صافح كل من الصديقين الوفيين أخاه فى حرارة واخلاص . وبأدر (( لافالير )) صاحبه بقوله :

- كان يجب أن أسارع الى اجابة دعوتك منذ أمس . . الا اننى كنت مرتبطا بمقابلة غرامية مع حبيبتي ، التى كانت قد ضربت لى موعدا . . ولم أستطع - بأى حال - أن أتخلف عن موافاتها فى ميعادها ، غير أننى غادرتها عند الفجر ، وها أنذا ألبى نداءك . . فهل تريدنى على أن أرافقك ؟ . . لقد أخبرتها بعزمك على الرحيل ، وقد وعدتني أن تظل بغير حب ، الى حين عودتي ، وقطعنا بذلك عهدا فيما بيننا . . فاذا هى خدعتني ، فلا بأس . . فان الصديق أفضل عندى من العشيق !

فأجابه (( مايه )) ، وقد تأثر جدا بهذه الكلمات : (( يا أخى العزيز . . انما أريد ان أسالك برهانا أعظم على شهامة قلبك . . فهل تتكفل بحراسة زوجتي ، وتدفع عنها كل طامع فيها ، وتظل الى جانبها ناصحا ، وهاديا ، وتحفظها مكبوحة الجماح



عن نزوات الحب ، وزلات القلب ؟ .. ولكى تريح بالى أرجو  
أن تجيبنى : أترأك لن تجد مانعا من أن تقيم هنا - فى الغرفة  
الخضراء - أثناء غيابى .. وأن تكون حارسا لزوجتى ؟ »

فقطب لافالير حاجبيه وقال : « ان خوفي ليس منك ولا  
من زوجتك .. وانما الذى يخيفنى هو كلام الناس ذوى  
الأفكار الشريرة ، الذين سينتهزون هذه الفرصة كي يعرقلونا  
بأحابلهم الشبيهة بكرات الحرير .. »

فأجابه « مايه » ، وهو يضمه الى صدره : « أما انا فلا  
تخف منى لأنه اذا كان الله قد كتب على أن ابتلى بأن اكون  
تيسا ذا قرون ، فان ألى خليك بأن يتضاءل ، اذا جاء بلائى  
على يدك انت أيها الأخ العزيز .. أما فيما عدا ذلك فكن واثقا  
من أننى سأموت من فرط الحزن ، لأن حياتى كلها معلقة بزوجتى  
الحبيبة الطاهرة .. »

واذ قال ذلك ، أدار رأسه ، حتى لا يرى لافالير الدموع التى  
طفرت من عينيه .. ومع ذلك فان الفارس الذكى ، استطاع  
أن يلمح انسيابها فتأثر كل التأثر وأخذ يد « مايه » بين  
يديه ، قائلا له : « يا أخى .. اقسم لك بشرفى كرجل ، أن  
خنجرى سينفذ الى اعماق عروق أى انسان قبل أن يضع  
اصبعها على زوجتك ! .. وان لم أمت ، فسوف تجدها عند  
عودتك سالمة الجسم ، ولكننى لا أضمن لك سلامة القلب ..  
لأن القلب فوق سلطان الرجال ! »

فقال مايه : « اذن لقد اتفقنا ! .. وسأكون على الدوام  
خادمك ، ومدينا لك .. »

وعلى الفور امتطى جواده ، وانطلق فى رحلته ، دون أن  
يعود الى زوجته النائمة ، حتى لا يفرق فى الدموع والآهات ،  
وغيرها من تعبيرات التوجع التى تستعملها النساء عندما يقال  
لهن : « وداعا ! » .. وبعد ان شيعه « لافالير » الى باب  
المدينة ، عاد الى القصر .. وهناك انتظر حتى غادرت « ماري



دانيبو « فراشها ، فأخبرها برحيل زوجها العزيز ، وأخطرها بأنه يضع نفسه تحت أمرها .. وكان ذلك كله بأسلوب في منتهى الظرف ، حتى ان المرأة البالغة العفة ، داعبتها الرغبة في ان تحتفظ بهذا الفارس الجميل لنفسها !

\*\*\*

• ولكن لا ضرورة هناك لبذل الجهد في تحليل نفسية السيدة الفاضلة، اذا عرفنا انها كانت قد سمعت بالفعل حديث الصديقين ، وتكدت جدا مما ساور زوجها من الشك فيها .. واأسفاه ! ان الله وحده هو الكامل ، وان في افكار الرجال لناحية رديئة دائما .. وانه لعلم واسع البحر ذلك الذي يبحث في تلك الأمور .. على أنه من المستحيل معرفة كل شيء ، ومن المستحيل ان يمسك الانسان بالشئ دائما من طرفه الصحيح .. واني لأعتقد أن سبب الصعوبة الكبرى التي يلمسها الرجال في ارضاء النساء ، هو ان فيهن شيئا أكثر نسائية مما يعتقدن هن أنفسهن .. ولا أريد أن أزيد هذه العبارة تفسيرا ، حتى لا اجنني مضطرا لأن أتجاوز حدود الاحترام الواجب نحوهن ، والاحتشام اللازم آراءهن .. الا أن الحقيقة التي لا شك فيها ، هي أنه ينبغي لنا الا نوقف حيوية ذلك الشئ الكامن في أعماقهن .. أما الدستور الذي يتحتم علينا نحن الرجال ان نخضع له في دولة النساء ، فهو يتركز في ان المهمة الوحيدة التي تنحصر فيها حياة امرأة ، هي أن تمزق قلب رجل ، وأن تخضعه لها !

هذه فيما أظن أفضل سبيل لتحليل اللغز المحير ، الذي يكمن وراء الزواج ..

واذن ، فقد سرت « ماري دانيبو » من أسلوب الفارس الشهم ووعوده الجذابة .. الا أنه كان ثمة شيء ما في ابتسامتها، يدل علي اتجاه ذهنها الي فكرة مأكرة .. ولكي نتكلم بصراحة،



كانت تلك الفكرة تتمثل فى اعتزامها أن تضع حارسها الجميل بين شقى الرحى .. بين شرف الوفاء ، ولذة الهوى .. بأن تغمره بفيض من الحب .. أن تحاصره بكثير من المغريات .. أن تتعقبه بالنظرات الحارة ، حتى تنسيه ذلك الذى يسميه بالاخلاص ، وتجعله يسلو تلك الفضيلة التى يتشدد بها الفرسان .. فضيلة الشهامة !

\*\*\*

• وكان كل شىء مرتبا ترتيبا كاملا لتنفيذ عزمها .. فان السيد « لافالير » كان ملزما بمقتضى عهده لصديقه ، بان يلزم زوجته فى ذات دارها .. كما انه ليس ثمة شىء فى الدنيا يمكنه ان يثنى امرأة عن بلوغ هواها .. وعلى أية حال ، فان العابثة الماكرة ، أعدت عدتها لأن تقتنص الشاب فى الفخ ، فراحت تدعوه - أحيانا - لأن يبقى بقربها الى جانب النار ، حتى منتصف الليل ، وهى تغنى أغنيات ناعمة .. وتنتهز - أثناء ذلك - كل فرصة كى تكشف له عن أكتافها البضة وغيرها من المفاتن الأخرى ، النائمة وراء رداؤها الماكر ، الذى يأبى الا أن يقفز الى هنا وهناك .. وهى بينذاك ترمقه بنظرات عميقة نافذة ، يتلأل فيها ذات البريق الذى ينبعث من كأس خمر .. كل ذلك دون أن يبدو على وجهها أى شىء من الأفكار التى كانت تصطخب فى رأسها ..

وفى أحيان أخرى ، كانت تسير الى جانبه - عند الفجر - فى حديقة القصر ، متكئة بكل جسمها على ذراعيه ، وهى تضغط ضغطا شديدا عليه ، ثم تنتهد .. ولا تلبث أن تطلب اليه أن يعقد لها أربطة حذائها ، التى لم يكن يحلو لها أن تنحل الا فى مكان بعينه من منعطفات الحديقة ! وفى هذه الاثناء ، تلقى اليه الماكرة بتلك الكلمات الناعمة ، وتشير التفاته بتلك الأشياء الناعسة التى تعرفها النساء جيدا ! .. ثم لا يفوتها أن تشاكسه



ببعض المشاغبات اللطيفة ، التي تثير كوامن المشاعر الخفية في قلوب الرجال . . . اذ تبدى بعض الاهتمام به - كضيف في دارها - كأن تذهب اليه في غرفته ، لترى ما اذا كان مستريحا ، وما اذا كان فراشه مرتبا ، والغرفة نظيفة والتهوية جيدة ، وما اذا كان يشعر بأى تيارات هوائية أثناء الليل ، وما اذا كانت الشمس تدخل الغرفة أثناء النهار ، وتسأله عما اذا كان قد اضطر أن يتخلى عن بعض أهوائه المعتادة ، قائلة له : « هل اعتدت ان تتناول أى شيء في فراشك عند استيقاظك في الصباح . . . كالعسل ، أو اللبن ، أو التوابل . . . وهل موعد وجبة الغداء يناسبك ؟ لسوف أجعل ميعاد غدائي يوافق ميعادك . . . قل لى ! . . . لعلك تخجل من ان تطلب ذلك منى . . . كن صريحا واخبرنى . . . »

وهي تصحب هذه الالتفاتات الصغيرة ، الظريفة ، بمائة عبارة شيقة : فمثلا . . . تقول وهي تلج الغرفة : « ها انذا أتطفل عليك دون استئذان . . . فأبعث بى خارجا . . . ان تكن راغبا في الوحدة ، فسأنصرف لفورى ! » . . . الا أنها كانت على الدوام تدعى بترحيب لأن تدخل . . . وأن تبقى . . . وكانت السيدة الماكرة لا تبدو على الدوام الا في اودية هفهافة ، تكشف عن نماذج من جمالها الخلاب الذي يجعل الرجل يصهل كالحصان ، ولو كان قد حطمه الزمان ، وبلغ من السن ما بلغه السيد « متوشالح » ، ذو التسعمائة والستين عاما !

الا أن الفارس النبيل ، كان صلبا مرهفا كالابرة ، فترك السيدة تتماذى في حياكة أحابيلها وتدبير حيلها ، وقد سره أكبر السرور أن يراها شاغلة نفسها به . . . الا أنه - باعتباره أخا مخلصا - كان ما يفتأ يذكر السيدة بزوجها الغائب .

\*\*\*

• وفي ذات مساء - وكان الجو جارا جدا ، وقد بدأ الشك



يساور لافالير فى الاعيب المرأة - راح يقول لها ان « مايبه » يحبها حبا شديدا ، وان لها فيه زوجا شريفا ، مهذبا .. وانه مشغوف بها ، وغيور عليها .. فقالت له : « اذا كان غيورا ، فلماذا اتى بك الى هنا ، اذن ؟ »

**فاجابها :** « ألم يكن ذلك منه تصرفا يدل على منتهى الحذر ؟ .. ألم يكن ضروريا ان يعهد بك الى شخص يدافع عن عفتك ؟ ألا يلزم لذلك رجل يحميك من الحمقى .. ؟ »

فقالت : « اذن فأنت حارسى ؟ »

**فاجاب لافالير :** « .. ولى الشرف ! »

فقالت : « اذن لقد أساء الاختيار جدا ! » .. وأردفت عبارتها هذه بنظرة قصيرة ، فاجرة ، حتى ان الاخ المخلص ، رمقها بعين صارمة ، تنبعث منها ومضة نافذة كحد السكين ، ودار على عقبه تاركا السيدة الجميلة وحيدة ، مجروحة الكبرياء من جراء ذلك الرفض القاسى لخوض معركة غرام .. واذا وجدت نفسها منفردة ، راحت تفكر تفكيرا عميقا ، وبدأت تبحث عن العقبة الحقيقية التى تعترضها .. فلمن المستحيل ان يدخل فى عقل امرأة ، ان رجلا يمكنه ان يرفض ذلك الشئ الذى لا يشتري مع ذلك الا بالثمن الغالى ، اذا عرض له سهلا ميسورا .. واجتمعت الأفكار فى رأسها ، وتناسقت واندمجت ، حتى تبلورت آخر الأمر فى فكرة واحدة كاملة .. وكانت تلك الفكرة هى أنها قد وقعت الى قمة رأسها فى الحب .. وان النساء لا ينبغى لهن أبدا أن يلعبن بأسلحة الرجل ، اذ أنها كالفراء ، تلصق دائما بالأصابع ! .. كان هذا هو أول الخيط فى تفكيرها .. ومنه توصلت الى الخطة التى كان يجب عليها ان تسلكها منذ بداية الأمر .

وهذاها طول التأمل الى أنه لابد ان يكون الفارس النبيل متعلقا بسيدة أخرى .. واذا تلفتت حوالىها لترى أين أمكن لضيئفها الجميل ان يجد هدفا لحبه .. فكرت فى الحسيناء



« ليميه » ، وهى إحدى وصيفات الملكة « كاترين » .. وفى مدام « دونيفير » ، ومام « ديستريه » ، ومام «دوجياك» اللاتى عرفن جميعا بأنهن يعشقن « لافالير » .. فلا بد أنه يحب واحدة منهن الى درجة تملأ عليه كل فكره !

واذ استقرت على هذا الظن ، انبعث منه عامل آخر أضيف الى العوامل الأخرى التى تعمل وتتفاعل فى نفسها ..

**وذلك العامل هو الغيرة ، التى أججت فى قلبها الرغبة فى أن تغوى حارسها ، وتراوده عن نفسه ! ..** وفى هذا السبيل لم تكن تريد أن تقسو عليه أو تجرحه ، وانما أن تعطر بالطيب شعره ، وأن تقبل رأسه ، وأن تعامله بنعومة ورفق ..

لقد كانت بالتأكيد أجمل ، وأصبى ، وأشهى ، وأظرف منافساتها جميعا .. أو كان هذا على الأقل هو رأيها المتفائل فى نفسها ..

\*\*\*

• **وهكذا راحت تدفع بها بواعث وخواطر أحاسيسها ، والعوامل العضوية الأخرى التى تؤثر فى النساء ..** فعادت الى مهمتها الأولى ، لتبدأ هجوما جديدا على قلب الفارس ، حتى تستولى عليه .. **لأن النساء يحبن أن يغزون ما هو محصن ومنيع !**

وحينئذ لعبت لعبة القطعة الأليفة ، وعششت بالقرب منه ، وبدأت تؤدى أمامه دور الجليلة الحلوة الموانسة .. وما فتئت تلاينه ، وتداهنه ، وتراوضه فى رفق ، حتى حدث أنها فى إحدى الأمسيات بدت أمامه حزينة يقتل نفسها اليأس والقنوط ، وأن كانت فى أعماق روحها مرحلة منسرحة الى أقصى الحدود ، فسألها فارسها الحارس قائلاً لها : « ماذا بك ؟ »

فأجابته حاملة - وهو ينصت الى صوتها الذى كان يغرد



كالموسيقى - بأنها تزوجت « ماويه » ضد رغبة قلبها ، وأنها لذلك تعيسة جدا ، اذ أنها لم تعرف لذات الحب .. وان زوجها لا يفهمها .. وان حياتها مليئة بالدموع .. وأنها - في الحقيقة - ما زالت عذراء القلب .. بل عذراء كل شيء ، اذ أنها لم تجرب شيئا - في الزواج - الا الخيبة وانعدام اللذة .. ثم أضافت ان الحب الذى حرمت منه لا بد أن يكون لذيذا جدا ، لأن كل السيدات يسرعن اليه ، ويترامين عليه ، ويكرهن من كل قلوبهن من يصدهن عنه .. ولأن بعض الناس يبذلون الثمن الغالى ليحصلوا على قليل منه ..

**وقالت انها لمشتاقة الى أن تذوقه .. بل أنها في سبيل ليلة حب واحدة ، مستعدة أن تهب كل حياتها ، وأن تظل كل أيامها خادمة مطيعة لحبيبها .. الا أن ذلك الذى تريد أن تكون تجربتها الأولى معه ، وتتمناه أكثر من غيره ، يصد عنها ، ولا يستمع اليها ، مع أن حبهما سوف يبقى سرا مجهولا الى الأبد ، مادامت ثقة زوجها فيه عظيمة جدا .. وأنه سيؤدى بها الى الموت ، اذا ظل مع ذلك رافضا !**

وكل هذه العبارات - التى يتألف منها النشيد العام الذى تحفظه النساء منذ ولادتهن - أقيمت بين ألف لحظة من لحظات الصمت والتوقف .. وقد تخللتها التناوّهات ، والتنهدات ، المنتزعة من صميم القلب .. وزينتها الرجفات ، والرعشات ، والتضرعات الى السماء ، والنظرات المبتهلة ، وعلامات الخجل المفاجئة ، وانقباضات اليدين على خصلات الشعر المتهدلة .. وباختصار ، لم يكن ثمة عنصر من عناصر الاغراء ناقصا .. وفى قرارة كل هذه الكلمات ، كانت ثمة رغبة لافحة تؤججها ، وتبدي عيوبها فى اطار مزخرف !

وعند ذاك سقط الفارس النبيل عند قدمي السيدة ، وأخذهما - وهو يبكى - وقبلهما .. ولا حاجة بنا لأن نؤكد لك - أيها القارئ العزيز - أن السيدة الفاضلة قد سرها كل



السرور أن تتركه يقبل قدميها . . بل انها تركت ردائها له ،  
دون أن تبصر فيما كانت تفعل ولكى تحول دون اتساخه على  
الارض ، رفعتة جدا الى خصرها  
ومع ذلك فقد كان مقسدا عليها أن تظل عاقلة في ذلك  
المساء ، إذ أن لافالير الجميل بادرها قائلا في قنوط :

— أواه يا سيدتى ، اننى لتعيس سىء الحظ !

فقالت له : « ماذا ؟ »

فأجابها قائلا : « وا أسفاه ! فان لنة حبك محرمة على ! »

فقالت له : « كيف ؟ »

— أنا لا أجسر على أن أبوح بحالى اليك !

— وهل هو سىء جدا الى هذا الحد ؟

— آه . أنك سوف تخجلين منى

— تكلم . ولسوف أخفى وجهى بيدى !

الا ان السيدة الماكرة أخفت وجهها بحيث كان يوسسها

أن تنظر الى حبيبها خلال أصابعها . . فقال : « وا أسفاه !

فاننى في تلك الليلة التى خاطبتنى فيها بكلمات رقيقة جدا ،

اضطربت دمائى بنار غادرة . ولم أكن أعلم ان سعادتى قريبة

منى الى هذا الحد . . واذ لم أجسر على أن أعترف بنسارى

اليك ، أسرعت مهرولا الى بيت فى أطراف المدينة يذهب اليه

جميع الرجال . . وهناك، من أجل حبنى لك ، ولكى أنقذ شرف

زوجك الذى هو أخى . . أصبت بعدوى مرض خبيث ، الى

درجة بالغة السوء ، حتى أننى لفى أشد الخطر من أن أموت

بالمرض الايطالى ! »

وانقض هذا النبأ على السيدة كالصاعقة ، فلأطلقت صرخة

امراة تصدم فى قمة رغبتها . . وبانفعال عظيم دفعته عنها بإشارة

صغيرة ، اجتهدت — وهى فى عنفوان تأثرها — ان تكون

مهذبة . .



أما لافالير المسكين ، فقد نهض - اذ وجد نفسه في ذلك الموقف الذى يدعو الى كل الاشفاق وانصرف من الحجرة . . الا أنه لم يكد يبلغ ستائر الباب ، حتى أدارت « ماري دانيبو » عينيها اليه ، وتأملته مرة أخرى ، قائلة في نفسها وهي تتلوى متوجعة : « آه ! واأسفاه ! » . . ثم انتابتها حالة عصبية شديدة ، وانسابت دموعها اشفاقا على فارسها الجميل ، وازداد حبه اتقادا في قلبها . . لأنه كان فاكهة حرمت ثلاث مرات !!

\*\*\*

♦ وخيل اليها - في احدى الأمسيات - أنه أجمل مما رآته في أى وقت مضى ، فقالت له : « ولكننى - من أجل « مايمه » - مستعدة لأن اشاطرك مرضك ، فنقاسى معا ذات المخاوف ! »

فقال لها : « اننى أحبك حبا بالغا ، فلست أَرْضى أن تفعلنى بنفسك هذا . »

وتركها ليذهب الى جميلته « ليميه » . . الا أنه اذ لم يكن يملك أن يرفض الاستجابة للنظرات الملتهبة التى كانت توجهها اليه السيدة أثناء وجبات الغداء ، وفي الامسيات . . فقد كان ثمة نار متقدة تحرقهما معا ، فقد كانت السيدة مضطرة الى أن تعيش دون أن تمس اقارسها ، اللهم الا بعينيها . . ولما كانت الى هذا الحد مدلهة بحبه ومشغوفة به ، فقد ظلت محصنة - من كل الجهات - ضد غزوات غيره من فرسان البلاط . . فليس ثمة استحكامات تبلغ في المناعة ما تبلغه استحكامات الحب ، ولا حارس أفضل منه . . أنه كالشيطان الذى ما ان يقع انسان في قبضته ، حتى يحيطه بالسيسنة اللهيبة !

وفي ذات مساء ، رافق « لافالير » زوجة صديقه الى حفلة



رقص اقامتها الملكة كاترين . وهنالك رقص مع الحسناء « ليميه » ، التي كان يحبها حبا جنونيا . . وكان الفرسان في ذلك الوقت يحملون حبباتهم في شهامة اثساء الرقص ، ويصطفون اثنين ، اثنين . . ومن ثم فقد اشتعلت نار الغيرة من « ليميه » في قلوب كل السيدات اللاتي كن حينذاك يتمنين أن يستسلمن للافالير الجميل . . وقبل أن يأخذن أماكنهن في حلبة الرقص ، ضربت له موعدا للقاء - أثناء الصيد ، الذي كان مزمعا في اليوم التالي . .

والواقع أن ملكتنا العظيمة « كاترين » ، كانت - لأغراض سياسية - تذكى نار الحب بين أولئك العشاق وتوججها كما يوجج صانعو الفطائر أفرانهم بمحرك النار . . وقد نظرت أثناء هذه الحفلة الى أولئك المدلهين ، وقالت لزوجها : « اذا كانوا ينشغلون هنا بالتنافس على العشيقات فهل يجدون وقتا لأن يتأمروا ضدك ؟ »

فقال لها : « نعم ! . . انما أخشى البروتستانت ؟ »  
فقلت ضاحكة : « هون عليك ! فلنات بهم الى هنا كذلك . . ولكن لماذا ؟ . . انظر الى لافالير الذي يتهمونه بأنه من « الهيجونوت » . . لقد اقتنصته صغرتي العزيزة « ليميه » ، التي تلعب أوراقها بطريقة ليست سيئة بالنسبة لفتاة في السادسة عشرة . . وانه لن يلبث أن يضع اسمها في قائمة عشيقاته ! »

فقلت « ماري دانيبو » ، على الفور : « كلا يا مولاتي ! لا تصدق ذلك . . فلقد دمره ذلك المرض الخبيث . . مرض نابولي ! »

ولدى هذا الاعتراف الساذج ، تبودلت النظرات بين كاترين ، والحسناء ديانا ، والملك ، الذين كانوا جالسين معا ، وانفجروا ضاحكين . . . وسرعان ما انتشر الأمر في الصالة كلها ، وانهالت من جرأته عبارات التهمك والمعايرة المخزية على « لافالير » . .



واذا بالرجل المسكين يجد نفسه وقد راح الجميع يشيرون بأصابعهم اليه ، فتمنى في تلك اللحظة لو أن في مكانه رجل آخر .. وزاد الأمر سوءا أن منافسيه في حب (( ليميه )) لم يتأخروا عن أن يحذروها - وهم يضحكون - من الخطر الذى كانت مهددة به ، فما أن سمعت بذلك حتى بدا أنها توجست من حبيبها .. واستولى الرعب على قلوب كل الحاضرين من ذلك المرض اللعين .. وهكذا وجد لافالير نفسه مهجورا من الجميع كأنه المجنوم ! .. وغادر الفارس المسكين قاعة الرقص ، تتبعه « مارى دانيبو » وهى تتعثر فى خطاها من فرط الخجل والنسدم على ما فرط منها .. اذ حطمت الرجل الذى تحبه ، وأضاعته حياته اذ كان الاطباء يجزمون بأن الأشخاص الذين يصابون بمرض الحب هذا ، يفقدون من جرائه أعظم مفاتنهم ، وكل قوى رجولتهم ، وتغدو عظامهم سوداء !

وهكذا أصبح مقرا أنه ما من سيدة سوف تقبل أن تربط نفسها بزواج شرعى مع أجمل رجل فى المملكة !

\*\*\*

♦ وفى الطريق ، بدا الفارس الجميل مغرقا فى الصمت





والاكتئاب .. فما لبثت مرافقته أن قالت له : « يا سيدي العزيز .. لقد ألحقت بك ضررا كبيرا ! »

فأجابها لافالير قائلا : « عفوك يا سيديتي ، فان ضرري قابل للعلاج .. ولكن في أى مأزق سقطت أنت ؟ أنك لا تدريين الخطر الذي أحرق بحبي ! »

فقالت له : « رويدك ! اننى واثقة الآن من اننى اكتسبتك على الدوام لنفسي .. وفي مقابل هذا الخزي العظيم ، والعار الذي دمغنا به معا ، سأكون صديقتك ، ومضيفتك ، وحبيبتك الى الأبد .. بل اننى سأكون أكثر من كل ذلك .. سأكون خادمك ! .. لقد قررت لن أكرس نفسي لك ، فأمحو آثار هذا الشين .. سأسهر عليك ، وأشفيك بحديثي ومواساتي .. وإذا قاتل الأطباء - المتخصصون في هذه الأمور - ان المرض قد تشبث بك واشتد عليك بحيث أنه سسيؤدي الى هلاكك - كما حدث للكنا المرحوم فرانسيس - فساظل مع ذلك في صحبتك حتى أموت بفخار .. اذ أموت بعلمك ! » .. ثم انفجرت باكية وهى تردف قائلة : « بل ان هذا - اذا قدر لى أن أفعله - لن يكون عقابا كافيا لى ، كى أكفر عن الخطأ الذي ارتكبته في حقك ! »

وكانت هذه الكلمة مصحوبة بدموع غزيرة ، أذابت حرارتها قلبها الممتلىء بالاخلاص ، فكأنه شمع مصهور .. وإذا بهسا تترنج ، حتى كادت أن تسقط على الأرض خائفة القسوى ، لولا أن أسرع « لافالير » - وقد تملكه الانزعاج - فأمسك بها ، ووضع يده على قلبها ، تحت ذلك الصدر الذي تصرخ الفتنة وتعربد فيه .. فما أن شعرت السيدة بحرارة يده الحبيبة على قلبها ، حتى بدأت تفيق من اغمائها .. الا أن رأسها سرعان ما دار بنشوة المباهج المسكرة التى راحت تسرى كالخمر في دمها ، فتملكها الدوار من جديد .. وكادت من فرط تلذذها أن تفقد وعيها مرة أخرى .. ثم قالت حالة :

« وا أسفاه ! ان هذا الحنان البسيط سيكون - فى المستقبل -  
هو المتعة الوحيدة لحبنا .. على أنه سيكون - على بساطته -  
أفضل ألف مرة من كل محاولات مايبه التى لا جسدوى من  
ورائها ولا لذة فيها .. ألا دع يدك هنا .. صدقنى أنها فوق  
روحى .. انها لتلمسها ! »

وعند هذه الكلمات أصبح الفسارس فى حال تدعو الى  
الاشفاق .. واعترف للسيدة - فى سذاجة - بأنه يستشعر  
سرورا عظيما فى هذه الملامسة حتى أن آلامه قد تزايدت ،  
وأن الموت أفضل لديه من هذا الاستشهاد البطيء الناشئ  
عن الحرمان !

**فقلت له : « دعنا نمت اذن ! »**

الا أن محفة الموت - الذى كانت تنشده - لم تكن فى متناول  
اليد .. وعلى ذلك فقد نام كل منهما بعيدا على الآخر !

\*\*\*

• وبسبب هذا الحادث - الذى لم يكن قط فى الحسبان -  
وجد لافالير نفسه محروما من الحب والزواج ، ولم يعد  
يجرؤ على أن يظهر فى المجتمعات العامة ..  
وهكذا عرف مدى الثمن الباهظ الذى يتكبده من يتعهد  
بحراسسة عفاف امرأة .. الا أنه بقدر ما أبدى من شرف  
واخلاص ، استشعر لذة وسعادة فى تلك التضحيات العظيمة  
التى بذلها على مذبح الاخوة .. لا سيما بعد ان تبين كم كان  
الواجب الذى ألقته المقادير على عاتقه قاسيا وثقيل الوطأة ،  
الى درجة لا تطاق !

**اما الحسناء « مارى دانيو » ، فإن اعترافها بالحب -  
الذى كانت تعتقد أنه متبادل - والخطا الذى ارتكبته فى حق  
فارسها ، واحساسها باللذة الخفية التى أسكرتها حين وضع  
يده على قلبها .. كل ذلك أوقعها فى حياكل الحب الافلاطونى ،**



الذى لا تحف به أخطار ، ولا يؤدي الى اضرار ، رغم ما فيه من حلاوة وسحر ! .. وقد كان هذا هو المصدر الذى انبعثت منه تلك المسرات الأبليسية لذلك اللون من الحب الذى ابتدعته النسوة ، اللاتى كن - منذ وفاة فرانسيس الأول - يخشين عدوى المرض الخبيث الذى قتله ، ولكنهن يتقن - مع ذلك - الى تذوق اللذات مع عشاقهن ! .

واذ لم يجد « لافالير » فى المباهج الخفيفة - التى كان ينطوى عليها ذلك الحب العفيف - ما يحول دون أداء مهمته على أكمل وجه ، فقد بدأ مرحلة جديدة فى حياته مع زوجة صاحبه .

وهكذا أتيح لمارى المدلهة المحسرومة من متعة الحب أن تلقى بنفسها كل مساء فى حضن حبيبها ، رافعة يديه الى شفتيها ، واضعة خدها بلطف على خده ، وعيناها تلتهمسانه بنظرات ملتهبة عشقا وغراما ! .. وفى أثناء هذا العناق العفيف - الذى كان الفارس يعانى خلاله ما يعانى به الشيطان حين يلقى عليه ماء مقدس - كانت تبثه حبها العظيم الذى لم تكن له حدود ، والذى كان يمتد فى الآفاق اللانهائية للرغبة التى لم يتسن اشباعها !

كل النار التى تشتعل فى جسد المرأة فى ساعة لذتها الكبرى - حين لا يكون ليل أنوار الأبريق عينيها - كان سعيها يتحول الى ومضات ساحرة من الأحلام والاهام التى كانت تتراقص فى خيالها ، فتبعث المسرة فى روحها ، وتسكر بخمر الصباة قلبها !

وفى ذات ليلة ، وقد شملتهما النشوة البهيجة التى لا تساور سوى ملكين لا تربط بينهما الا الروح - راحا ينشدان معا تلك الترانيم الخلافة التى اعتاد العشاق ان يرددوها وهم بعد فى مرحلة الحب العفيف .. تلك الترانيم التى كان الفضل للاسقف « تيليم » فى انقاذها من النسيان ، اذ عنى بنقش

نصوصها على جدران ديره ، الواقع فى ارض ( شسينون ) ،  
حسب قول السيد « الكوفرياس » الذى رآها هنالك باللاتينية ،  
وترجمها لمصلحة المؤمنين !

وقد بدأت « ماري دانيو » انشودة غرامها ، اذ ندت عنها  
وهى بين ذراعى حبيبها صرخة مكبوتة ، تمتزج فيها النشوة  
العذبة بالعذاب ، وهى تقول له : « لا حيلة لى ! فأنت قوتى  
وحياتى .. أنت سعادتى وكثر مسرتى . »

فأجابها : « وأنت ! أنت جوهرتى .. أنت ملاكى . »

هى : أنت .. أنت ملاكى سيرا فيم !

هو : أنت روحى !

هى : أنت الهى !

هو : أنت نجم صباحى ونجم مسائى .. أنت ضيائى ..

أنت جمالى وبهائى .. أنت دنيائى بأسرها !

هى : أنت سر وجودى .. أنت معبودى !

هو : أنت مجدى ، أنت خلدى ، أنت شرفى ، أنت دينى !

هى : أنت رجلى الجميل .. أنت رجلى النبيل .. أنت

فارسى ، أنت حارسى ، أنت ملكى ، أنت حبيبى !

هو : أنت جميلتى .. زهرة أيامى ، حلم ليالى !

هى : أنت شاغل فكرى فى كل حين !

هو : أنت نور عينى ! هى : أنت صدى روحى !

هو : أنت ضيائى بالنهار ! هى : أنت نورى بالليل !

هو : أنت أحب النساء الى !

هى : أنت معبودى دون الرجال جميعا !

هو : أنت دمي ، أنت نفسى .. أنت أفضل من نفسى !

هى : أنت قلبى .. أنت حبى .. أنت منأى !

هو : أنت سعادتى الوحيدة .. أنت قدستى !

هى : اننى أسلمك شجرة هواى .. وكم سيكون فخارى ،

اذ أراك تزدداد لى حبا ، لأنك أنت سيدى !



هو : كلا ، بل أنت مصدر الحب .. يا الهتى .. يا مارى العذراء .. !

هى : كلا ، بل أنا خادمتك .. جاريتك ..  
هو : كلا ، كلا .. أنا الذى هو عبدك .. خادمك المطيع ،  
الذى يمكنك أن تتنفسيه كهواء ، وأن تسيرى عليه كبساط ..  
إن قلبى هو عرشك !

هى : يا أعز الناس عندى .. إن صوتك هو سر كيانى ،  
ومصدر وجدانى ..

هو : إن عطفك يلهبنى ! هى : أنا لا أرى سواك !

هو : أنا لا أحب غيرك !

هى : أواه ، ضع يدك على قلبى .. فقط يدك .. وسوف  
ترانى أشحب ، حتى تسرى حرارة دمك فى دمى !

\*\*\*

• وخلال هذه اللحمة ، كانت عيونهما المتقدة بالحرارة ،  
تسطع كالنار .. وكان الفارس النبيل يشعر بنصيبه من  
اللذة التى كانت « مارى دانيبو » تستشعرها من وجود يده  
على قلبها .. وفى غمرة هذا العناق العفيف ، كانت كل قوتها  
تنطلق وتزجر فى عروقها ، وكل رغبتهما تغلى وتدمدم كحجم  
البركان فى أعماقهما .. وقد تركزت كل أحلام شبابهما فى  
تلك اللذة العارمة التى راحت تصرخ وتولول كالوحش الجائع  
فى جسديهما المحمومين .. حتى إذا فاض بهما الوجد والعذاب ،  
انهمرت الدموع من عينيهما ، وضم كل منهما الآخر وراح  
يضغط عليه بكل قواه ، ويحاصره كما تحاصر النار المنازل .  
ولكن هذا كان غاية أمرهما ، فقد وعد صديقه « لافالير » بأن

**يعيد اليه جسم امرأته سالما وسليما .. الجسم فقط، وليس القلب !**

وفي اليوم التالى ، وردت رسالة من « ماييه » يقول فيها انه فى طريق عودته ، فجاء ذلك فى الوقت الملائم بالذات ، لأنه ما من فضيلة يمكنها أن تصمد طويلا أمام اغراء الحب ! .. وما أسرع ما غادر الفارس النبيل حبيبته الى ( بوندى ) ، كى يستقبل هناك أخاه ، ويمد له يد العون أثناء مسيره خلال الغابة ، دافعا عنه ما قد يتعرض له خلالها من أحداث .. وفى قرية ( بوندى ) رقد الصديقان معا فى فراش واحد ، حسب العادة القديمة .

وهناك - فى فراشهما - سرد كل منهما أخباره على مسامع صاحبه : فقص احدهما مغامرات رحلته ، وروى



الآخر أحاديث معسكر الفرسان ، وما وقع فيه من ضروب الشهامة والنخوة .. الا أن أول سؤال وجهه « ماييه » الى صديقه ، كان متعلقا بمارى دانيبو ، التى أقسم « لافالير » أن يسلمها الى أخيه سليمة الجسم ، كما استلمها .

\*\*\*

• وفى اليوم التالى ، اجتمع الثلاثة معا .. وعلى الرغم



مما شعرت به ماري من مضايقة ، فانها حسب الشريعة العليا للمرأة ، استقبلت زوجها بحفاوة كبرى . على أنها راحت تنظر - من طرف خفي - الى « لافالير » ، وتشير باصبعها الى قلبها ، وكأنها تقول له : « هذا لك ! »

وفي أثناء العشاء ، أعلن « لافالير » انه اعتزم الرحيل فورا الى ميدان القتال ، فلما سمعه ماييه يعلن هذا العزم تكدر جدا ، وأبدى رغبته الصادقة في أن يصبح أخاه ، غير أن لافالير رفض ذلك في الحال . . ثم اتجه الى « ماري داثيبو » وقال لها هامسا :

**« يا سيدتي ، أنا أحبك أكثر من الحياة ، ولكن ليس أكثر من الشرف ! »**

واذ قال ذلك امتقع وجهه . . وأما السيدة فانها لم تكدر تسمع ذلك حتى ابيض لونها ، لأنه لم يحدث قط أثناء مداعباتهما أن صدر قول فيه من صادق الحب ما كان في هذا القول !

ولقد أصر ماييه على أن يصبح أخاه حتى مدينة ( مو ) . فلما عاد الى زوجته ، راح يسألها عما عساها تكون تلك الأسباب المجهولة ، والدوافع الخفية ، لهذا الرحيل السريع . . فأجابته : « اننى أعرف سر ذلك . . فان صاحبك قد خجل من البقاء هنا . . لأنه مصاب بمرض نابولى ! »

**وما إن سمع « ماييه » قولها ، حتى تولته دهشة عظيمة ، وصاح قائلا : « محض هراء ! فقد رأيته حينما كنا في الفراش معا في بوندى ، في الليلة قبل الماضية . . وبالأمر رأيته في ( مو ) ، فلم يكن فيه شيء . . انه سليم الجسم كالجرس الرنان ! »**

وحينئذ انخرطت السيدة في البكاء ، وقد أدركت أن

« لافالير » زعم المرض ليتجنب خيانة صديقه ، واحتمل ما احتمل من اعراض القوم وازدراؤهم ، ليبر بعهدده لصديقه ، فراعها ذلك الوفاء العظيم . . ذلك الاذعان القاسى للعهد الذى قطعه - ذلك الفارس النبيل - على نفسه . . على أنها - اذ كانت ما تزال تحتفظ بحب لافالير فى أعماق قلبها - لم تلبث أن ماتت حين سمعت انه سسقط قتيلا فى موقعة (متر) ! . . وقد روى ذلك السيد « بوردى دوبرانتوم » ، فى كتابه : « القيل والقال »





قَالَ لَهَا!

• **كان « جيهان »** - ابن سيمون فورنييه ، المعروف باسم « سيمونان » - مواطنا لمدينة ( تور ) . وكان مسقط رأسه قرية ( مولينو ) ، القريبة من (يون) ، اخذ عنها لقبه ، فصار معروفا بلقب « دوبون » - جريا على ما كان يفعله بعض الناس في ذلك الزمان . . وقد حدث انه اضطر يوما - عندما كان يعمل خارنا لدى لويس الحادي عشر - لان يفر هاربا مع زوجته الى ( لانجيدوك ) ، بسبب فضيحة لحقت به . . وترك وراءه في «تورين» ابنه جاك ، معدما ، مقلسا . . ولقد كان هذا الفتى - الذي لم يكن يملك من حطام الدنيا غير جمال طلعتة ، وغير سيفه ، ومهمازه - محسودا من الكهول الذين انهكت السنون قواهم ، اذ كانوا من أجل جماله وفرط الفتوة البادية عليه ، يعتبرونه - رغم فاقتة - غنيا جدا . . وكانت تسيطر على رأسه فكرة جازمة وعزم قاطع على ان ينقذ أباه من ورطته ، وان يحصل لنفسه على وظيفة في الحاشية الملكية ، التي كانت في ذلك الحين مقيمة في ( تورين ) .

وبهذا العزم ، قام الفتى التوريني عند مطلع فجر ذات يوم ، فغادر منزله ، متلفعا بعباءته من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، حتى لم يعد يبدو منه الا أنفه الذي تركه معرضا للهواء . . وانطلق الى المدينة وهو خالي الامعاء من الطعام ، كي لا يعاني في الطريق مضايقات الهضم . . وراح يهيم في الطرقات ، حتى اذا صادفته كنيسة اعجبه شكلها ، دلف اليها ، وطاف بها ، ينش الذباب عن رسومها ويعد اعمدتها ، شأن رجل لا يدري ما ينبغي ان يفعل بوقته او بنقوده . . وكان يتراءى له - في بعض الاحيان - ان ينهمك في استعراض سلسلة نسبية الى اجداده ! . . الا انه كان في الواقع ما يفتأ ، بينذاك ، يسترق النظر الى السيدات ، ثم يخرج خلفهن حين انصرافهن ، فيتبعهن



من بعيد ، منتهزا كل فرصة كي يؤدي لهن بعض تلك الخدمات الصغيرة ، التي قد تفتح له باب مغامرة ربما يجد من ورائها سبيلا للوصول الى شيء من مآربه ، او الحصول لنفسه على عشيقة فاتنة ، يجد لديها مضيعة لايامه ومتعة ليليائه !

وكان يقطع - في كل يوم - من كنزه المدخر الصغير ، ثمن رغيف خبز وبضع تفاحات لا يكاد يسد بها رمقه ، ثم يعقب بعد ذلك قدر ما يشاء - ويمطلق حرسته - من ماء ( اللوار ) !!

وكان هذا الغذاء الصحي ، الذي دعت اليه موجبات الحرص والحذر - والذي كان يتلاءم مع ثقوب حزامه - يجعله مرحا خفيف الحركة ككلب الصيد ، ويهيء له فكرا نيرا ، وقلبا دافئا . فان ماء ( اللوار ) اكثر الاشربة جميعا مجلبة للقوة ، لانه اذ يقبل من منبعه البعيد ، يتقوى من طول الجرى بين ساحليه الممندان عبر السهل كله حتى يصل الى (تورين) .

وكان الفتى المسكين ما ينفك يتخيل ألف فرصة وفرصة مواتية ، وألف مغامرة ومغامرة سعيدة .. بل كان يذهب الى أكثر من هذا ، فيتطرق اليه الاعتقاد الجازم بان اوهامه تلك - التي كانت تتراءى له - ليست سوى حقيقة واقعة .. فالله لك يا ايام الشباب .. يالك من أيام سعيدة !



• وفي احدى الأمسيات ، كان « جاك دو بون » - وكان هذا اسمه ، وان لم يكن في الواقع أميرا من أمراء ( بون ) - يسير متسكعا على شاطئ النهر ، منهمكا في لعنة سوء طالعاه ، وفي توجيه السباب الى الدنيا كلها .. واذا به يلمح - عند منعطف شارع ضيق - سيدة محجبة ، يتضوع منها عير عطر نافذ ، أنعش مشاعر الهوى في نفسه ، فسار خلفها .. وكانت تلك الغادة مزدانة بالجواهر البديعة ، وقد راحت تختال في ثوب رائع من المخمل الإيطالي ، ذي كمين مزدانين

باشرطة عريضة من الحرير اللامع . . وعلى جبينها المتوارى  
خلف برقعها ، كانت ثمة ماسة بيضاء كبيرة الحجم - كانها  
الشمس الساطعة وقت الفسق - وقد اخذت تلمع بين جدائل  
شعرها المصفف ابداع تصفيف ، والمنسق أبرع تنسيق ، حتى  
لكأن خادمتها قد قضين ثلاث ساعات في تنميقه !

وكانت مشيتها تتم عن انها سيدة لم تألف المشى ، وانما  
اعتادت الا تنتقل الا على محفة . . وكان أحد خدمها يتبعها ،  
وهو مدجج بالسلاح . وبدا واضحا - مما على سيماها من  
نعمة وطلاوة - انها كانت تنتسب الى أحد الاشراف ذوى  
المرتبة الرفيعة ، او انها كانت احدى سيدات البلاط الملكى  
. . وكانت تحرص - اثناء سيرها - على ان ترفع طرف ثوبها  
لكى لا يمس الارض ، وتحنى قامتها قليلا الى الامام كسيدة  
من سيدات المجتمع الرفيع .

وسواء اكانت محترمة ، أم غانية ، فانها راقى للفتى «جان  
دوبون» ، ووقعت من نفسه ، حتى لقد استولت عليه - وان  
لم يدر الى ناحيتها انفه - فكرة طائشة ، ألحت عليه بأن يهب  
هذه السيدة نفسه كل أيام حياته . . وبهذه الفكرة اعترى ان  
يتبعها ، ليرى ما اذا كانت ستقوده الى الجنة او الى جهنم  
ذات الضرام . . الى عش الغرام ، او الى المشنقة !

وكانت السيدة تتهاذى على شاطئ ( اللوار ) متجهة نحو  
( بليسيز ) ، وهى - بينذاك - تستنشق عبر الماء الرطيب  
كالسمكة . . متسكعة ، متلكئة كفأر صغير يريد ان يرى وان  
يتذوق كل شيء . . فلما ادرك خادمها أن «جاك دوبون» يتبع  
سيدته خطوة بخطوة ، ويلازمها حيث تتجه ، ويقف حين  
تقف ، ويرقب عبثا بوجهه لا حياء فيه - وكأنه يفعل أمرا من حقه  
أن يفعله - توقف الخادم الشهم ، واستدار فى عنف نحوه ،  
بوجه بادی الضراوة والعداء ، كوجه الكلب الشرس المكشع عن  
أنياه . . وكأنه كان يقول بالنظرات المنبعثة من عينيه المتقدتين ،



للطاريء المتطفل : « مكانك يا سيد ! »  
 ولكن التورينى الاصيل كان واثقا من نفسه ، مطمئنا الى  
 أنه ان كان من حق أية قطة ان تنظر الى ملك ، فان من حقه  
 هو بالاحرى - وهو المسيحى ، المتشرف بماء المعمودية - ان  
 ينظر الى أية سيدة جميلة ! .. ومن ثم فانه رشق الخادم بنظرة  
 ساخرة ، وتابع سيره متقدما السيدة تارة ، متأخرا عنها تارة  
 اخرى .. أما هى ، فانها لم تقل شيئا ، وانما راحت تنظر  
 نحو السماء - التى كانت قد لبست قبعة الليل - وتتفرس  
 فى النجوم ، وتطيل التأمل فى كل شىء يمكن ان يدخل الى  
 نفسها السرور .. واستمرت هكذا - وهو يلزمها - حتى  
 وصلت أخيرا الى الجهة المقابلة لبورتيلون .. فتوقفت قليلا  
 .. ولكى تبصر بمزيد من الوضوح ، خلال غلالة الظلام الرقيقة ،  
 رفعت حجابها عن وجهها ، وألقت به الى الخلف على كتفها ،  
 ثم صوبت نحو الفتى نظرة سيدة وأعية تتلفت حوالىها لتتأكد  
 من خلو الطريق ممن عساه أن يسرقها !

ويمكنك ان تصدقنى اذ أقول لك أن «جاك دويون» كان يبدو  
 - لأول وهلة - زير نساء بكل ما للكلمة من معنى .. وكان  
 من روعة المظهر ، والمنظر ، بحيث يمكنه ان يسير الى جانب  
 أميرة من أميرات الاسرة المالكة دون ان تجد غضاضة فى صحبته ،  
 أو تستحى من السير معه .. فقد كان ذا طلعة تتفجر منها  
 الرجولة والفحولة والقوة التى ترضى أحاسيس الجنس اللطيف  
 .. واذا كان لونه قد تلوح قليلا بفعل حرارة الشمس - لطول  
 تجواله فى الطرقات - فان بشرته ظلت تبدو - مع ذلك -  
 ناصعة البياض ، اذا ما غمرته ظلمة الليل

\*\*\*

• وكانت النظرة الحادة التى سددها اليه السيدة ، حادة  
 كسب الإبرة . ولكنها بدت له كشعاع من النور نفذ الى قلبه ،

فأنزل عليه بردا وسلاما ، وعلى هذه النظرة راح يشيد املا شامخا فى خوض موقعة غرامية .. فعقد العزم على ان يندفع فى المغامرة الى نهايتها ، مهما يلاقى فى هذا السبيل من مصاعب واخطار .. وتابع سيره الى داخل المدينة خلف السيدة ، التى ولجت الى شارع ( تروا يوسيل ) ، ثم قادته فى تيهه من الدروب الضيقة ، الى ميدان فسيح يقع فيه اليوم فندق « لا كروزيل » .

وهناك توقفت السيدة أمام قصر شاهق ، وتقدم خادمها فطرق الباب ، فسرعان ما فتحه خادم آخر .. ودخلت السيدة واغلقت الباب خلفها ، تاركة السيد «دو بون » ، فاعرا فاه مذهولا ، يبدو عليه من الغباء ما كان يبدو على السيد القديس « دينيس » ، عندما راح يهرول باحثا عن عقله ! .. ثم رفع الفتى أنفه فى الهواء ، متشمتا اية اشارة من اشارات الخطوة والقبول قد تلقى اليه !

**وظل هكنا حزينا حائرا ، غارقا الى أذنيه فى احلامه وأوهامه ، وهو لا يدري ما يفعل .. حتى اذا طال وقوفه ، انبعث فجأة من احدى النوافذ صريف حاد قطع عليه شرود فكره .. وتوهم ان سيدته على وشك ان تدعوه اليها ، فرفع بصره الى ناحية النافذة .. ومن هنالك تلقى سيللا من الماء على قمة رأسه ، تبعه ذات الوعاء الخزفي الذى كان يحويه ، وقد هوى مهشما ، فلم يبق منه سوى مقبضه ، فى يد الشخص الذى سكب الماء !**

وبعث هذا الحادث الانتعاش فى قلب « جاك دو بون » ، اذ أدرك ان الفرصة لم تفلت منه بعد ، فسرعان ما نشط الى اقتناصها .. فارتكن الى الحائط صائحا : « آه . لقد قتلت ! » .. ثم ارتمى على الارض فوق شظايا الاناء المكسور ، وارخى أطرافه وكأنه قد مات حقا . وانتظر مترقبا النتيجة ! .. ولم





يطل به الانتظار ، فما أن سمع خدم القصر صرخته ، حتى خرجوا مهرولين منزعجين ، يملأ الفرع قلوبهم من سيدتهم التي اعترفوا لها بفعلتهم .. وحملوا الرجل المجندل - وهو يجاهد نفسه كي يكبح جماح الضحك - وصعدوا به سلم القصر

وفي هذه الأثناء ، قال أحد الخدم : « ان جسده بارد ! » .. وقال خادم المائدة ، وقد ابنت يده وهو يجس نبض الفتى : « انه ملطخ بالدم ! » .. وعندئذ صاح الذي ارتكب الفعل : « لو أنه أفاق ، فسأقدم نذرا الى القديس جاتيان ! » .. وعقب خادم آخر قائلا : « ان السيدة تسير على نهج المرحوم والدها ، كما تعلم .. وما لم تشنقك ، فإن أقل عقاب لديها هو ان تطردك من عملك ، وتلقى بك خارج بيتها .. انظر .. انه بالتأكيد قد مات ، فقد أصبحت جثته ثقيلة جدا ! »

فصاح فاعل الجريمة فازعا : « ويلي ! أحقا أنه مات ؟ »

وحدث في تلك الأثناء ، ان أفلت قميص الفتى التوريني من نطاقه ، وهم يحملونه صاعدين به السلم في عناء شديد ، فصاح بغير وعى : « آه .. قميصي ! »

وعندذاك ، تنهد الجانى ، وكأنما واته نجدة من السماء ،  
وقال : « انه يئن » ..



• **وهكذا** كانت حال خدم القصر - وكان هذا ، كما ينبغي ان تعلم ، هو فصر الوصية على عرش فرنسا ، ابنة الملك لويس الحادى عشر ، ذات الذكرى العاطرة ! - فلما وصلوا الى أعلى السلم ، ادخلوا « جاك دو بون » فى احدى الغرف ، وأرقدوه - وهو متيبس متشنج - على منضدة ، دون أن يداخلهم الرجاء لحظة واحدة ، فى أن من الممكن انقاذه ..

**وما أن أبصرته الوصية على العرش - مدام « دو بوجو » - حتى صاحت فى خدماها فى انزعاج عظيم : « أسرعوا فاستدعوا طبيباً ! .. أسرعوا الى هنا ! .. أسرعوا الى هناك ! »**

وانفرط عقد الخدم فى لحظة ، فراحوا يركضون هنا وهناك .. وارسلت السيدة النبيلة تابعيها لاحضار بلسم وماء معقم ورباط من التيل لتضميد الجراح ، وأشياء أخرى كثيرة .. حتى اذا غدت وحيدة فى الغرفة ، اقبلت تتأمل الفتى الجميل المسجى على المنضدة ولا حراك به .. واذا راعتها فتنة محياه، الذى ظل خلافاً - حتى وهو ميت - صاحت قائلة : « **أواه ! أن الله يريد أن يعاقبنى ، من أجل مرة واحدة فقط فى حياتى .. مرة قصيرة الأمد ، راودتنى فيها فكرة طائشة ! .. وها هو قديسى الشفيع غاضب منى ، وقد شاء أن يحرمنى من أجمل رجل رأيته طيلة عمرى .. فبحق السماء ، وبحق روح أبى ، لسوف اشنق كل رجل له يد فيما حدث ! »**

وعند ذاك وثب « جاك دو بون » من فوق المنضدة ، وارتمى عند قدمى الوصية على العرش صائحاً : « **يا سيدتى .. سأعيش لخدمك ، فما أصابنى سوى خدوش طفيفة .. وانى لاعدك فى هذه الليلة وحدها بملذات اثنتى عشرة ليلة مجتمعة**



.. وبجلد هرقل - الذي لم يكن بين الرجال من هو أقوى منه - وساقضى الليل متعبداً في محرابك ! »

واذ رأى أن الأمور قد تزداد يسرا اذا رصع عباراته ببعض الأكاذيب ، انطلق يقول للسيدة : « لقد ظلمت طيلة العشرين يوماً الماضية ، أحرص على رؤيتك يوماً بعد يوم .. فلقد جننت بحبك ، وان لم أجسر - بسبب احترامى العظيم لشخصك - على أن أتقدم منك ، أو أفضى بعاطفتى إليك .. ولك أن تتصورى كم أسكرنى جمالك الملكى ، اذا تأملت تلك الخدعة التى احتلت بها على الوصول إليك ، والتى كان لها كل الفضل فى السعادة التى استشعرها الآن ، إذ أجدنى جاثيا عند قدميك ! »

وحيث قبلها قبلة حارة ، وسدد الى عينيها نظرة هيام أثملتها وبددت كل شك ربما كان قد ساورها ! .. وكانت الوصاية على العرش قد تجاوزت - فى ذلك الحين - سن شبابها ، كما هو معلوم . وفى تلك المرحلة الحرجة - حين تدلف المرأة الى فصل خريفها - كثيراً ما تتملك السيدات ، اللاتى قضين سنى حياتهن السالفة فاضلات عفيفات محرومات من متعة الحب ، رغبة طارئة فى أن يسترقن - بين آونة وأخرى - لحظات يسمحن فيها لأنفسهن يتذوق بعض لذائذ الغرام - بمنأى عن العيون - حتى لا يصلن الى العالم الآخر فارغات الأيدي والقلوب .. إذ يتركن شجرة المعرفة دون أن يأكلن بعض ثمارها .

ودون أن تبدى مدام « دو بوجو » انها دهشت من وعود هذا الشاب ، وعلى الرغم من أن سيدات الأسرات المالكة يجدن لديهن ورهن اشاراتهن - فى العادة - عشرات من أمثاله ، فإن ما أفضى به اليها ذلك الفتى التورينى ، قد انطبع فى أعماق ذاكرتها .. وخلق لبها جمال طلعتة ، واذاب قلبها لهيب النار المستعرة فى قلبته ، فأخذت بيده واجلسته .. ووجد - رغم

بؤسه - الجرأة على أن يتسم في تدله وتشيب لمولاته ، التى كان لها جلال وردة اكتمل تفتحها ، وجمال غانية ، وهيبة ملكة

★ ★ ★

♦ على أن الوصية على العرش ما لبثت أن رسمت على وجهها ذلك السيماء الوقور العابس الذى كان لأبيها ، وقالت للفتى : « من انت ؟ »

فأجابها : « انا عبدك المخلص ، جاك دو بون ، ابن أمين خزانك ، الذى لحقت به الفضيحة ، رغم خدماته الوفية ! »

فقلت السيدة : « آه ، حسنا .. ارقد على المنضدة مرة أخرى ، فأننى اسمع شخصا ما مقبلا ، وليس من اللائق ان يظننى شعبى شريكة لك فى هذه المهزلة ، وهذا المجنون ! »

وادرک الفتى الماكر من نعومة صوتها - وهى تقول له ذلك - انها عفت عن جرأته ، بسبب ما لمستته من فرط حبه . فرقد

مرة اخرى على المنضدة ، وهو يتذكر كيف وصل بعض سادة فرنسا الى مناصبهم الرفيعة فى البلاط ، على سروج مهلهلة ..

فكانت تلك الفكرة مطابقة كل المطابقة لما كان هو عليه اذ ذاك ! فلما دخل الخدم الى الغرفة ، قالت السيدة لهم : « حسنا ،

لم نعد بحاجة الى شيء ، فان هذا السيد قد آفاق .. شكرا لله وللسيدة العذراء ، اذ لم يحدث اغتيال فى بيتى ! » : واذا

قالت ذلك مررت أصابعها خلال خصلات شعر الحبيب الذى سقط لها من السماء ، وأخذت بعض الماء المنعش ، فرطبت به

جبينه .. ثم راحت تفك أزرار قميصه ، متظاهرة بمساعدته على ان يفيق من اغمائه ، وبينذاك راحت تتفحص - بخبرة

أبرع الاختصاصيين - مدى نعومة ونضارة بشرة ذلك الشاب الذى وعدما فى جسارة بأقصى ما يمكن أن يمنح لامرأة من

لذة !



ودهش كل الحاضرين - رجالا ونساء - اذ رأوا الوصية على العرش تفعل هذا الفعل .. بيد انه لم يكن ثمة مبرر للدهشة ، فان غريزة البشر لا تستثنى من حكمها أولئك الذين يجرى في عروقهم دم ملكى ..

وما لبث جاك دو بون ان وقف على قدميه ، مصطنعا مظهر الشخص الذى كان فاقدا حواسه ثم استردها .. وقدم الشكر الى الوصية على العرش فى تواضع عظيم ، وصرف الأطباء ، والجراحين ، وكل الذين حضروا لفحصه فى ساعة موته المزعوم ، قائلا انه قد استعاد وعيه وشفى تماما .. ثم قدم نفسه للحاضرين ، ذاكرا لهم اسمه ولقبه . واذ أدى التحية الى مدام « دو بوجو » ، أبدى رغبته فى الانصراف ، متظاهرا بأنه موجس منها ، لما يعلمه الجميع من فضيحة أبيه .. على أن الفزع كان قد ساوره - فعلا - من جراء ذلك الوعد الشنيع ، الذى تجاسر على أن يفضى به الى السيدة المبهلة !

**ولكن السيدة مالبثت ان قالت على الفور : « اننى لا أوافق على ذلك ، وليس مما يليق بمن يدخلون بيتى ، ان يقابلوا بمثل هذه المعاملة التى لقيتها ! » .. ثم التفت الى خدما قائلة :**  
**« ان السيد دو بون سيتناول عشاءه هنا ! » .. وتحولت الى رئيس الخدم فقالت : « لسوف ادع مصير الذى ارتكب هذه الإهانة المشينة ، للسيد دو بون نفسه ، اذا بادر الجانى فقدم نفسه توا .. والا فأتنى لن أثبت ان أكشف عن شخصيته وأشنقه ! »**

واذ سمع الخادم - الذى كان يرافق السيدة اثناء نزولها هذا القول - خطأ خطوة الى الامام . فقال جاك : « أضرع اليك ، يا مولاتى ، أن تصفحى عنه .. بل اننى أتمس منك مكافأته ، اذ اننى بفضلله قد نلت نعمة رؤيتك ، وحظوة تناول العشاء فى صحبتك .. وربما ظفرت بتفضلك باعادة والدى الى الوظيفة التى سبق لوالدك العظيم أن عينه فيها ! »

فأجابت الوصية على العرش : « حسنا قلت .. ثم وجهت خطابها الى الخادم قائلة له : « دستوتيفيل .. اننى اسلمك قيادة فرقة من رماة السهام ، على أن لا تعود الى القاء الاشياء من النافذة ! »

ثم تقدمت الى دو بون - وقد افعمها السرور به - فمنحته يدها ، وقادته فى عظمة الى غرفتها ، حيث تحادثا معا فى حرية بينما كان الخدم يعدون العشاء .. وفى ذلك الوقت لم يفشل فتى تورين فى أن يظهر مواهبه ، وفى أن يرفع نفسه فى عينى السيدة ، التى كانت تشبه أباهما فى طباعه وميوله - كما هو معروف للجميع - وكانت مثله تفعل كل شئ كيفما تراهى لها !



• **وفكر جاك دو بون - فيما بينه وبين نفسه - فى أنه سيكون من العسير عليه ان يبقى الليل كله مع الوصية على العرش ، اذ أن مثل هذه الأمور ليست مما يسهل تدبيره .. حتى القبط ، لا بد لها - على الدوام - من ان تجد مكانا ملائما فوق اسطح المنازل ، كى تقضى فيه لحظات غزلها ومداعباتها .. وعلى ذلك فقد قنع الفتى - بينه وبين نفسه - بمجرد توصله الى معرفة هذه السيدة ذات المركز الرفيع ، فلم يطمع فى أن يفى بالوعد الطائش الذى تجاسر فأفضى به اليها .. ولو أنها اضطرت الى انجاز ذلك الوعد ، لكان لزاما أن يقصى عن القصر كل الخدم والمقيمين فيه ، حتى تخرج سمعة السيدة سالمة غير مخدوشة .. ومع ذلك ، فقد ظل الفتى فى شك من قدرة السيدة الفاضلة على ترتيب الامر كما ينبغي ان يدبر ، لتحقيق البغية المنشودة .. كما ساوره الشك فى قدرته هو نفسه على أداء المهمة خير أداء !**

وكانت الافكار ذاتها تعتمل فى ذهن السيدة - فى تلك الاثناء -



فأقبلت تعالجها وكأنها تعالج شئون الدولة . . وبالفعل توصلت الى تدبير الأمور على صعوبتها ، وما لبثت أن بدأت في تنفيذ الخطة التي رسمتها بمنتهى الذكاء والدهاء . . فأرسلت في طلب سكرتير لها كانت تثق في براعته ، وكان أهلاً لأن يحكم مملكة بأسرها ، أكمل ألوان الحكم . . واسرت اليه امرأ بأن يدخل عليها أثناء العشاء ويناولها رسالة مفتعلة . .

فلما حان ميعاد الوليمة ، لم تمد السيدة يدها الى طعام ، اذ كان قلبها قد انتفخ كأسفنجة ، فانكششت معدتها ، واذ كانت - من فرط ما أرهقت عقلها في التفكير في ذلك الفتى الجميل المشتهاى - قد فقدت كل رغبة في الطعام ! . . أما جاك فإنه أقبل اقبالاً شديداً على الأكل ، ولم يأل جهداً في أن يملأ بطنه من كل ما وجدته امامه مما لذ وطاب ، نظراً لجوعه الطويل ، ولأسباب أخرى كانت تدور في ذهنه !

وفي هذه الأثناء أقبل السكرتير ، وسلم الى السيدة الرسالة المتفق عليها ، فما أن ألقت عليها نظرة ، حتى تبسدت عليها امارات التجهم ، وقطبت حاجبها على طريقة المرحوم والدها . . وصاحت قائلة : « ألا يكون سلام أبداً في هذه الأرض ؟ يا رحمة الله ! ألا ننعم بليلة واحدة هادئة ؟ » . . وقامت من مكانها ، فراحت توسع الخطأ في الحجرة ، وهى تقول في عصبية : « أنت يا من تقف هناك ، ائتنى حالا بجوادي ! . . أين السيد « فيفيل » وصـيـفى ؟ آه ، انه في بيكاردى ! . . يا استوتيفيل . . سوف تلحق بى مع أهل منزلى في قصر أمبواز . . »

ثم نظرت الى جاك ، وقالت له : « لسوف تكون مرافقى يا سيد دوبون ! . . انك تريد أن تخدم الدولة ، وها هى ذى الفرصة سانحة أمامك ! . . هيا ، بالله ، فهناك متمرّدون ينبغى ردهم ، ونحن في حاجة الى فرسان مخلصين . . »

وفي أقل من الوقت الذى يحتمل أن يستغرقه متسول

اضنته الشيخوخة ، كى يقول : « شكرا » ، أسرجت الخيل  
وجهازت للرحيل ، فامتطت السيدة فرسها ، واطلقت له  
العنان - والفتى التورينى بجانبها على فرسه - ميممه  
بأقصى سرعة ، نحو قلعتها فى ( أمبواز ) ، يتبعها رجالها  
المسلحون ..

ولكى نتوخى منتهى الاختصار ، ونصل الى الحقائق دون  
كثير من الوشى والتعليق ، نقول أن « دوبون » ، أنزل  
- فى القلعة - فى حجرة لا تبعد عشرين ياردة عن مخدع  
السيدة ، بمنأى عن الأعين المتطفلة ! .. بينما استولت  
الدهشة البالغة على أفراد الحاشية والخدم ، وراحوا  
يتساءلون فيما بينهم : « أين هو الخطر ؟ .. ومن أين عساه  
يأتى ؟ » .. ولكن بطلنا الهمام ، استطاع أن يعرف عن  
يقين ، أين كان الخطر !!

والواقع أن السمعة الطيبة التى تتمتع بها الوصية على  
العرش فى كل أنحاء المملكة ، أنقذتها فى ذلك الظرف من  
الشبهات .. اذ كانت الفكرة السائدة عنها أنها تشبه فى  
مناعتها حصن ( بيرون ) !



♦ وفى جوف الليل ، وبعد أن غدا كل شيء مغلقا - حتى  
العيون والآذان - وسيطر السكون على القلعة ، أقصت مدام  
« دو بوجو » وصيفتها عن مخدعها ، واستدعت مرافقها  
الفتى .. فلما حضر إليها أجلسته الى جانبها ، فوق مقعد  
من المخمل ، وسألته بصوت حنون : « أليس فيك جروح ؟ ..  
لقد كان خطأ عظيما منى أن أحمل فارسا - جرح على  
يدى أحد خدمى - على أن يظل راكبا اثنى عشر ميلا ..  
ولقد كنت مهمومة من أجلك ومشغولة عليك ، حتى اننى لم



أستطع أن أذهب إلى فراشي دون أن أراك .. فهل تتألم ؟  
 فأجابها : « أنتى أتألم من فرط الشسوق ، مذ تبينت ،  
 يا سيدتى النبيلة الجميلة ، أن خادمك قد وجد حظوة  
 لديك .. ! »

فأجابته : « أما رويت لى قصة حين قلت .. »

فسألها : « قلت ماذا .. ؟ ! »

فأجابت : « هل نسيت ؟ .. ألم تقل لى أنك تبعتنى عشرات  
 المرات إلى الكنائس ، وإلى الأماكن الأخرى التى ذهبت  
 إليها ؟ »

فقال لها : « لقد حدث هذا حقا .. »

فأجابته السيدة : « لشد ما أنا فى عجب ، فما رأيت فى  
 حياتى - إلى اليوم - فتى نبيلًا تبدو جسارته وقوته فى  
 سيمائه بهذا الشكل .. ولست أستشعر أى خجل مما  
 سمعتنى أقوله حينما كنت أحسبك ميتا ، فأنت تروق لى ،  
 وانك لتبعث السرور فى نفسى ، وما اعتقد إلا أنك تريد بى  
 خيرا ! »

وهكذا حانت لحظة الوفاء بالوعد ، فسقط جاك عند  
 ركبتي السيدة ، وقبل قدميها ، ويديها ، وكل موضع  
 فيها ... وراح - خلال ذلك - يثبت لمولاته الفاضلة بكل  
 البراهين ، أن اضطلاعها بأعباء الدولة ، لا يحرمها الحق فى أن



نتذوق متع الحياة . ولكنها رفضت أن تسلم بهذه النظرية في سهولة ، وأبت إلا أن تغتصب اغتصابا ، حتى تلقى وزر الخطيئة على عاشقها .. ومع ذلك فإنها - كما ينبغي أن تعلم - كانت قد أعدت نفسها لهذه الساعة كل الأعداد ، فتعطرت بأقوى العطور شذى ، واتخذت أبهى ثياب الليل ، وتأججت بالرغبة في العناق وأضفى عليها الشوق لونا زاهيا ، زاد من نضرة بشرتها .. وعلى الرغم مما أبدت من مقاومة لفرام فتاها ، فإنها استكانت آخر الأمر لقوته العارمة ، وكأنها صبية مستضعفة ! .. إلا أنها - في غمرة نشوتها - أبدت له شكها في قدرته على انجاز وعده بأن يجمع لها في ليلة واحدة ملذات اثنتى عشرة ليلة .. وراهنته على أن تمنحه - أن استطاع ذلك - اقطاعية (آزى لوبريليه) ذات اللقب الرفيع ، وأن تصدر عفوها عن أبيه !

ولحسن حظ الفنى التورينى ، انه تبين - في تلك اللحظة الحاسمة - أن سيدته لم تكن من الشيوخوخة كما كان يصور ، بل انها بدت له في غلالة نومها ذات شباب نضير .. وهذا - فى الواقع - شأن النساء . فكم من سيدة تبدو ، فى النهار ، مثقلة بسنى العمر ، حتى اذا أقبل الليل ، تبدت تحت أضوائه وكأنها فى العشرين .. وكم من شابة فى العشرين ، تبدو فى المائة ، اذا لفها الظلام !

ومن ثم فقد قبل « جاك دو بون » الرهان ، وأكد لمولاته الوعد ، ثم راح ، وهو بين ذراعيها ، يسرد أحلامه واحدا بعد الآخر ، كلما حقق للسيدة إحدى اللذات التى منساها بها .. « فهذه المرة لانتقاذ والدى من العقوبة ! » .. و « هذه المرة من أجل الاقطاعية ! » .. و « هذه من أجل غابة آزى ! » .. « وهذه أيضا من أجل حق صيد السمك ! » .. و « هذه من أجل جزائر الأيندر ! » .. و « هذه من أجل المروج ! » .. و « هذه فى مقابل اعفاء أرضنا - فى لا كارت ،



التي اشتراها أبى بالثمن الغالى - من المصادرة ! » . . « ومرة من أجل منصب فى البلاط ! » . . « واذ وصل دون عائق الى هذه النقطة ، اطمأن الى أن شرفه فى الوفاء بوعدده قد أصبح موطداً ، فلم يعد أمامه من الأحلام إلا أن يجعل فرنسا كلها تحت سلطانه . . وكان هذا فى الواقع أمراً يتصل بل بشرف التاج ! . . وكان آخر حلم راوده ، هو أن يبنى له كنيسة فى ( آزى ) . . وقد تحقق به البند الحادى عشر من بنود الرهان !

وهكذا أتم الفتى احدى عشرة حلقة من وعوده ، أدرك معها أنه قد غدا بالفعل سيداً لقلعة ( آزى ) . لذلك أثر أن يستبقى الحلقة الثانية عشرة الى أن تستيقظ مولاته فى الصباح ، لتكون تحية أمينة ، يرفعها سيد قلعة ( آزى ) الى الوصية على العرش . ولكن الطبيعة اذا أرهقت ، صارت كالجواد العنيد ، لا يأبه للسياط اذا ما ارتمى على الأرض ، بل يؤثر الموت على أن يتحرك دون أن يستشعر من نفسه الانتعاش الكافى ! . . لذلك فان سيد قلعة ( آزى ) كان - حين رغب فى تحية ابنة الملك لويس الحادى عشر - مثقل الجسم والنفس ، رغم ما أبداه من حفاوة . . وكان مضنى ، لا يقوى على أن يؤدى التحية اللائقة بالملوك ، فانتهزت الوصية على العرش هذه الفرصة - عندما نهضت من فراشها - وأقبلت على الفطور مع (( جاك )) - الذى لقب نفسه : سيد ( آزى ) الشرعى - فعارضت مسلك مرافقها ، وزعمت أنه لم يكسب الرهان ، ومن ثم فليس له أى حق على المقاطعة !

وهتف الشاب : « يا للسماء ! . . لقد كنت على وشك أن أبلغ نهاية الشوط . . الا اننى - يا سيديتى العزيزة ومولاتى النبيلة - اعتقد أنه ليس من اللائق لك ولا لى ، أن نحكم فى هذا الأمر . فهذه قضية عامة ، ينبغى طرحها أمام

مجلس مشورتك ، طالما أن اقطاعية ( آزی ) ، من أملاك التاج ! » .. فأجابت السيدة وهي تطلق ضحكة مفتصة : « يا الهی ! اننى لأمنحك وظيفة السيد فيفيل فى بيتى ، ولسوف أعفو عن أبیک ، وأهیک ( آزی ) ، وأجعل لك منصبا فى البلاط الملكى ، لو أنك استطعت - دون أن تجرح شرفى - أن تعرض المسألة أمام مجلس المشورة كاملا .. اما اذا فهت بكلمة واحدة تمر سمعتى باعتبارى سيدة فاضلة ، فأننى .. »

فقال جاك ، محولا الأمر الى مزاح ، وقد رأى ظلا من الغضب فى وجهها : « أشنقینى ! » .. وعندما انفرجت أساريرها قليلا ، أردف قائلا : « والى أن استحق ذلك ، سأظل يا مولاتى مرافقا لك .. وأمینا ! »



♦ **وكان الضباط ، والوزراء ، وكل الموظفين الآخرين فى حكومة الوصاية ، قد دهشوا لرحيل مدام « دو بوجو » المفاجيء ، وراحوا يستقصون أسباب جزعها .. ثم أقبلوا مسرعين الى قلعة ( أمبواز ) ليعرفوا أين حدث التمرد .. وهناك مكثوا على استعداد لبدء المشورة ، حين تستيقظ جلالتها .. فلما غادرت مخدعها ، استدعتهم جميعا لى لا تتهم بأنها خدعتهم ، ثم عرضت عليهم بعض الأمور التى لفقتها تلفيقا ، كى يفكروا فيها ، ويبدو رأيهم بشأنها .. وفعلوا فكروا وأصدروا رأيهم فيما عرضته عليهم ، بمنتهى ما لديهم من حكمة .. حتى اذا انتهى الاجتماع ، أقبل الأمين الجديد كى يلزم مولاته .. واذا رأى المستشارين يقفون متأهبين للخروج ، رجاهم أن يبقوا ليجثوا اشكالا فى القانون يتعلق به ، وبأملاك التاج .. فقالت الوصية على العرش : « استمعوا اليه ، فإنه يقول الحق .. »**



ووقف « جاك دوبون » وقال ، دون أن تهفو بأعصابه رهبة المجلس الموقر : « أيها السادة النبلاء .. لسوف أحدثكم عن قنصور الجوز ، ولكنى أرجو أن توجهوا كل انبباهكم الى هذا الموضوع .. وأن تغفروا لى ركافة أسلوبى : كان أحد النبلاء يسير مع آخر فى حديقة ذات ثمار ، فشاهد شجرة جوز بديعة ، مفروسة بمنتهى العناية ، ونامية نموا رائعا .. وكانت تستهوى النظر والشم ، وان كانت على شىء من قلة الثمار .. وشجرة الجوز دائمة النظرة ، ذكية العبير عادة ، انها شجرة لا يمكنك أن تبارحها اذا رأيتها مرة واحدة .. شجرة حب ، وكأنما هى شجرة الخير والشر ، التى حرّمها الله ، وبسببها طردت أمنا حواء - ومعها السيد الفاضل زوجها - من الجنة .. وقد كانت هذه الشجرة يا سادتى سببا لخلاف بسيط بين النبيل وصاحبه ، وموضوعا للرهان بينهما ، شأن تلك الموضوعات العديدة التى تحدث فى أحيان كثيرة بين الأصدقاء .. فقد تباهى أصفرهما سنا بأن فى امكانه أن يضرب هذه الشجرة اثنتى عشرة مرة بعصا كانت فى يده - كما يفعل كثيرون ممن ألفوا السير فى الحدائق - فيسقط على الأرض ، فى كل ضربة ، ثمرة ، من ثمار الجوز .. »

وهنا التفت الى السيدة ، وهو يقول : « هذا - فيما أعتقد - الاشكال الذى فى القضية »  
فقالت السيدة مندهشة من دهاء وصيفها : « نعم ، يا سادة » .

ثم مضى الخطيب قائلا : « أما الآخر ، فقد راهن على العكس .. وبدأ الأول فسلط عصاه ، متوخيا احكام التسديد ببراعة وحنكة أدخلت السرور والبهجة اليهما كليهما .. وبعون القديسين - الذين كانوا يشاهدون هذه المباراة مبتهجين طروبين ولا شك - راحت تسقط ثمرة من الجوز

فى اثر كل ضربة .. حتى اكتملت اثنتا عشرة ثمرة .. ولكن  
الثمرة الاخيرة كانت - للمصادفة - فارغة ، وليس فيها  
اللب المغذى ، الذى قد يساعد على انتاج شجرة جوز  
أخرى ، لو أن البستاني غرس الثمرة فى تربة حديقته ..  
فهل يكون صاحب العصا - فى هذه الحال - قد كسب  
الرهان ؟ .. احكموا ! »

فقال السيد « آدم فيميه » ، وهو تورينى كان - فى ذلك  
الوقت - يشغل وظيفة حامل الأختام : « ان المسألة واضحة  
جدا .. ان الطرف الآخر لا يملك أن يفعل سوى أمر  
واحد » .. فسأله السيدة : « ما هو ؟ » .. وكان جوابه :  
« ان يدفع الرهان يا سيدتى ! »

**فقالت ، وهى تربت على خد وصيفها : « انه ذكى جدا .  
ولسوف يشنق فى يوم من الأيام ! »**

ولقد قالت ذلك مازحة ، ولكن هذه الكلمات كانت نذيرا  
بالنهاية الحقيقية للوصيف . فقد قدر له أن يصعد الى  
المشقة على سلم العطف الملكى ، بفضل نقمة سيدة أخرى  
كبيرة السن ، وبسبب خيانة مشينة ارتكبها سكرتيره ، وهو  
رجل من ( بالان ) ، كان صنيع نعمته ، وكان أسـمه  
« بريفوست » ، وليس « رينيه جانتيل » ، كما كان البعض  
يدعونه خطأ .. اذ كان هذا التابع الخائن قد سلم - على  
ما قيل - الى مدام « دانجوليم » ، ايصالا بالنقود التى أعطاها  
له « جاك دو بون » ، الذى كان قد أصبح « بارون  
دوسا مبلانسي » وكونت دو لا كارت ، وأزى ، ورجلا من  
رجال الصف الأول فى الدولة .. وأصبح له ولدان ، أحدهما  
كان أسقف ( تور ) ، والآخر وزير المالية ، وحاكم (تورين) ..  
ولكن ليس هذا هو موضوع القصة الحالية .



• أما فيما يتعلق بهذه القصة ، فان مدام « دو بوجو »



— التي جاءتها متعة الحب متأخرة — أفعمها السرور والازدهاء بالحكمة العظيمة ، والمعرفة الفائقة لكل أمور الدولة ، التي كان يتمتع بها حبيبها الذي ساقته المصادفة إليها .. فجعلته أمينا على خزانة العرش ، وهي الوظيفة التي أبدى فيها منتهى حسن التصرف ، فاستطاع — أثناء اضطراره بها — أن يضاعف من أموال سيدته ، حتى أن السمعة العظيمة التي اكتسبها ، وصلت به — بعد ذلك — الى منصب الوزارة ، حيث أصبح منوطا به تسليم إيرادات الدولة ، فعمل كذلك على زيادتها وضبطها بطريقة تدعو الى منتهى التقدير والاعجاب .

ولقد دفعت السيدة الفاضلة الرهان الى وصيفها ، فسلمته اقطاعية (آزى لوبروليه) ، التي كانت قلعتها قد هدمت منذ زمن طويل ، بفعل قنابل الغزاة الأولين ، الذين وفدوا الى (تورين) — كما يعلم كل انسان — ولا بد أن المهندسين الذين اخترعوا تلك الآلات العجيبة ذات البارود ، قد اعتبرتهم الكنيسة من الزنادقة وانصار الشيطان !

وكان المسيو « بوهير » — وزير المالية — قد عني ، في ذلك الوقت ، بتشيد قلعة « شينونسو » .. ولكي يجعلها تحفة ، ويسجل بها طرازا حديثا ، ألقى أسسها ورفع بنيانها في عرض نهر (شير) . فما كان من « بارون دو سامبلانسي » — اذ أراد أن ينافس « بوهير » المذكور — الا أن صمم على أن يقيم له قلعة في عرض نهر (اليندر) ، فسرعان ما ارتفع هذا البناء السامق الذي أصبح درة ذلك الوادي الأخضر الجميل .. وقد أرسيت قواعده المتينة الصلبة بين صخور النهر ، وكلف « جاك دو بون » ثلاثين ألف « كراون » ، دون حسابان العمل الذي أداه عماله الاقطاعيون .. فلما قاربت هذه القلعة على الانتهاء ، أصبحت أبدع وانفس وأتقن قلاع مدينتنا الجميلة (تورين) ، وهي منتصبة في نهر (اليندر)

كمخلوق ملكى ، وقد زينته الزخارف الجميلة ، والنوافذ ذات  
الاطارات الفاخرة ، والنماثيل المطروقة الرائعة فوق طواحين  
الهواء المنصبة على سطوحها ! **غير أن سامبلانسى شئق قبل  
أن يتم بناء تلك القلعة ! ..**

وكان الأمر الذى ادى الى ذلك ، يتمثل فى أن مولاه - الملك  
فرنسيس الأول - نزل مرة فى ضيافته يوما . فلما تأهب  
الملك عند المساء للذهاب الى فراشه - وكان يرافقه الى غرفة  
نومه مضيفه سامبلانسى - تلفت الملك اليه وهو يقول :  
« ان ساعتك قد دقت اثنتى عشرة دقة ، أيها الرجل الكهل ! »  
فأجاب قائلًا : « آه يا مولاي . ان اثنتى عشرة دقة من  
مطرقة أصبحت الآن عتيقة ، - الا انها من سنين مضت ،  
كانت جيدة - هي التى أدين لها بالأراضى التى أملكها ،  
وبالأموال التى أنفقتها لتشييد هذا البناء ، كما أدين لها  
بالوصول الى شرف خدمتكم ! »

فتعجب الملك من هذه الكلمات الغريبة ، وأصر على أن  
يعرف من وزيره معناها . . . واذ اندس جلالته فى فراشه ،  
أخذ « جاك دو بون » يروى له هذه القصة التى ذكرتها  
لك . . فلما سمعها فرنسيس الأول - الذى كان يميل الى  
مثل هذه القصص المأجنة - وجد فيها مادة أثارت اهتمامه .  
اذ تصادف فى ذلك الوقت أن كان الجميع يعرفون أن أمه ،  
دوقة « أنجوليم » - التى بلغت من العمر أرذله - تتعقب  
أحد رجال الشرطة فى ( بوربون ) ، كى تحصل منه على  
واحدة من الاثنى عشرة دقة ، التى روى قصتها جاك دو بون . .  
وكان ذلك حبا أرعن من عبوز حمقاء . . اذ نشأ عنه ما تطورت  
اليه الاحداث من تعريض الملكة للاخطار ، والقبض على  
الملك ، واعدام « سامبلانسى » المسكين ، كما ذكرت من  
قبل !





«برتا» الـ سـ

## ١ - كيف ظلت « برتا » عذراء وهي متزوجة ؟

• كان السيد « امبرت دو باستارنى » ، من كبار أصحاب الاراضى فى مدينتنا الجميلة ( تورين ) . ولما كان القبح يسود خلقته ، فانه كان قليل الثقة بالنساء . ولذلك تقدمت به مرحلة العمر دون ان يتخذ له زوجة ترافقه ، وتترفق به . . . وكان لذلك أسوأ الأثر فى كل أحواله ، اذ أدت به حياة الوحدة الى ان يتناسى مظهره كل التناسى . ومع الزمن لم تعد فى رأسه اية فكرة عن العناية بهندامه ومظهره أمام الناس ، بل كان - على الدوام - ينفق كل وقته فى الحروب ، أو فى مغامرات الأعزاب التى لم يكن ليجد أى رادع يردعه عنها ، أو وازع يدفعه الى تجنبها . . . وهكذا ظل مهملاً فى ملابسه كل الإهمال ، منسحب العرق دائماً تحت اردية القتال ، قدر اليدين ، منتفخ العينين ، يحمل وجهه القروء ! وبإيجاز : كان يبدو أقبح رجل فى العالم المسيحي . .

الا ان كثرة أملاكه ووفرة ما عرف عنه من الثراء ، تجعله فى عين الناس مبجلاً محترماً مستوجباً للاطراء ، وللثناء ، رغم هذه العيوب التى كانت تشوب وجهه وقلبه ومواضع أخرى من جسده . . . وكان على أى واحد من ملائكة السماء - وأرجو ان تصديق ذلك - أن يسير فى طول الأرض وعرضها حتى يملكه اليأس ، دون أن يجد بين الرجال محارباً قديماً أكثر من ذلك الرجل شجاعاً وشهامة فى القتال وفى سائر الأحوال . . . ودون أن يجد سيلاً أكثر منه طهارة ذيل ، أو عفة قول ، أو صدق عاطفة ، أو نبيل خصال !!

وفضلاً عن ذلك كله ، فقد روى بعض الناس انهم سمعوا انه كان ذا مشورة حكيمة ، ونفس حليلة ، وكان صاحب



فضل وفضيلة ، وما من لاجيء لجأ اليه في أشد أوقات الضيق والعناء ، الا وجد لديه النجدة والمعونة والوفاء . . فهل ياترى كانت تلك سخريّة من الله - الذى برفه عنا أحيانا ببعض المداعبات - أن يمنح كل هذه الحسنات لرجل أشاع في خلقته كل هذا القبح ؟ !

وعلى أية حال ، فإن السيد باستارنى ، رأى أخيرا - وقد بلغ الستين حسب مظهره ، وان ظل فى الخمسين فى الواقع - أن يتكل على الله ويتخذ له زوجة . . كى تنجب له النسل !

\*\*\*

• وفيما هو يذرع الأرض باحثا عن مكان يجد فيه سيدة لائمه ذوقه ، سمع ثناء مستطابا على محاسن آنسة من بنات سرّة « روهان » الشهيرة ، التى كان لها فى ذلك الحين بعض الأملاك فى النواحي المجاورة . . وكانت هذه الانسة تدعى « برتا » وهو اسم التدليل الذى كانوا يطلقونه عليها . . فلما رآها السيد « أمبرت » - فى قلعة ( مونت بازون ) - وبهره جمالها الفاتن ، وما كان يتلأل فى عينيها من براءة وطهر ، استولت على قلبه رغبة جارفة فى أن يحوزها لنفسه ، فقرر وبين نفسه - قرارا لا رجعة فيه - أن يتخذها زوجة . اذ استقر فى اعتقاده ان فتاة لها مثل هذا المحتد الرفيع، يمكن ان يبدر منها أى تقصير فى واجبها ، أو أن تمس سريتها شائبة ، سواء فى السر أو العلن . وسرعان ما احتفل بالزفاف، اذ كانت لعميد أسرة « روهان » سبع بنات ، وكان لا يدرى كيف يكفل لهن القوت ، فى الوقت الذى لم يكن الناس فيه قد فاقوا بعد من صدمة الحرب الأخيرة ، أو تيسرت أمامهم الفرص يصلحوا شأن ما تصدع من أحوالهم !

ويا لفرحة الرجل الفاضل « باستارنى » اذ تبين - أول تبين - أن عروسه انما كانت فى الحقيقة عذراء لم يسبق أن

مسها بشر .. مما أكد له كرم محتسبها ، وشرف مولدها ،  
ونبل أهلها ، وطهارة ذيلها ! .. إلا أنه - لكى يصل الى اكتشاف  
هذه الحقيقة - كان فظا غليظا معها ، بل كان مخيفا ، حتى  
لقد حقق أمنيته الأولى من وراء الزواج منذ أول ليلة .. اذ  
سرعان ماتحقق - بعدها - من أنفى أحشاء العروس جنيئا ..  
ثم ما هي الا تسعة أشهر حتى وضعت ولدا ! .. ولنذكر هنا  
- وان كان هذا بعيدا عن سياق القصة - أن ذلك الولد هو  
الدوق « دو باستارنى » ، الذى تلقى لقبه الرفيع عن مولاه  
لويس الحادى عشر ، وكان كبيرا لأمنائه ، وسفيرا له فى كثير  
من دول أوروبا .. وكان جد مقرب الى ذلك الملك الطاغية ، كما  
كان شديد الولاء له ، اذ ورث غريزة الوفاء عن أبيه الذى كان  
منذ شبابه الباكر وقيق الاتصال بهذا الملك - عندما كان وليا  
للعهد - فلازمه فى كل مراحل حياته وفى كل هزائمه  
واننصاراته .. حتى فى عصيانه ، وتوراته .. وكان ذلك الوفاء  
نمرة صداقة وطيدة الأساس ، من النادر أن توجد فى نطاق  
الأمراء ، وعظماء الناس !

أما السيدة الحسناء زوجة « باستارنى » ، فقد أظهرت  
- فى مبدأ الأمر - منتهى الولاء والاخلاص لزوجها ، حتى أنها  
سرعان ما أفلحت فى أن تشتت شمل تلك الأبخرة القائمة  
والغيوم المتراكمة التى كانت تخيم على عقل الرجل ، وبرهنت  
على طهارة الجنس النسائى ، فاذا به - على عادة المتشككين -  
ينتقل دفعة واحدة من الشك المطلق ، الى اليقين الذى ليس  
بعدد يقين .. حتى لقد أسلم شئونه الخاصة الى « برتا » ،  
وجعل لها السيطرة على كل أمواله وأفعاله ، وأقامها رقبيا على  
تصرفه ، وحارسا على شرفه ، وأجلسها ملكة على قلبه ولبه ،  
وكان خليقا أن ينبع - بلا تردد ولا جدال - أى مخلوق يفوه  
بكلمة شريرة ضد مرآة الفضيلة هذه ، التى لم تطف بجسدها



**أنفاس رجل آخر ، غير الأنفاس الواهنة المنبعثة من زوجها الشرعى !**

ولكى نقرر الحقيقة فيما يتعلق بكل الأمور ، ينبغي لنا أن نذكر أن السيد « باستارنى » - بهذا السلوك الفاضل المستقيم الذى سلكه مع زوجته - قد أخلى السبيل أمام ابنه الصغير ، الذى اسنحوز - خلال ست سنوات - على كل اهتمام أمه ، فكان الشغل الشاغل نهارا وليلا لتلك الأم الجميلة التى راحت تغذيه بلبنها وحنانها ، وجعلت منه ريبيا وحبيبا ، تسلمه تديها الحلوين يمتصهما - متى شاء - فى نهم ، وكان - كمثلى عاشق وامق - لا يفلتها من يده أبدا . . وما عرفت هذه الأم اللطيفة العفيفة متعة أخرى فى الحياة غير ما كانت تبعته فيها شفتاه الورديتان . . ولا مداعبة غير مداعبة يديه الصغيرتين الظريفين اللتين كانتا تجريان على جسدها كأقدام قطيطة لعب . . ولا كانت تقرأ فى كتاب آخر غير ما كان ينطبع على عينيه البريئتين اللتين كانت تنعكس فيهما زرقة السماء . . ولا كانت تصفى الى موسيقى غير صوت بكائه الذى كان له فى آذانها وقع همسات الملائكة . . وكانت على الدوام تناغيه ، وتناجيه ، وتدغدغها الرغبة الملحة فى أن تقبله فى الفجر مع طلوع الضياء ، وأن تقبله فى الضحى ، وأن تقبله فى المساء ، وأن تصحو من نومها فى هدأة الليل كي تقبله بشفتين نهمتين . . فجعلت من نفسها طفلة كي تجارى طفولته ، ونشأته خير تنشئة ، وكأن تربيته كانت لونا من التعبد . . فكانت أسعد أم عاشت على وجه البسيطة !



• **وكان ذلك الانشغال ، وما الفنه « برتا » فى الأمومة من هناءات ساذجة ، مبعثا للسرور والبهجة فى قلب الرجل المسن ، الذى كان خليقا بأن يعجز عن أن يستجيب لزوجته المشبوبة**

العواطف ، وان يحرص على تطبيق مبادئ الاقتصاد ، كي يدخر من قوته الواهنة مقداراً يمكنه من ان ينجب طفلاً ثانياً ! حتى اذا مرت ست سنوات ، اضطرت الأم اضطراراً ان تسلم ابنها للمربين وغيرهم ، ممن عهد اليهم السيد « باستارنى » مهمة صوغ الولد فى قالب يؤهله لان يغدو خير خلف لأبيه ، وان يرث كل خصائص سلالة وفضائلها وشجاعتها ، كما يرث أملاكه واسمه

**اذ ذاك سفكت (( برتا )) دموعاً غزيرة ، وكانما انتزعت سعادتها منها . فما كان ثمة من يشغل فى قلبها الكبير ما تركه ذلك الابن الحبيب من فراغ . وهكذا أصبحت تسدو - على الدوام - حزينه مضطربة النفس . . حتى اذا لاحظ زوجها النبيل حزنها وحسرتها ، قرر ان يهبها طفلاً آخر ولكنه عجز . . فازداد هم السيدة المسكينة ، واعلنت ان انجاب طفل يتعبها جداً ، ويكلفها من المشقة كثيراً . . ومع ذلك فقد ذهب تعبها بغير نتيجة ، وكانت مشقتها فى غير طائل ، فراحت تندب حظها !**

والواقع انها كانت على حق ، والا فلن يكون هنالك حق ابداً . . اذ ان الرجل الطيب « باستارنى » لم يكن شاباً رقيقاً رشيقاً خفيف الظل ذا طبيعة محبة ، وعلى دراية بلوازم الأشياء . . لم يكن يرهق نفسه كثيراً فى اختيار الطريقة التى يقتل بها جندياً ، مادام قد قرر على أى حال ان يقتله . . انه ليتجه اليه مباشرة ويقتله بضربة واحدة دون ان يمهّد لذلك أى تمهيد ، أو ان يقول لضحيته قبل ذلك كلمة واحدة تفيد الوعيد أو التهديد . . وكان مسلكه هذا - فى منح الموت فى ميدان القتال - هو ذات مسلكه فى منح الحياة وانجاب أطفال . . فقد كان على تمام الجهل والغفلة بتلك الترتيبات المثيرة ، التمهيدية ، البطيئة ، المتراخية ، وتلك المداعبات اللطيفة الظريفة ، الناعمة الناعسة . . وحزم الحطب الصغيرة التى تلقى



في الموقد كى تشعل ناره ، وتأجج بالتدريج أواره . . والعساليج  
الرطيبة المعطرة التى تتجمع شيئاً فشيئاً في حدائق الحب . .  
والغزل ، والتقبيل ، والعناق ، وهمسات الغرام ، ودغدغة  
ثمار الكرز بالشفاه وبالألسنان . . وغير ذلك من حيل وأساليب  
يجيدها الجريئون في العشق ، وتهواها النساء أكثر مما يحببن  
خلاص نفوسهن ، لأن فيهن من القطة أكثر مما فيهن من حواء . .  
وهذه حقيقة تشع بها أساليب الانوثة ، فإن كنت في شك من  
ذلك فراقبهن وهن يتناولن طعامهن - مثلاً - فما من واحدة منهن  
تضع ملعقتها في الطبق الذى أمامها ، ثم تبدأ عملية الأكل مباشرة  
- كما يفعل الذكور - في خشونة ، وفي غير ظرف ولا رقة . .  
وانما هن يقلبن الطعام يمينا ويساراً ، وينبشن ما في الطبق  
هنا وهناك . . فلا يأخذن مما أمامهن الا القطع التى تروقهن ،  
ويمتصصن المرق ، ويلعبن بالشوكة والسكين وكأنهن ينتظرن  
- كارهات - أوامر قاض يتحكم في حركاتهن وهكنا في كل شيء  
لا يقصدن مباشرة الى الهدف ، وانما لا يفتآن يستعملن كل  
وسائل المكر ، وأساليب الخداع ، وأحاييل الدهاء والالتواء . .  
فلا يصلن الى الغاية الا بعد عذاب وعناء !

تلك هى طبيعتهن ، ولذلك فإن أبناء آدم يفرمون بهن ، اذ  
يجدونهن يفعلن كل شيء بطريقة تخالف الطريقة التى يتبعونها  
هم . ولو انهن حذون حذو الرجال ، لاجتنبوهم ، وملوا  
عشرتهم !

\*\*\*

♦ **واذ كان « باستارنى » محارباً قديماً جاهلاً بأساليب**  
الحب ، فقد راح يفتح حديقة « فينوس » ، كما يفتح احدى  
قلاع الأعداء ، بلا تمهيد ولا استئذان ولا استرضاء ، غير  
مكثرث اى اكتراث بالدموع التى كانت تذرفها « برتا » ، وهى  
لا تملك في محنتها الا أن تصرخ الى الله أن يساعدها على احتمال

الزواج . . وما فيه من ألم ليس له علاج !  
ولذلك فقد عاشت المسكينة في وحدة تامة ، وانطوت على  
نفسها كراهبة ، وأصبحت تكره مجتمع الرجال وتنفر منه ،  
وان لم يتبادر اليها الشك أبدا في أن خالق العالم قد أودع  
سعادة عظمت في تلك العلاقة الزوجية التي لم يصبها منها الا  
الألم والتعاسة المنقطعة النظير . . الا أنها كانت تحب صغيرها  
أكثر من كل شيء ، فهو الذي كبدها - حتى ولدته - أشد  
أنواع العذاب . فلا تأخذك الدهشة اذن ، اذ تراها قد آثرت  
الانزواء والاعتكاف ، والبعد والزهد في تلك الرحلة التي تكون  
فيها المرأة هي الفرس ، ولكنها - مع ذلك - تسيطر على  
فارسها ، وتقوده ، وترهقه ، وتمزقه من الغضب لو أنه ضعف  
أو تخاذل أو استرخى !

**تلك هي القصة الحقيقية لبعض الزيجات التعيسة التي  
يكون أحد طرفيها ممن فاتهم قطار الشباب ، ودلفوا بأقدامهم  
أبواب الخريف . . وذلك هو السبب الصحيح لتلك الحماقات  
التي ترتكبها بعض النسوة اللاتي يدركن بعد فوات الأوان أنهن  
قد خدعن ، وحينئذ يحاولن أن يحشدن في يوم واحد كل  
ما فاتهن من مباهج الحب ، ليحصلن دفعة واحدة على كل  
نصيبهن في الحياة !**

هذا بحث فلسفي يا أصدقائي ، فتأملوه جيدا ، لكي تنفذوا  
بحكمة وفهم الى طبيعة زوجاتكم ، وحبيباتكم ، وكل الإناث  
على العموم . . ليحفظكم الله منهن !

كانت « برتا » عذراء في الواقع ، وان غدت أما . . وكانت  
قد بلغت في ذلك الحين الحادية والعشرين من عمرها ، فتفتحت  
أنوثتها كزهرة يانعة . . والحق أنها كانت مفخرة رجلها الفاضل ،  
وزينة المقاطعة كلها . . أما « باستارنى » فقد كان يستشعر  
اللذة العظمت في مشاهدة الطفل وهو يروح ويغدو ، ويمرح  
ويطفر ، غضا كفصن الصفصاف . . ممتلىء الأعطاف بالحيوية



ككلب البحر .. كثير الصخب ، دائب الصياح كالطائر الصдах !  
وكانت « برتا » في ذلك الوقت تقيم في قلعة زوجها - بالقرب  
من مدينة ( لوشيه ) - لا تبدى أية رغبة في أى مظهر من  
مظاهر الحياة الاجتماعية ، اللهم الا أن تهتم بواجباتها المنزلية  
حسب عادة سيدات البيوت الفاضلات في تلك الأيام .. وهى  
تلك العادة الحميدة التى هجرتها الزوجات واقلعن عنها منذ  
جاء الايطاليون - بناء على رغبة الملكة كاترين - بمراقصهم  
وملاهيهم .. والىها انصرف فرانسيس الأول وخلفاؤه ، مما  
ألحق أبلغ الضرر بفرنسا .

وفي ذات يوم من تلك الأيام ، وصلت الى السيد « باستارنى »  
والسيدة زوجته دعوة من الملك ليأتيا الى ( لوشيه ) ، حيث  
كان جلالته مع حاشيته .. فما أن وصلا الى البلاط ، حتى  
أثار جمال « برتا » ضجة كبرى فى كل الأوساط : وقد بهرت  
فتنتها عينى الملك ، وأصبحت منذ اللحظة الأولى قبله أنظار  
كل النبلاء .. فاما الشباب منهم فقد جعلوا وليمة عيونهم  
تفاحة الحب هذه ، وما فتئوا يتهايمسون بشأنها ، دون كلل .  
وأما الشيوخ ، فقد راحوا يدفئون أجسادهم المقرورة فى حرارة  
هذه الشمس ! .. الا أنك ينبغى أن تكون واثقا من أنهم جميعا  
- شيبهم وشبابهم - كانوا على تمام الاستعداد لأن يعانون  
ألم الموت ألف مرة ، فى سبيل مرة واحدة ينالون فيها تلك  
الثمرة الشهية التى تخطف أبصارهم ، وتبليبل افكارهم .. مما  
أثار حفيظة سيدات كثرات كن محرومات من ذلك الجمال  
الباهر الذى وهبه الله بسخاء لهذه الحسناء ، حتى لقد  
كن مستعدات لأن يضحين بالبقية الباقية من شرفهن ، فى  
سبيل ارجاع هذه - التى اشعلت فى أبدان الرجال نار  
الأشواق ، وشغلت عنهن قلوب الاخدان والعشاق - الى  
بيتها !

وكان من بين هاتيك النسوة عادة علمت أن أحد عسافها قد وقع في حب « برتا » ، فاملاً قلبها بحقد أدى الى كل ما أصاب زوجة « ياسارنى » من مصائب ، وان انبثق من نفس المنبع هناؤها ، وتوصلها الى دنيا الحب الذى كانت تجهله . . فلقد كان لتلك السيدة الشريرة قريب اعترف لها - بمجرد أن رأى « برتا » - باستعداده لأن يموت فى مقابيل شهر من السعادة يقضيه عشيقاً لهذه الحسناء ! . . وليكن فى علمك ان ابن العم هذا كان من الملاحاة بقدر ما للحسناء من جمال . . كان أملس الخدين ، أمرد الوجه نضيره ، عذب الملامح . دا طراوة فى خصره ، ورخاوة فى تعبيره وشعوره وكل أمره . . وكان بالكاد قد بلغ العشرين من عمره !

فقالت له : « يا ابن عمى العزيز ، انطلق من هنا ، واذهب الى بيتك ، ولسوف ابذل كل جهدى فى أن أنيلك هذه المتعة التى تسهيها . . ولكن حذار أن تدع السيدة تراك ، أو أن تراك وجه القرد هذا ، الذى اتصل بجسد انسان ، بغلطة من غلطات الطبيعة ، والذى تنمى اليه هذه الحورية الحسناء ! » وما أن خرج الفنى ، حتى أقبلت السيدة على « برتا » تقرب اليها ، وتقول لها : « يا صديقتى ، يا كنزى ، يا نجمى الجميل ! » ، محاولة بكل وسيلة أن تستميلها اليها ، حتى تجعل انتقامها منها آخر الأمر بعيد الأثر ، أكيد المفعول . . وبعد حديث قصير ، أدركت الماكرة أن « برتا » لم تكن الا عذراء فى شئون الحب . . اذ رأت فى عينيها ذلك الماء الشديد الصفاء ، الذى لا يكون الا فى عيون العذارى ، ولم تلمح أثراً للهو والعبث ، ولا غضونا تتخلل الجبين دليلاً على السهد والفضنى . . وقصارى القول ان وجهها لم يكن يحمل شيئاً من امارات المجون ، بل كان فى صفاء وجه الفتاة العذراء . واذ ذاك ، وجهت الفادرة الى « برتا » بعض اسئلة فى شئون النساء ، فاستوثقت تماماً - من اجاباتها - بانها كانت محرومة



### من انائد الحب ، وان حظيت بنعمة الامومة !

وهنا سرت الخبيثة سرورا عظيما ، من أجل حظ ابن عمها . . فتأمل مدى طيبتها ! . . وتحولت الى « برتا » قائلة لها انها كانت ثمة آنسة جميلة ونبيلة من أسرة « روهان » ، تقيم في ( لوشيه ) ، في أشد الحاجة الى معونة سيده ذات مركز رفيع ، لكي توفق بينها وبين السيد « لويس دو روهان » . . ثم اقبلت تناسدها - اذا كان لديها من طيبة القلب بقدر ما أعطاها الله من الجمال - ان تصطحب هذه الأنسة الى قلعتها ، كي تتأكد بنفسها من طهارة ذيلها ، وتوفق بينها وبين السيد روهان ، الذي كان يرفض مقابلتها . . وقبلت « برتا » ان تقوم بهذه الخدمة ، دون أى تردد ، اذ كانت قد علمت ، من قبل ، بمجن هذه الفتاة - التى كانت تدعى « سيلفيا » - وان لم تكن قد رأتها أو تعرفت اليها ، اذ كانت تظنها مقيمة فى بلد أجنبى !



• ولعل من الضرورى أن نذكر هنا السبب الذى من أجله وجه الملك دعوته للسيد « باستارنى » . . اذ كان الشك قد انتاب الملك فى فرار ابنه - ولى العهد - الى ( برجانديا ) ، ولذلك فقد شاء أن يحرمه من مستشاره الحكيم « باستارنى » ، بأن يعوقه عن أن يلحق به . . الا أن ذلك الرجل المحنك - الذى لم يكن لاخلاصه للامير الصغير حد - أدرك غاية الملك وأبى الا أن يفسد عليه غرضه ، فقرر أن يأخذ « برتا » ويعود الى قلعته . . الا أنها ذكرت له - قبل رحيلهما - أنها اتخذت لها رفيقة، وقدمت تلك الرفيقة اليه . . وما كانت تلك سوى العاشق الشاب ، الذى كان - بمساعدة ابنة عمه التى دبرت المكيدة له - قد تنكر فى ملابس فتاة ! . . وأجفل الزوج قليلا ، اذ علم ان تلك الفتاة هى « سيلفيا

دو روهان « . الا أنه سرعان ما تأثر بعطف « برتا » وشفقتها . فلم يسعه . من يم - الا أن يبدي لزوجته الشكر والامتنان لسعيها في أن تعيد تهاد ضالة الى حظيرتها وعاد مع زوجته ورفيقنها الى القلعة . ثم حانت الليلة الأخيرة . النى ارمع أن ينطلق - بعدها - ليلحق بولى العهد فى ابرجانديا . . . وكان منقول القلب شديد القلق نحو « برتا » العزيزة . النى فسرتة الظروف على أن يفادرها ليخوض غمار مغامرته الخطيرة . واذ نملكه الخوف عليها أثناء غيبته ، خصص فرقة كاملة من الرجال المسلحين لحراستها ، غير دار انه كان ثمة عدو أشد خطورة من كل أعدائه فى عقر داره اذ كان وجه الفتى غير معروف اليه ، لأنه لم يكن قد نررد على البلاط الا من مدة قصيرة ، اذ جاء به الكاردينال « ديثوار » ، الذى أعجب به منذ كان يعمل فارسا تحت امرته . .

**ولما كان السيد « باستارنى » قد اعتقد أن الفتى كان فتاة فعلا - كما بدا له وهو فى تنكره - فقد أعجب أعجابا عظيما بما كان يبديه من حشمة وبراءة . . والواقع أن الفتى كان يخشى أن تفصح لغة عينيه عن حقيقته ، فكان يسبل اجفانه على الدوام ، شأن العذارى الطاهرات ، ذوات الخفر والحياء !** ويا لفرحة العاشق الولهان حين أغلقت أبواب القلعة خلف الزوج الكهل ، الذى انطلق بجواده بين المزارع والغدران ! . . فلقد كان ذلك المغامر نهبا للخوف والقلق - طيلة الوقت - خشية أن يفصح الزوج سره فيقتله شر قتلة ، قبل أن ينال بغيته ، حتى لقد نذر بينه وبين نفسه نذرا الى القديسين : أن يبني عمودا على نفقته فى كاتدرائية ( تور ) ، اذا هو نجا بجلده من ذلك الموقف الخطير ، كما وعد بأن يدفع خمسين جنيها ذهبيا لله ، شكرا له على ما أنعم به عليه من مسرة لم يحظ بها انسان . . ولكن ، وا أسفاه ! . . فقد كان عليه أن يدفع مثل



عده النذر للشيطان كذلك . . كما يبدو ذلك من الوقائع التالية  
لنى انتهت اليها الأمور ، لو انك شئت أن تتابع القصة كى  
علم كيف انتهت الأمور !

## ٢ - ماذا فعلت برتا اذ عرفت حقيقة الحب ؟

• كان هذا الشاب المقامر هو السيد « جيهان دو ساشيه » ،  
بن عم السيد مونت مورنسى ، الذى آلت اليه بوفاة جيهان  
- فيما بعد - ضياع ( ساشيه ) وغيرها ، حسب نظام  
لاقطاع .

وكان « جيهان » - فى ذلك الحين - قد بلغ العشرين من  
عمره ، متوهجا متأججا كالفحم المشتعل ، ومن ثم فلا بد أنك  
دركت انه كان مقدما على مهمة شاقة !

وبينما انطلق السيد « باستارنى » بجواده بين الفيافي  
والبقاع ، تعلقت ابنتا العم بقضبان الباب ، كى تتبعاه ببصرهما  
طول فترة ممكنة ، وتلوحا له بإشارات الوداع . . حتى اذا  
انقسع الغبار الذى أثارته حوافر الجواد قالت « برتا » الى  
« سيلفيا » المزعومة :

« يا ابنة عمى العزيزة ، ماذا عسانا أن نفعل الآن ؟ هل  
نحبين الموسيقى ؟ تعالى اذن نعزف ونغنى بعض مقطوعات  
الشعر العذب القديم . . تعالى الى ارغنى . . ان كنت حقا  
تحبيننى فتعالى وغنى ! »

ثم أخذت « جيهان » من يده ، وقادته الى الأرغن ، حيث  
جلس على المقعد الصغير فى رشاقة النساء ، وراح يداعب  
أصابعه مفاتيح الآلة الموسيقية ، حتى اذا انبعث منها أول  
لنغم ، أدار الفتى عينيه نحوها كى يبدآن الغناء معا ، فصاحت  
رتا قائلة : « آه يا ابنة عمى ، ان لك نظرة رائعة فى عينيك ! . .  
أنك لتثيرين شيئا لا أدري ما هو فى قلبى ! » .

فأجابت سيلفيا : « آه يا ابنة عمى ، لقد كانت هاتان العينان  
سبب كل ما عانيت ، اذ أن سيدا فاتنا من الأرض - الواقعة



عبر البحر - قال لى منذ ايام قليلة ان لى عينين جميلتين ،  
وانهال عليهما بقبلات عذبة جعلتنى اسستلين ، اذ احسست  
بسعادة لا حد لها ، ولا احسست فى كل حياتى مثلها ! «

- يا ابنة عمى ، افيدا الحب - اذن - فى العينين ؟  
فقال العاتق . ملقيا اليها بالنار واللهب : « فيهما تصاغ  
سهام كيوبيد يا عزيزتى برتا ! »  
- دعينا نستمر فى أغنيتنا !

ونزولا على اقتراح جيهان ، انطلقتا ترددان أغنية « كريستين  
دو بيزان » ، التى كانت كل كلمة فيها تتأجج بالحب . حتى  
اذا توقفنا قليلا قالت برتا : « آه يا ابنة عمى ، يا لصوتك من  
عميق ورقيق ! .. انه لينفذ الى أعماقى ! »  
فقالت سيلفيا قليلة الحياء : « الى اين ؟ »

فأجابت برتا : « هنا » .. ثم أشارت باصبعها الى جنبها  
الأيسر ، حيث تجاوب أصدااء الحب .. واستطردت قائلة :  
« دعينا يا ابنة عمى من الغناء ، فان له تأثيرا شديدا فى نفسى ،  
وتعالى هنا قرب النسافة ، حيث نمضى فى التطريز حتى  
المساء ! »

- آه يا شقيقة روحى ، اننى لاجهل كيف أمسك الابرة



بين أصابعى !

— كيف ذلك ؟ .. فماذا تفعلين اذن طيلة ايامك ؟  
— أواه ، أننى لأستسلم لتيار الحب الذى يجعل الأيام  
تمضى كحظرات ، والشهور تمضى كأيام ، والسنين تمضى  
كشهور .. فاذا قدر له ان يدوم ، لتدفق فى الخلود ، كشراب  
التوت ، حلو المذاق ، بهيج الألوان ، عذب الألحان .. ممتلئاً  
بالحياة وبالحنان !

وأسبل الفتى جفنيه الجميلين وبدا حزينا كسيدة تعيسة  
هجرها حبيبها ، فهى تبكى فراقه وتتمنى أن يعود فتقبله  
وتصفح عن غدره ، اذا ما سعى الى ما اعتاده من عناق شهى !  
فسألت برتا قائلة : « يا ابنة عمى ، هل يزدهر الحب  
بالزواج ؟ »

فاجابت سيلفيا : « كلا يا ابنة عمى ، لأن كل شيء يتم — فى  
الزواج — باعتباره من الواجبات .. فى حين ان كل شيء يتم  
— فى الحب — بمحض اختيار القلب .. وهذا الفارق يكون  
كالبلسم الناعم لتلك العناقات والمداعبات ، التى تعتبر زهورا  
للحب ! »

— يا ابنة عمى ، فلنغير الحديث ، فانه يؤثر فى قلبى أكثر  
مما أثرت الموسيقى !

ثم طلبت الى الخادمة أن تأتى اليها بولدها ، فلما رآته سيلفيا  
أقبلت عليه قائلة : « آه ، ها هوذا العزيز الصغير .. انه  
لجميل مثل الحب ! » .. وانحنى فطبعت قبلة حارة فوق  
جبينه الوضاء . وتسلى الطفل الى حجر أمه ، فأخذته فى  
حضانها ، وراحت تهدده قائلة له : « يا صغيرى ، أنت سعادة  
أمك .. أنت فرحتها الصافية ، وبهجة كل ساعاتها .. أنت  
تاجها ، ودرتها ، واللؤلؤة الحقيقية الوحيدة .. أنت روحها  
البريئة ، ونجمها الساطع بالليل وبالنهار .. أنت شعلتها  
المتوهجة ، وحبيب قلبها .. هات يديك اللتين أشتهى أن

آكلهما .. هات أذنك لادغدغهما .. هات رأسك لأقبل  
خصلاتك .. فلتسعد يا نمرّة بدنى الحلوة ، حتى أكون  
أنا سعيدة أيضا ! »

فقالت سيلفيا : « آد يا ابنة عمى .. أنك لخاطبينه بلغة  
الحب . »

— هل الحب طفل اذن ؟

**فأجابت : « نعم يا ابنة عمى .. ولذا فقد اعتاد الوثنيون  
ان يصوروه كطفل صغير »**

وهكذا ظلت ابنتنا العم تنسليان بترديد أوصاف الحب  
الجميلة حتى وقت المساء ، وهما تداعبان الطفل .. وفي  
احظه انسجام بينهما ، همس جبهان فى أذن برتا وهو يلثمها  
بسفيه قائلا لها :

**« ألا تشمتين طفلا آخر ؟ »**

فظافت موجه من الأسى فى عينى برتا وأجابت قائلة : « آه  
يا سيلفيا ! اننى لأحتمل مائة سنة فى الجحيم ، لو شاء الله  
أن يهبنى هدد السعادة .. الا أنه على الرغم من كثرة الاجتهاد  
والاجهاد الذى يثابر عليه زوجى — ويؤلمنى من جرائه أشد  
الألم — فان أحسائى ظلت فارغة .. واحسرتاه ! اننى لم  
أوت سوى طفل واحد ، فأصبحت أخاف عليه من مرور  
الزمن ، فأصبحت أخاف قلبه من مرور النسيم ، واذا سمعت  
صرخة فى القلعة ، أو شك قلبى من شدة الوجيب أن ينفجر ..  
ولقد غدوت أخشى الانسان والحيوان ، خوفا على هذا الصغير  
الحبيب .. فما عدت أعيش لنفسى ، وإنما أنا أعيش به ولأجله ! »

واذ قالت هذه الكلمات احتضنته ، وضمته الى صدرها فى  
قوة روحية لا تحسها سوى قلوب الصغار ، ولا تدركها الا  
الأمهات .. فان كنت فى شك من ذلك ، فراقب قطعة وهى تحمل  
قطيطاتها فى فمها ، دون أن تموء واحدة منهن !



\*\*\*

♦ أما الفارس الشاب - المختفى تحت نسياب أنسى - فان هذا الحديث طمأن خاطره ، بعد أن كانت المخاوف تراوده ، في سعيه الى أن يروى هذد الحسناء بماء الحب ، وأن يلقي البذور في ذلك الوادى الخصيب . . ولم يعد يرى سوى أنه لن يكون الا منفذا لارادة الله ، اذا ما قاد هذه القديسة الى جنة الحب ! . . فلما جاء المساء وحان موعد الرقاد ، أقبلت « برتا » على ابنة عمها نسألها - على مقتضى التقاليد القديمة - ان ترافقها في فراشها . . فأجابت سيلفيا - سادرة في اتقان دور العذراء الكريمة المحتد - أنه ما من شيء يسرها أكثر من هذا !

وهكذا اصطحبها « برتا » الى غرفة نومها الفاخرة ، المزدانة بالأسطة الثمينة ، والطنافس الرائعة ، والأغطية الحريرية ذات الألوان الساطعة . . وهناك بدأت « برتا » تخلع عنها ملابسها - في رشاقة - تعاونها في ذلك وصيفاتها . . أما رفيقتها ، فلعلك قد حذرت أنها رفضت خدمات هاتيك الوصيفات في احتشام ، وقالت لابنة عمها - وقد احمر وجهها قليلا - أنها قد اعتادت أن تخلع ثيابها بنفسها منذ غاب عنها عشيقها الحبيب الذى كان يؤدي هذه المهمة بأسلوبه الرقيق . . ومن ثم فإن هذه الأمور تعيد الى خيالها ذكرى تلك العبارات العذبة التى كان يهمس بها في أذنيها وتلك المداعبات اللذيذة المريحة التى كلن يحيطها بها - وهو يمثل دور الوصيفة - فتعذبها الذكرى ، وتؤجج شوقها !

فلما سمعت « برتا » هذه الكلمات ، عجبت لها . . وبينما كانت ابنة عمها تصلى ، راحت هى تعد العدة لقضاء الليل ، تحت ستائر السرير الذى لم يلبث الفتى - المتأجج الشهوة - ان ارتقى عليه وقد أسعده ان يحظى بلمحات خاطفة لمحاسن

العاده . النى كانت آمنة مطمئنة ، اذ كانت تخال نفسها مع فتاة مثلها ، فلم تتخل عن شىء من عاداتها ، وراحت تفسل قدميها البديعتين حتى أعلاهما ، وتكشف عن نحرها ، وتفعل كل ما تفعله النساء ، حين يأوين الى مضاجعهن . واخيرا ، استلقت على السرير ، واسترخت فى ارتياح ، ومالت على ابنة عمها تقبلها ، فاذا بها تحس لشفتيها حرارة قوية . فسألتها جزعة : « أتشعرين بوعكة يا سيليفيا ؟ .. انك دافئة ! »

فأجابنها زميلتها : « ان النار تدب فى جسدى هكذا حينما أتأهب للنوم عذبة .. اذ تعاودنى ذكريات تلك المداعبات اللطيفة ، التى كان حبيبى يبتكرها لارضائى ، والتى لا تزال تذكى اللهب فى جسدى ! »

— آه ، يا ابنة عمى ، فصى على كل شىء عنه .. قولى لى كل شىء عن ملذات الحب الذى لا أعرفه ، والذى تحول بينى وبين حرارته ثلوج رأس اشيب .. حدثينى فتفضضى عن نفسك ، كما تكسبينى حذرا وبصرة ، ويصبح حديثك درسا مفيدا لكلينا ! »

فقال الفتى : « لست أدري ما اذا كان لى ان أطيعك يا ابنة عمى العزيزة ! »  
— ولم لا يا ابنة عمى ؟

وحينئذ نددت عن العذراء المزعومة آهة عميقة تحكى عويل الأرغن ، وقالت : « آه ، يا ابنة عمى ، ان الأفعال أكثر لذة من الأقوال .. ولكننى أخشى الا يكون فى مكنتى أن اذيقك مثل اللذة العظيمة التى أذاقنى اياها ذلك الحبيب ! »

فقالت برتا : « ولكن هل يكون الأمر خطيئة ، اذا جرى بينى وبينك ؟ »

— بل انه — على العكس — يكون قسرة فى الأرض والسماء .. لسوف ينفث الملائكة عبرهم المعطر حولك ، ويسكبون موسيقاهم العذبة فى أذنيك !



فقلت برتا : « اذن أريني كيف أحبك حبيبك ! »  
 وحينئذ أخذها جيهان بين ذراعيه وضمها الى قلبه ، وكانت  
 في ثوب نومها كزنبقة من زنابق الحقل ترقد بين السوسن ،  
 ثم راح يهمس في أذنها قائلاً لها : « حينما كان حبيبى يضمنى  
 كما أضمك الآن ، كان يقول لى بصوت يقطر منه الشهد : « آه  
 يا حبيبتى .. أنت حبى الخالد ، وكترى الغالى .. أنت مسرة  
 بالنهار ، وبهجة بالليل ، بل انك لأنصع من النهار ضياء ، وليس  
 فى الدنيا أجمل منك يا حبيبتى .. أنا أحبك أكثر مما أحب  
 الحياة ، وانى لاتحمل ألف ميتة ، فى سبيل السعادة التى  
 اسألكها ! » .. ثم كان يقبلنى ، لا كما يفعل الأزواج - فى  
 خشونة - وانما بطريقة خاصة »

**ولكى يريها صدى عذوبة أسلوب العاشق ، راح يمتص كل  
 الرحيق الذى فى شفيتها ، ثم انتقل بنار قبلاته من فمها الى  
 نحرها ، ومن نحرها الى أبداع تحفتين أسلمتهما أم لطفها كي  
 يطفى ظمأه ..** وحينئذ صاحبت برتا قائلة : « آه يا ابنة عمى ،  
 ان هذا أفضل .. يجب ان أخبر أمبرت بذلك ! »  
 - هل فقدت رشذك يا ابنة عمى ؟ اياك أن تقولى شيئاً من  
 ذلك لزوجك المسن .. فكيف له أن يكسب يديه لطف يدى ؟ ..  
 ان كفيه خشنتان كفى غسالة ، ولحيته الكثة تؤذى ينبوع  
 الحب هذا الذى تتركز فيه ثروتنا ، وسعادتنا ، وحظنا فى  
 الحياة !

واذ ضمها بقوة الى صدره ، وخاض المعركة ببراعة توجت  
 جهوده بالنصر ، فهتفت « برتا » الساذجة : « آواه يا ابنة  
 عمى ، لقد جاءت الملائكة .. ان موسيقاهم لعذبة ، حتى اننى  
 ما عدت أسمع شيئاً سواها .. وان أضواءهم لباهرة ، فلست  
 أقوى على أن أفتح عيني ! »

\*\*\*

• وفقدت وعيها - فعلاً - تحت وطأة ملذات الحب التى

نفجرت في كيانها . ودوت أصداؤها في سمعها كأنغام الأرغن ،  
وبالقب بأبهي الضياء ، وراحت تنهمر في عروقها انهمارا ،  
وتنصب في قلبها انهارا . . وانتقلت بها المشاعر من هذه  
الدنيا ، فحسبت نفسها قد ارتفعت الى الفردوس ! .  
واسنبتت من هذا الحلم الهنيء ، فاذا بها بين ذراعى الفتى  
الفاتن ، فهتفت : « آواه ! . . من ذا الذى يأبى الزواج من  
انجليزى ؟ »

فأجابها جيهان ، الذى كان قد بلغ ذروة نشوته : « يا حبيبتي  
الجميلة . . لقد زفعت الى هنا ، فى فرنسا ، حيث أساليب  
الحب ألد وأعذب . . فأنا رجل . . واننى لخليق أن أهبك من  
ينبوع رجولتى ألف حب ، وألف حياة ! »

وحينئذ صرخت ((برت)) صرخة نافذة، اخترقت الجدران . .  
وقفزت من الفراش كركب الجواد فى سهول مصر ، حين يقفز  
عن جواده . . وركعت على ركبتها امام تمثال السيدة العذراء،  
وضمت يديها على صدرها . وتساقطت من عينيها من اللآلىء  
أكثر مما تساقطت من عيني المجذلية ، وهى تعترف بخطيئتها . .  
وصاحت قائلة : (( آه ، لقد هلكت ! . . لقد خدعنى شيطان  
تبدى لى فى وجه ملاك ! . . اننى أم طفل جميل ، وقد كنت  
عذراء مثلك يا سيدتى العذراء ، فتوسلى الى الله أن يرحمنى  
ويعفو عني فى ملكوته ، اذا أبى الناس على ذلك فى الأرض ! . .  
أو فسد عيني أموت حتى لا أقف مزرجة الوجه بالخجل امام  
زوجى وسيدى ! ))

واذ رأى جيهان أنها لم نمسه بكلمة سيئة، وقف ذاهلا . .  
فما ان ابصره منتصبا امامها ، حتى وقفت سريعا على قدميها،  
ونظرت اليه بوجه داعم ، وعيناها تتألقان بغضب سماوى  
— أحاط محياها بهالة من الفتنة والسحر — وقالت له : « اذا  
تقدمت خطوة الى ناحيتى ، فسوف أتقدم أنا خطوة نحو  
الموت ! » . . وأمسكت خنجرها الصغير فى يدها . . وكان



منظرها موجعا مفعجا ، حتى لقد أجابها جيهان قائلا : « انا  
الذى يجب ان يموت ، ولست انت يا عزيزنى ، يا حبيبتي  
الجميلة ، يا من أحببتك أكثر مما أحب رجل امرأة على الأرض ! »  
فقالت له : « لو أنك حقا أحببتنى ، لما قتلتنى كما فعلت ،  
اذ أننى سأموت قبل أن أتلقى كلمات العار من زوجى ! »  
فسألها : « حقا ستموتين ؟ »  
فقالت : « بكل تأكيد ! »

فصرخ قائلا : « كلا ، فلو اننى طعنت ألف طعنة ، لفقر لك  
زوجك ، اذ تقولين له انك وان مست طهارتك ، فقد انتقمتم  
لشرفه بقتل الرجل الذى خدعك .. وانها لأعظم سعادة أظفر  
بها فى حياتى ، ان أموت من أجلك ، فى اللحظة التى ترفضين  
فيها أن تعيشى من أجلى ! »

واذ سمعت « برتا » هذا القول الحنون وشهدت دموع  
الفتى ، ألقت بخنجرها على الأرض ، فاذا جيهان يقفز اليه  
ويلتقطه ، ثم ينفذه على الفور فى صدره ، قائلا : « ما من ثمن  
لهذه السعادة سوى الموت ! » ثم سقط على الأرض مخرجاً  
بدمائه ..

**وصرخت « برتا » - وقد تملكها الذعر - منادية خادماتها ،**



التي اقبلت ، فجزعت اذ رأت رجلا جريحا في مخدع سيدتها ،  
ورأت السيدة محنية عليه ، تسند راسه الى صدرها وتقول  
له : « ماذا فعلت بنفسك يا حبيبي ؟ ! » .. فلقد وهمت  
« برتا » انه مات ، وتذكرت اللذات التي تلاشت .. وفي غمرة  
حزنها ، اعترفت لخدامتها بكل شيء ، وهي تنوح وتنتحب ..  
واذ فطن الماشق المسكين الى حالها ، انتعش قليلا ، وحاول  
ان يرئو اليها بعينيه .. فصاحت الخادم : « لا تنتحبي  
يا مولاتي ، بل يجب ان نحتفظ بحواسنا ، لننقذ هذا الفارس  
الجميل .. ولسوف انطلق باحثة عن « لافالوت » ، حتى  
لا نطلع اى طبيب او جراح على هذا السر .. ان « لافالوت »  
ساحر قدير ، وسوف تسعى لارضاء سيدتى ، فتصنع  
احدى معجزاتها ، وتبرىء هذا الجرح فلا يبقى له اثر ! »  
فاجابت برتا قائلة : « أسرعى اذن ، ولسوف أحبك طيلة  
عمرى ، وأجزيك أحسن الجزاء على معونتك ! »

\*\*\*

• **واتفقت السيدة والخدام - قبل ان يقدموا على شيء -**  
على ان يكتبوا أمر هذه المغامرة ، وأن يخفيا جيهاً عن كل  
العيون .. ثم انطلقت الخادم الى الخارج - تحت جناح الليل -  
كى تبحث عن « لافالوت » ، فرافقتها السيدة الى باب القلعة ،  
لأن الحارس لم يكن يملك أن يرفع المزلاج الا بأمرها .. حتى  
اذا عادت « برتا » الى حبيبها ، وجدته قد أغمى عليه  
وفقد وعيه ، اذ كان الدم ينبثق غزيراً من جرحه . فلما رآته  
على هذه الحال ، انحنت عليه ، وامتصت بشفثها قليلاً من  
دمه ، معتقدة انه انما ذرفه من اجلها .. ثم غلبها التأثير بهذا  
الحب العظيم ، وبالخطر المحدق ، فقبلت الفارس الفاتن ،  
وراحت تغسل بدموعها جرحه ، مناشدة اياه ألا يموت ،  
مقسمة أن تحبه بكل قلبها ، ان هو عاش .. وقد ازداد



هيامها به ، وهى تتأمل مدى الفارق بين هذا الشاب - الجميل ،  
الناصع البياض ، المشرق فى بهاء الفجر - وزوجها الكهل ،  
الكث الشعر ، المتفصن البشرة ، الأصفر اللون . ورد اليها هذا  
الفارق ، ذكرى ما تذوقته من لذة الحب ، فتحركت شجونها ،  
واشتدت حرارة فبلاتها ، حتى ردت الوعى الى « جيهان » ،  
فافاق من اغماؤه ، ورأى « برتا » ذرايح يستغفرها . . الا أنها  
أسبكتته . ولبتا كل الوقت ولا حديث بينهما الا بجوى العيون ،  
حتى وصلت « لافالوت »

وكانت هذه المرأة حدياء ، ذات شهرة طائرة بمزاولة السحر ،  
واحتراف الشعوذة . الا انها كانت - الى جانب ذلك - على  
دراية ببعض الأسرار الطبية ، وذات نفع كبير للسيدات فى  
بعض الشئون النسوية ، وللنبلاء والأثرياء فى غرامياتهم . مما  
أتاح لها عيشا رغيدا ، وأصبحت تتقلب على فراش من الريس ،  
اذ جمعت ثروة بهذا الأسلوب البغيض ، رغم ان الأطباء كانوا  
يشنون حملة قاسية عليها ، ويشيعون عنها انها كانت تبيع  
السموم . . وهو ما كان حقيقة ثابتة ، كما سيظهر لنا فيما بعد

وقد جاءت « لافالوت » على ظهر أتان ، مردفة الخادم  
خلفها ، وظلت تستحثه كي ينهب الأرض بأقصى سرعته ، حتى  
بلغت القلعة قبل انبثاق الفجر . . وهتفت وهى تلج المخدع :  
« ها أنذا يا أولادى ، فما الذى حدث ؟ » . . وكانت تلك هى  
طريقتها المعهودة لدى عظماء الناس ، اذ كانوا يتراءون صفارا  
فى عينيها . . ووضعت منظارها على انفها ، وانحنى على  
الجرح تفحصه بعناية ، وهى تقول : « ان هذه دماء حلوة  
يا عزيزتى ، وأراك تذوقتها ! » . . ثم غسلت الجرح بأسفنجة  
اعمة ، امام السيدة وخادمتها ، اللتين كانتا تمسكان أنفاسهما .

قصارى القول ، ان « لافالوت » طمأنتهما الى ان الشاب لن  
يوت بجرحه . . ثم تأملت كفه وأردفت : « ومع ذلك ،

فسوف تكون نهايته قاسية ، من جراء ما فعله الليلة ! » ..  
 فها ان سمعت برتا وخادمتها هذه النبوءة ، حتى تولاهما  
 الذعر .. اما « لافالوت » فقد وصفت بعض الأدوية ، ووعدت  
 بأن تعود مرة اخرى فى الليلة التالية .. وهكذا ظلت أسبوعين  
 كاملين تأنى تحت جناح الليل كى تضمد الجرح ، وتظهره .  
 قالت الخادمة لكل القاطنين حول القلعة ان سيدتها الشابة  
 « سيلفيا دو روهان » ، كانت تموت من جراء انتفاخ المعدة .  
 ورجنهم ان يبقى ذلك سرا من أجل خاطر السيدة « برتا » .  
 ابنة عمها .. فاقتنع الجميع بهذه القصة ، وأذاعوها بين كل  
 أصدقائهم ، وجلسائهم !!

واذا كان القوم الطيبون قد ظنوا ان المريضة هى التى كانت  
 فى خطر ، الا ان الأمر لم يكن كذلك .. فالواقع ان السليمة  
 هى التى حفر بها الخطر . فقد اخذت « برتا » تزداد ضعفا ،  
 كلما ازداد « جيهان » عافية ، حتى لقد تركت نفسها تنساق  
 الى ذلك الفردوس الذى فتح « جيهان » ابوابه لها .. وبإيجاز ،  
 اخذت تزداد به هياما ، غير ان سمعاداتها به كانت تمتزج على  
 الدوام بالرعدة من تلك النبوءة المشؤومة - التى سمعتها من  
 « لافالوت » - وبالألم المرير الناشئ عن تدينها وتبكيها  
 ضميرها ، وبالخوف من زوجها « امبرت » الذى اضطرت الى  
 ان تكتب اليه تنبئه بانها حملت منه بطفل آخر سوف يكون  
 مبعث سروره حين عودته !

ولقد توارت « برتا » المسكينة عن حبيبها جيهان ، فى ذلك  
 اليوم الذى كتبت فيه خطابها الثقيل بالكذب ، الذى بللت  
 منديلها فوقه بالدموع .. واذا رآها جيهان تتجنبه فى ذلك  
 اليوم - وقد اعتادا ان لا يفترقا طيلة الأيام الماضية ، الا كما  
 تفترق النار عن الحطب - اعتقد انها بدأت تكرهه ، فراح يبكى  
 من البكاء .. حتى اذا جاء المساء ورائه « برتا » ، تأثر قلبها ،



اذ رأت آثار الدموع ، فأخبرته بسبب حزنها ، واعترفت له  
 بهواجسها ازاء المستقبل ، مبينة له انهما - معا - جديران  
 باللوم ، مذكرة اياه بتعاليم الدين ، مسشهادة بآيات الكتاب  
 المقدس ، مازجة كل ذلك بالدموع والحسرات ، حتى لقد تأثر  
 « جيهان » لفوره باخلاص حبيبته .. وبهذا الحب البريء الممتزج  
 بالتوبة .. وهذا النبل والسمو في الخطيئة .. وهذا المزيج  
 من الضعف والقوة ، الذي كان خليقا - كتعبير القدماء - بأن  
 بغير طبيعة النمر ، فيذيب قلبه عطفًا ورحمة ! .. **فلا عجب**  
**اذ جثا « جيهان » - اذ ذاك عند قدميها ، وعامدها أمام الله**  
**أن يطيعها في كل ما تأمره به ، وأن ينقذها في هذا العالم وفي**  
**العالم الآخر ! ..** وفي اغتباطها بهذا الاخلاص وبهذه الطيبة ،  
 ألقت بنفسها على قدميه ، فقبلتهما قائلة : « **اواه يا حبيبي ..**  
 يا من أحببته رغم ما في ذلك من خطيئة ممينة ! .. انك لفي  
 منهي الطيبة والترفق بحبيبتك المسكينة « برتا » ، التي  
 ستظل تجد غبطة في التفكير فيك ، والتي يجدر بك أن توقف  
 سيل دموعها المنبعثة من نبع فياض بالسرور » .. وهنا تركته  
 يسترق قبلة من عينيها ، ليتأكد من قولها ، ثم استطردت : « **اي**  
**جيهان .. ان كنت تحتفظ حقا بمتعنا السماوية وما عزفته**  
**الملائكة في آذاننا ، فان شئذي الحب خليق بأن يواسيني في**  
**وحدتي ، لأن يعذبني .. فافعل ما أمرتني العذراء - في المنام -**  
**أن أطلب اليك فعله .. فقد حطمت بأنني أضرع اليها ان ترشدني**  
**في موقفى الراهن ، فأقبلت على ، وتجلت لى . واذ ذاك حدثتها**  
**عن العذاب الرهيب الذى لا بد من ان أقاسيه ، ورحت أرتجف**  
**اشفاقا على ذلك الجنين الذى بدأت فعلا أحس به في أحشائي ،**  
**واشفاقا على أبيه الحقيقى الذى سوف يحيا على الدوام تحت**  
**رحمة الغير ، وقد يتيم طفله من جراء ميتة عنيفة ، اذ من**  
**المحتمل أن تتحقق نبوءة الساحرة .. وما لبثت العذراء**  
**الجميلة ان قالت لى باسمه أن السماء تمنحنا الغفران عن**

خطايانا ، اذا نحن اطعنا اوامرنا . . وانه لا بد للانسان - كى ينقذ نفسه من عذابات الجحيم - ان يتوب عن خطاياه قبل ان يحين حينه ، ويحل غضب الرب عليه . . ثم اشارت باصبعها . فأبصرتك يا « جيهان » واقفا عن يمينها ، مرتديا ملابس غير النى عليك الآن ، وقد بدوت كما ينبغى أن تكون اذا أحببنتى حبا سرمديا ! »

فقال لها « جيهان » انه على استعداد لان يطيعها طاعة عمياء ، تم انهضها وقبلها . . واذا ذاك قالت له « برتا » ان الثياب التى رآته يرتديها - فى الحلم - هى ثياب الرهبان . . وتضرعت اليه ، وهى ترتجف ، ان ينخرط فى سلك الكهنوت ، وان يعنزل فى دير ( مارموتيه ) الواقع خلف أسوار مدينة (تور) ، واعدة اياه بأن تدعه يزورها يوما فى كل سنة - كى يرى طفله - جزاء له ! . . ولما كان جيهان قد وعدها بأن يطيع امرها ، فانه لم يجد مندوحة عن أن يرتبط بكلمته . . وقرر لها انه سيهجر العالم - من لحظته - وينطلق الى ذلك الدير حارما نفسه من كل منعة فى الحياة ، قانعا بأن يعيش على ذكرى تلك اللحظات السعيدة التى نعم فيها بعناقها !

فما ان سمعت « برتا » منه هذه الكلمات العذبة ، حتى قالت له ان السعادة النى بعثها حديثه ، ستعينها على تحمل خطيئتها ، مهما تكن ضخامتها ، ومهما يكن ما اعده الله لها من عقاب . . فقد آمنت بأنها لم تقع فى براثن رجل ، وانما وقعت على ملاك !

\*\*\*

• وفى الغداة ، اتخذ « جيهان » طريقه الى الدير ، كما وعد بذلك « برتا » . . فما ان وصل - فى منتصف النهار - حتى فتحت له الابواب ثم أغلقت من خلفه . وهنالك بدأت فترة اختبار ذلك الراهب الجديد .



فلما عاد « باستارنى » من رحلته الى ( برجانديا ) ،  
اخبرته زوجته بأن « سيلفيا دو روهان » قد عادت الى  
سيدها . . وما كانت فى ذلك مجانبة للواقع ، فانها كانت  
تعنى أنها عادت الى السيد المسيح ! !

أما السيد « باستارنى » ، فقد امتلأ فرحا وانشراحا حين  
راى « برتا » لا تحيط خصرها بحزام ، اذ كان وسطها قد  
تضخم ، بسبب الجنين الذى بدأ ينمو فى أحشائها . . وهنا  
بدأت مأساة هذه السيدة المسكينة التى لا تعرف الخداع ، وانما  
كانت - كلما فاهت بكذب - تهرع الى محرابها ، وتصلى باكية  
بدل الدمع دما ، رافعة أكف الضراعة ، متوسلة الى القديسين  
وحدث مرة أن ارتفع نشيجها ، عسى أن يسمع الله  
دعاءها ، ولقد سمعه . . فهو يسمع كل شيء . . يسمع الاحجار  
وهى تتقلقل تحت المياه ، والبائس وهو يئن ، والطيور وهى  
تشق طريقها فى الفضاء . . كذلك يحسن أن تعلم ما يلى ،  
والا عز عليك أن تصدق ما جرى : فقد أمر الله رئيس ملائكته  
أن يجعل لهذه التائبة جحيما على الارض ، حتى تدخل الجنة  
دون حساب أو عقاب . . فنزل رئيس الملائكة من النعيم الى  
ابواب الجحيم ، وأسلم النفوس الثلاث - برتا وجيهان  
والطفل - الى الشيطان ، قائلا له انه موكل بتعذيبها فى بقية  
حياتها !

وحينذ أجاب الشيطان - الذى هو بإرادة الله سيد كل  
شر - بأنه سوف يطيع الامر !

وبينما كانت هذه المحادثة تجرى فى السماء ، كانت  
الحياة تسير كمعادتها هنا على الارض . فوضعت السيدة  
الحسنة - زوجة « باستارنى » - أجمل طفل فى العالم ،  
حتى لقد فاق جماله جمال الزهور والزنابق . . وراح حسنه  
يزداد يوما بعد يوم ، بينما كان الطفل الاول يتغير ويتطور  
جتي انقلب الى قرد كمثلي أبيه ، الذى لم يكن له نظير - فى

الدمامة - بين القوم ، مما جعل باستارنى يجاهر بأنه كان يرجو ان يكون الاسفر هو الاكبر . . . وأما «برتّا» فلم تدر ماذا تفعل . اذ انها كانت تعبد ابن جيهان ، ولم تعد تشعر نحو ابنها الاخر الا بعاطفة فاترة ، وان راحت تبذل كل جهدها لحميمه من النوايا الشريرة التى كانت تراود أباه الكهل « باستارنى » !

واد كانت برتّا قد ارتاحت الى سير الامور على هذا الوجه ، فقد راحت تهون من مخاوفها ، وتهدى ضميرها . . . حتى انقضى اثنا عشر عاما . وفى كل سنة من تلك السنوات كان راهب دير ( مارموتيه ) يأتى الى القصر ، حيث يقضى فيه يوما كاملا كى يرى طفله ، وفقا لوعدها الصادق . . . وان ناشدته - فى كثير من المرات - أن ينزل عن حقه ، فكان يشير الى اطفال قاذلا لها : « انك ترينه كل يوم من أيام العسام ، وأنا أراه مرة واحدة ! » . . . فلم تكن الام المسكينة تجد لهذا القول ردا !

وفى خلال الاشهر القليلة - التى سبقت آخر ثورة قام بها ولى العهد ضد أبيه ملك فرنسا - كان الولد الصغير يدرج نحو السنة الثانية عشرة من عمره ، وقد بدأ يلوح اليه أنه أهل لأن يصبح عالما متبحرا فى كل العلوم . فما ازدهى « باستارنى » الكهل بأبوته يوما ، قدر ما ازدهى اذ ذاك . فاعتزم أن يأخذه معه الى بلاط ( برجانديا ) ، حيث رآه هنالك الدوق شارل ، فوعد بأن يمنح هذا الابن المحبوب ، منصبا يحسده عليه الامراء ، لأنه كان شديد الشغف بأمثاله من الشبان الاذكياء . . .

واذ رأى الشيطان أن الامور تجرى على هذه الصورة السعيدة ، قرر أن الوقت قد حان ليضرب ضربته الشديدة ، فرفع كذيله والقى به وسط هذه السعادة ، ليقلبها وفقنا لما ارتآه !



### ٣ : العقاب الرهيب ، والتفكير . . ثم الغفران

♦ كانت خادم السيدة « برتا » قد بلغت في ذلك الحين الخامسة والثلاثين من عمرها ، ف وقعت في غرام أحد الجنود القائمين على حراسة القلعة ، وبلغ من حماقتها أن تركته « يسرق بعض أرغفة من الفرن » - على حد تعبير أهل ذلك العصر - مما أدى الى إصابة الخادمة الشقية بذلك الانتفاخ الذي كان بعض الخبيثاء يسمونه « استسقاء التسعة اشهر » !! . فلما بدأت رائحة الفضيحة تفوح ، هرعت الفتاة الى سيدتها متوسلة اليها أن تتوسط لها عند السيد ، كي يجبر الرجل الشرير على أن ينهي الامر أمام المذبح ويتزوجها . . وفعلا لم تجد « برتا » عناء في اقناع زوجها !

ان المحارب الكهل ، الذي كان على الدوام فظا غليظا ، أسرع الى حارسه وأهوى بيده على عنقه ، وأمره بأن يتزوج الفتاة في الحال ، والا شنقه على باب القلعة . ثم أرسل بعد ذلك في طلب الأنثى ، اذ رأى أن شرف الأسرة كان يتطلب أن يكون قاسيا في كلامه معها ، كي يؤديها ، ويردعها .

وما ان رآها بين يديه ، حتى انفجر في ثورة عاتية ، فخيّل للفتاة أن سيدتها كانت تسعى الى التخلص منها ، لتطمئن على سر مولد ابن جيهان . . فلما قال لها السيد الكهل - فيما قاله - أنه يكون مغفلا اذا أبقي عاهرة في بيته ، أجابته قائلة انه كان بالفعل مغفلا مغرقا في الغفلة ، لأن زوجته تقوم بدور العاهرة ، منذ وقت طويل . . فهي - منذ اثني عشر عاما - تعشق ، من خلف ظهره ، أحد الرهبان ! !

وتصور العاصفة العظمى ، والهياج الهائل الذي استولى على ذلك المحارب القديم ، حينما هوجم هكذا في صميم قلبه . . فما ان رنت في أذنه الكلمات الرهيبة ، حتى تقلصت أصابعه وقبض على عنق الفتاة ، وأوشك أن يقضى عليها ، لولا أنها

روت بالتفصيل كيف ولماذا ومى حدث ما حدث ، لتثبت صدق قولها . . ثم ختمت بيانها قائلة له ان له - اذا كان في شك من كلامها - أن يعتمد على أذنيه ، فيختفى خلف إحدى السناثر في يوم وصول الاب « جيهان دوساشيه » ، راهب دير مارموتيه . . واذ ذاك يستطيع أن يسمع كلمات الوالد الذي يفد يوما واحدا في العام ، كي يتزود من ولده بقبلات تكفيه زادا لعام كامل !

وفي بورة جارفة ، أصدر « أمبرت » أمره الى المرأة بأن تفسد القلعة على الفور ، بعد أن أعطاها هي ورجلها مائة جنيه . . وقال لهما في لهجة تطفح بالتهديد وبالوعيد - الأبيتا هذه الليلة في مدينة ( تورين ) . . وزيادة في الطمأنينة ، أرسلهما الى ( برجانديا ) في حراسة جنوده . . حتى اذا ايقن انهما قد أصبحا خارج المدينة أخطر زوجته برحيلهما ، قائلا لها انه قد تبين أن خادمتها كانت أداة فساد ، فرأى أن من الأفضل التخلص منها . . بعد أن أعطاها مائة جنيه ، وأوجد عملا للرجل في بلاط برجانديا . .

\*\*\*

♦ **ودهشت برتا** دهشة بالغة ، اذ علمت أن خادمتها قد غادرت القلعة ، دون أن تكون هي الأمرة بطردها ، وهي سيدتها . . الا أنها لم تقل شيئا ، وانما أصبحت - من ذلك اليوم - نهبا للمخاوف الفامضة . فقد لاحظت ان زوجها قد تغير في سلوكه معها كل التغير ، وبدأ يتبين التشابه بينه وبين ابنه الأكبر ، ويتأكد من انه ما كان ليجد أى شبه بينه وبين الابن الأصغر ، الذي كان قد أحبه حبا عظيما . .

**وقبلت « برتا » يوما ، وهوبدى مثل هذه الملاحظات :**  
**« انه ليشبهنى أنا شبةا تها . . ألا تعلم أنه في الاسرة الواحدة المنتظمة النسل ، يأخذ الأبناء أشكالهم من الاب والام - على**



التوالى ، كل منهما بدوره - أو منهما معا ، اذ تهزج الام صفاتها بالقوة الحيوية للاب ؟ .. ويقرر بعض الاطباء أنهم عرفوا أطفالا كثيرين ولدوا بغير شبه على الاطلاق بينهم وبين آباءهم أو أمهاتهم ، وهم ينسبون هذه العجائب الى قدرة الله)) فأجابها « باستارنى » فى تهكم : « لقد أصبحت متعلمة جدا يا عزيزتى ، الا أنى - أنا الجاهل - أرى أنه اذا كان ثمة طفل يشبه راهبا ... »

فقاطعت برتا وهى تبسّدو غير مكترثة ، رغم أن الدم استحال فى عروقها الى جليد : « هل يكون الراهب أبا .. ؟ ! » وحينئذ اهتز يقين الرجل الكهل ، وظن أنه أخطأ فى شكوكه ، ولعن الخادمة فى سره .. على أنه لم يتخل عن عزمه أن يتأكد من حقيقة الامر ..

فلما اقترب موعد زيارة الراهب لرؤية ابنه ، بادرت « برتا » - وقد امتلأ صدرها بالهواجس بعد ذلك الحديث الغريب المريب مع زوجها - فكتبت الى « جيهان » ضارعة اليه الا يأتى فى هذا العام . ولكنها لم تشأ أن تخبره بسبب رغبتها ، أو تبدي له سر رهبتها .. ثم انطلقت الى ساحرتها « لافالوت » - فى مدينة ( لوشيه ) - لتحمل عنها الخطاب الى الراهب فى ( مارموتيه ) .. واذا أودعته بين يديها ، حسبت أن كل شيء قد انتهى الى السلامة .. ولو الى حين !

وازدادت سرورا بما كتبه الى صديقها ، حين تبينت أن « أمبرت » - الذى اعتاد أن يقوم برحلة الى مقاطعة ( مين ) ، حيث بعض أملاكه ، قبل موعد زيارة الراهب - عدل فى هذا العام عن رحلته ، متعللا بأنه يعدّ العدة لحركة ثورية اعتزم ولى العهد أن يشعل نارهها ضد والده الملك .. وكان هذا سببا وجيها ، اقتنعت به برتا المسكينة ، فلم يتسرب اليها أى شك أو تشعّر بأى قلق !

الا أن الراهب وصل فى اليوم المحدد كعادته .. فما ان

رأته « برتا » ، حتى هرب الدم من أطرافها ، فصبغت الصفرة وجهها . وسأله عما إذا كان قد تسلم خطابها ، فقال جيهان : « أى خطاب ؟ ! »

اذ ذاك ندت عن « برتا » صرخة مكبوتة ، وقالت : « آه ! لقد ضعنا اذن : أنت ، والطفل ، وأنا ! » فسألها الراهب : « ولماذا ؟ »

فأجابت : « لست أدري ، ولكن يومنا الأخير قد جاء .. وتحولت الى ابنها فسألته عن « باستارنى » .. فأجابها أن رسولا خاصا استدعاه الى ( لوشيه ) ، وأنه لن يعود حتى المساء .. واذ سمع « جيهان » ذلك ، أبدى لعشيقته رغبته فى أن يبقى معها ومع ابنه العزيز بقية النهار - رغم معارضتها - مؤكدا لها أنه ما من ضرر سوف يحدث من ذلك ، بعد أن انقضى اثنا عشر عاما على مولد ابنها .. فلم يسمع « برتا » الا أن بقيت فى غرفتها مع الراهب حتى موعد العشاء . واذ ذاك الحت « برتا » عليه أن يعجل بتناول الطعام - مدفوعه بمخاوفها - والراهب يحاول أن يهدئ من روعها ، مؤكدا لها ان « باستارنى » كان مقلقل المكانة فى بلاط الملك ، ومن ثم فلن يجرؤ على النيل من راهب ذى مركز محتسرم ، فى دير ( مارموتيه )

\*\*\*

• وكان طفلهما يلعب فى الفناء - رغم توسلات أمه المتكررة - عند ما جلسا الى المائدة ، فلم يكف عن لعبه ، بل ظل يقفز هنا وهناك على ظهر فرس أسباني جميل ، كان قد أهداه الدوق شارل - أمير برجانديا - الى باستارنى .. وقد كان الولد يجد مسرة فى أن يتباهى أمام الراهب ببراعته ، ويريه أى فارس سوف يكون فى المستقبل ، حين يستكمل أسباب رجولته ..



فقال الراهب لبرتا : « دعيه وشأنه ، يا حبيبتى ، فان الأطفال غير المطيعين ، غالبا ما يصيرون من العظماء ، فى المستقبل . »

ولم تصب « برتا » من الطعام شيئا يذكر ، اذ كان قلبها مثقلا بالهواجس . أما الراهب ، فما ان استقرت أول لقمة فى جوفه ، حتى أحس بألم فى أمعائه ، وبمرارة فى سقف حلقه ، أدرك على الفور أنها مرارة السم . . . فألقى بنظره سريعا الى « برتا » . . . واذ رآها تواصل الأكل ، بادر فى انتفاضة عظيمة ، وجذب غطاء المائدة ، وألقى بكل ما عليه من الطعام فى لهب الموقد ، مفضيا الى « برتا » بشكه فى أن يكون زوجها قد دس السم لهما ولابنتهما . . . فصرخت برتا تشكر العذراء على أن ابنها ظل بعيدا منصرفا الى لعبه !

وفى التو ، انطلق « جيهان » - الذى ظل مع رهبة الموقف محتفظا بحضرة بديته - حتى اذا بلغ فناء القلعة ، انتزع ابنه من فوق الجواد ، وقفز فى مكانه . وفى لمح البصر امتطاه واندفع به كالسهم خلال الحقول ، حتى لتحسبه - من فرط سرعته ، وهو يضرب جنبى الجواد بمهمازيه - نجما يشق السماء . . . حتى وصل الى مدينة ( لوشيه ) ، حيث اتجه لهوره الى منزل الساحرة « لافالوت » ، وأنهى اليها الأمر فى



كلمتين اثنتين ، اذ كان السم قد بدأ يسرى فى كيانه فعلا ..  
وتوسل اليها ان تسرع فى اعطائه ترياقا لذلك الموت الاسود  
الذى راح ينشب فيه مخالفه !

واذ سمعت الساحرة قوله صاحت فائلة : « وا اسفاه ، فلو  
اننى كنت أعلم ان هذا السم كان مطلوبا منى لأجلكم انتم .  
لتركت حد الخنجر الذى هددنى به زوج السيدة ينفذ فى  
صدرى ، ولضحيث بحياتى البائسة لأنقذ حياة رجل من أتباع  
الرب ، وامرأة هى أجمل زهرة تفتحت أكمامها فى ربوع هذه  
الأرض .. فواحسرتاه يا صديقى .. اذ لم تعد عندي من ذلك  
الترياق الا قطرتين اثنتين ، تراهما فى هذه القارورة ! »  
فسالها فى لهفة : « اهنا كافيتان من أجلها ؟ » ..  
فقال الشمطاء : « نعم .. على ان تسرع كل الاسراع بهما  
اليها »

\*\*\*

• وما ان سمع منها ذلك ، حتى انطلق عائدا بأسرع مما  
ذهب ، الى درجة ان الجواد سقط ميتا - لفرط الارهاق -  
بمجرد وصوله الى فناء القلعة . وأسرع الراهب الى الغرفة  
التي ترك فيها « برتا » . وكانت هذه قد اعتقدت ان ساعتها  
الأخيرة اتت ، فرآها تقبل ابنها فى لوعة ، وتتلوى كقطاة تتقلب  
فى لهيب النار ، وهى تصرخ .. لا من أجل نفسها ، وانما من  
أجل ولدها الذى ستركه تحت رحمة زوجها .. ناسية عذابها  
وهى تعاني سكرات الموت ، لتفكر فى المستقبل القاسى لابنها .  
فصاح الراهب ، قائلا لها : « خذى هذا .. أما أنا فقد  
أنقذت حياتى ! »

وكان فى قلب « جيهان » من الشجاعة ما مكنه من ان يقول  
هذه الكلمات بوجه لا يختلج برغم انه كان يشعر بانياى الموت ،  
فى تلك اللحظة ، تنهش أحشاءه .. فما ان ألقى « برتا » بالترياق  
فى فمها ، حتى سقط ذلك الرجل الباسل ميتا ، وهو يضم



**ولده ، ويرنو الى حبيبته بعينين والهتين مدلهتين ، حتى رانت عليها ظلمة الموت !**

وحيثما سرت في أوصال السيدة برودة الثلج ، وغدت سرتها في مثل لون الرخام الأبيض ، وتجمد جسدها كله من فرط الرعب أمام مشهد ذلك الحبيب المسجى تحت قدميها . وهو ممسك بيد الصبي الذي راح يبكي ، بالرغم من ان عينيها هي كانتا أشد جفافا من البحر الأحمر حين عبره اليهود تحت قيادة السيد موسى !

حتى اذا افقت قليلا من هولها وذهولها ، أخذت الراهب الشهيد بين ذراعيها ورفعته - يعاونها ابنها - فوضعت فوق الفراش ، ووقفت بجانبه تصلى ، مع ولدها الذي صارحته - في تلك اللحظة - بأن هذا الراهب هو أبوه الحقيقي . . . وعلى هذه الحال انتظرت ساعتها الرهيبة ، وما طال بها الانتظار . . . اذ سرعان ما وصل باستارنى الى القلعة ، وهناك أخبره الخدم بأن الراهب هو الذي مات ، وليس السيدة أو الطفل . . . وفي الفناء رأى جواده الأسباني الجميل ملقى على الأرض قتيلا . فاندفع كالوحش - تلهب دمه الرغبة المستعرة في أن يذبح الزوجة ، وابن السفاح - واجتاز درجات السلم كلها بقفزة واحدة . . . حتى اذا غدا أمام الغرفة التي جرت فيها الاحداث ، وقف مبهورا مبهور الأنفاس أمام منظر الجثة المسجاة ، وبجانبيها السيدة وابنها يرددان صلوات لا تنقطع . . . فلا آذان لهما - تسمع شتائمهم واتهاماتهم ، ولا عيون لهما تبصر تلويحاته وتهديداته . . . وانهارت عزيمته . . . وبانكسار حدة ثورته الأولى ، - يعد في مكنته أن يستمر طويلا في وقفته ، فغادر الغرفة مسحبا كحيوان جبان ، وقد لدغه مشهد تلك الصلاة المرفوعة الى الله من أجل الراهب .

\*\*\*

♦ وهكذا انقضى الليل كله في دموع ، وتأوهات ، وصلوات

وابتهالات . حتى اذا أصبح الصباح ، أصدرت السيدة أمرها السريع الى خادمها كي ينطلق الى المدينة فيشتري لها ثيابا تليق بامرأة ذات مركز رفيع ، ولابنها جوادا وأسلحة تصلح لفارس كريم . . . ودهش السيد باستارنى اذ رأى زوجته تفعل ذلك ، وأرسل فى طلبها هى وابنها . . . الا انهما لم يجيباه الى طلبه ولم يحفلا به ، وانما قاما فى هدوء ، وارتديا الملابس التى اشتراها الخادم لهما . . . ثم أصدرت السيدة أمرها بعد ذلك بحصر كل منقولاتها وأرديتها ومجوهراتها - شأن الأرملة حين تعد العدة للتخلى عن كل ما يخصها من تركة زوجها - بل لقد أمرت بأن يفرغ كيس نقودها ، كي لا يعود فى حوزتها مما يتعلق بذلك الزوج أى شئ . . . وسرى خبر هذه الاجراءات فى انحاء القلعة كلها ، فعرف كل من فيها ان السيدة انما تعد عدتها للرحيل . . . وامتلات قلوبهم جميعا بالأسف والأسى !

اما « باستارنى » فقد تملكه الذعر ، وانتابته الحيرة والقلق من تلك الاسنعدادات التى عمدت اليها زوجته ، فأقبل الى حجرتها . وهناك وجدها تبكى فوق جثة « جيهان » ، وقد انطلقت دموعها أخيرا . . . وما ان لمحت زوجها يدلف الى الغرفة ، حتى بادرت بتجفيف عينيها . . . فتقدم نحوها وراح يوجه اليها سيلا من الأسئلة ، ولكنها اجابته عن كل ما سألها بكلمات قليلة ، معترفة بخطيئتها ، معسذرة بالخدعة التى وقعت ضحيتها ، ذاكرة ما انتاب عاشقها من ألم وندم . . . ثم كشفت عن صدر جيهان ، لتريه اثر الخنجر الذى اغمدته فى جنبه . تكفيرا عن ذنبه ، ووصفت له كيف طال أمد اعيائه ، حتى وصل الى اكتمال شفافائه . . . وكيف أنه - استجابة لطلبها - دخل الدير تائبا الى الله عما فعل بها ، وانخرط فى سلك الرهبنة ، هاجرا كل اعماله ، هادما كل آماله ، متخليا عن منصبه كوعز اسمه ولقبه . ذلك الأمر الذى هو أسوأ من الموت . . . وكيف أنها - اذ كانت بهذه الوسيلة قد اعتقدت انها انتقمت لشرفها -



**تبقت أن الله ذاته ما كان ليأبى على الراهب أن ينعم مرة واحدة في العام برؤية ابنه الذي من أجله ضحى بكل شيء !**

وبعد أن أدلت إلى الزوج باعترافها ، رفعت رأسها في كبرياء وقالت له أنها لترفض أن تعيش مع قاتل ، ولذلك فأنها على أهبة الرحيل ، تاركة كل أملاكها ، مطمئنة النفس إلى أنها ما ارتكبت أثماً ، وإنما فعلت كل ما يمكنها أن تفعله في سبيل إصلاح الخطأ الذي وقع بغير إرادتها .. ثم قالت له آخر الأمر أنها سوف تنطلق مع ابنها إلى أعلى الجبل ، حتى يكفر كل مدنب عن ذنبه .. وأردفت أنها تعرف كيف تكفر عن ذنوب الجميع !!

فلهت برتا بهذه الكلمات في نبرات نبيلة ، وهيئة جليلة ، وقد عس لونها فأصبح - من فرط التأثر - في مثل بياض الثلج .. به أخذت بيد طفلها ، وخرجت في حزن عظيم ، وقد غدت أروع حمالا من « هاجر » حينما غادرت بيت النبي « إبراهيم » .. وندت في هيبة الملكات ، حتى لقد ركع كل خدم القصر حين مرت بهم ، خاشعين ، ضارعين إليها بأيدي متشابكة على صدورهم - ألا تذهب عنهم !

أما « باستارنى » فقد تبعها ذليلاً ، خجلاً ، باكياً ، ينحي عن نفسه باللوم ، ويعرب عن حسرته ويأسه ، كرجل يساق إلى المقصلة كي ينال قصاصه عن جريمته ، ويدفع ثمن حريرته .. إلا أن المرأة المطعونة القلب أوسعت الخطي ، صامة أدنيها عن كل ما يدور حولها . وأسرعت بمغادرة القلعة ، حتى إذا بلغت حافة الخندق الذي يحيط بأسوار القناء ، جلست هناك ، فوقف خلفها كل من كان في القلعة ، يرجونها باكين أن تبقى .. أما زوجها البائس فقد استند بيده على حافة الباب ، وظل ساكناً كتماثيل القديسين الحجرية المنحوتة في تجاويف دبران الكنائس ! .. وما لبث أن طرق أذنيه صوت برتا وهي

تأمر ابنها أن ينفخ التراب عن حذائيه ، حتى لا يأخذ معه شيئاً يخص ذلك الشيخ الأثيم .. كما راحت - بدورها - تنفخ التراب عن حذائيه ، وهي تشير الى باستارنى قائلة لولدها : « هذا هو يا بنى قاتل أبيك الذى علمت انه كلن ذلك الراهب المسكين .. الشهيد .. على أنك حملت اسم هذا الرجل السفاك ، فرد اليه اسمه هنا ، كما تنفخ تراب قلعة عن حذائك ، أما الغداء الذى نلته فى القلعة ، فليعاوننا الله على أن نوفيه اليه ! »

واذ سمع « باستارنى » هذا القول منها ، عض شفته حسرة وندما ، وأحس - فى تلك اللحظة - بأنه على استعداد لأن يدع زوجته تستقبل فى مخدعها رهبان دير كامل ، على ألا تهجره . ويهجره معها فنى لامع ، كان حليقا بأن يفدو فخر بيته وأسرته . وظل المسكين واقفاً سندا رأسه الى الباب !



• **وفجأة ،** امتلا قلب « برنا » بعزاء قدسى ، اذ ابصر بريق الدير الأعظم يقترب عبر الوادى ، تصحبه تراتيل الكنيسة التى انبعتت وكأنها انغام سماوية . فقد سمع الرهبان بمقتل أخيهما الحبيب ، فأقبلوا فى ذلك الموكب الرهيب ، كى يتسلموا جثمانه .. وما أن وقعت عيننا « باستارنى » عليهم ، حتى هروا مسرعا وغادر القلعة الى ( برجانديا ) ، تاركا كل شىء . اما « برتا » فقد اتجهت الى ( مونتيازون ) كى تودع أباه . وهناك قالت له أن هذه الكارثة التى أصابتها لن تليث أن تؤدى الى موتها .. فحاول أقاربها - ما استطاعوا - أن يسروا عنها . ولكنهم عجزوا وأحسوا باليأس ازاء حزنها العظيم !

**واهدى السيد « روهان » الكهل الى حفيده حلة حرب رائعة ، وكانها شاء أن يحفره بذلك على أن ينطلق ساعيا الى**



**المجد والشرف ، حتى يحيل خطايا أمه الى سمعة مجيدة خالدة .. الا أن « برتا » لم تكن تسعى الى ان تبت في ذهن ابنها سوى فكرة واحدة ليس من فكرة عداها ، هي التكفير عن الذنب الذي اقترف حتى يتسنى انقاذها وانقاذ جيهان من اللعنة الأبدية !**

ومن ثم فقد خرجا كلاهما ، واتجها نحو المناطق التي كانت في ذلك الحين قد أعلنت العصيان والثورة بزعامة ولي عهد المملكة .. وكانت تلك المناطق - كما يعلم الجميع - هي المتاخمة لولايتي ( أنجوليم ) و ( بوردو ) ، حيث كانت المعارك الكبرى ، والملاحم العنيفة بين المتمردين وقوات الملك على وشك النشوب .. وكانت الموقعة الرئيسية - التي حسمت الموقف وانتهت بها الحرب - هي التي وقعت بين ( روفيك ) و ( أنجوليم ) ، وكان قائد جيش الثوار فيها ، هو « باستارني » زوج « برتا » .. حتى اذا أحاطت الهزيمة بهذا الجيش ، أدرك الرجل الكهل أن رأسه لا بد ان يكون أول الرؤوس التي يطيح بها الملك ، لأنه كان دائما اليد اليمنى للأمير الثائر

واذ بدأ رجاله يتساقطون ويتقهقرون ، ألفى نفسه محوطا بستة رجال - من الأعداء - يحاصرونه ويحاولون القبض عليه ، فأدرك أنهم يريدون أن يأخذوه حيا ، حتى يتمكنوا بعد ذلك من أن ينالوا من شرفه وسمعته ، وأن يهدموا دعامة أسرته ، ويصادروا كل أملاكه وثروته .. فما أن أيقن من ذلك حتى فضل أن يموت في المعركة على أن يعرض للهلاك أسرته وأملاكه - التي كان يبغى أن يهبها لابنه - ومن ثم فقد دافع عن نفسه كأسد باسل .. واذ سقط ثلاثة منهم قتلى تحت ضربات سيفه البتار - رغم تكاثرهم عليه - اضطر الباقون الى أن يشنوا هجوما عنيفا ، وقد اعتزموا - في هذه المرة - قتله .. فما هي الا وهلة حتى كانوا قد أسقطوا اثنين من أتباعه ، وواحدا من خدمه

وفيما كان الرجل في هذا الخطر العظيم ، اذا بفارس يحمل شعار أسرة (روهان) يشق الصفوف فجأة ، وينقض كالصاعقة على المهاجمين ، فيقتل اثنين منهم — في الحال — وهو يصرخ قائلاً : « لينقذ الله باستارنى » . . أما الرجل الثالث — الذى بقى من الأعداء — فلما أن رأى هذا الفارس قد ضيق عليه الخناق ، وكاد أن يلحقه بزملائه ، حتى كف عن مهاجمة القائد الشيخ ، واستدار الى الشاب الباسل وطعنه بالخنجر خلال شق في درعه . . فلما رأى « باستارنى » ذلك ، انقض على المعتدى بسيفه فقتل عليه في الحال ، ثم أمسك بالفارس ورفعته على جواده ، وانطلق به الى قلعة (روشف كولد) ، فبلغها تحت جناح الليل !

وفي القاعة الكبرى بالقلعة ، وجد « برتا دو روهان » ، التى كانت قد دبرت كل ذلك من أجله . . فلما ازاح الخوذة عن وجهه منقذه ، وجد انه ابن جيهان ، الذى لم يلبث ان قضى نحبه ، بعد ان قبل أمه قائلاً لها بصوت يمتزج فيه الأعياء بالكبرياء : « يا أمى ، لقد دفعنا الدين الذى ندين له به ! » . . فلما سمعت « برتا » هذه الكلمات ، عانقت جثمان ابنها الحبيب ، وضمتة الى قلبها ، فلم تنفصل عنه بعد ذلك أبداً . . اذ ماتت في عنفوان الحزن عليه ، دون أن تستمع أو تسكرث لضراعة « باستارنى » وندمه . . فلم يلبث ذلك الشيخ البائس أن مات — هو الآخر — لفراط الحزن والأسى . . رحمهم الله جميعاً !!





الخطبة المغفرة!

• كان السيد «بروين» - الذي اتم قلعة ( روش كوربون ليفوفري ) ، على شاطئ (الوار) - متمردا في صباه ، كما كان نزاعا الى غواية النساء - في شبابه - لا يأتي البيوت الا من نوافذها ، سالكا سبلوك الشيطان في كل شيء . . حتى اذا انعم الملك عليه - في تلك الأيام - بلقب «بارون دي روش كوربون» ، ازداد اغلا في حياته هذه معريدا مجنوننا ، حتى صرف كل ما في جعبته ، واستنزف كل قوى شبابه . ومن ثم وجد نفسه آخر الأمر - وهو ما زال في زهرة العمر - مفلسا ، وضع الشأن بين الرجال ، منبوذا من مجتمعه المذهب ، فلم يعد له من الاصدقاء والرفاق سوى التهايين والسلايين والقراصنة والمباردين !

ولما رأى ذلك أسف دیر ( مارموتيه ) المجاور لقلعة روش كوربون - وكان رجلا حكيما - قال له ناصحا ، ان الساعة قد حانت كي يثوب الى وعيه ، ويتوب الى الله عن شروره وغروره وغيه . . وبصحبه بان ينطلق لفوره الى أرض ( الشام ) حيث يساهم في انقاذ الاماكن المقدسة من يد الغزاة المسلمين . واكد له انه - ولا شك - سيعود من رحلته - الى (تورين) - محملا بالمال . . او يذهب الى الجنة ، مثوى الشهداء والقديسين !!

واعجب السيد «بروين» بهذه الفكرة الرائعة ، التي جادت بها قريحة الأسقف العظيم . . فما اسرع ما غادر البلاد مزودا بالمعدات من الدير ، وبالبركات من الأسقف . . وانطلق ينهب كثيرا من مدن آسيا وافريقيا منقضا على المارقين دون ما انذار، مسنط الحزم على العرب واليونانيين والانجليز وسواهم ، غير حائل بمبا اذا كتبوا اصدقاء أو أعداء ، اذ لم يكن الفضول والتحرى من شيمه ، وما سأل يوما عن قوم الا بعد ان يكون



قد قضى عليهم . وهكذا طارت شهرته في هذا الميدان - الذي كان مما يرضى عنه الرب والملك و (( بروين )) نفسه - وذاع صيته كبطل متدين ، وفارس مفوار . . . وأطلق لنفسه العنان ، في تلك البلاد الواقعة وراء البحار ، حيث كان يؤثر أن يفدق المال على الفتيات دون الفقراء رغم أنه كان يقابل من الفقراء اضعاف ما كان يلقى من الحسان ! . . ولكنه لم يكن يحفل بالحسن ، اذا ما أراد النساء !

وبعد ان ارتوى من دماء اهل الشام ، وأثقل بالغنائم وغيرها من بركات الأرض المقدسة ، عاد - لدهشة الناس - مثقلا بالذهب والاحجار الكريمة ، على النقيض من الكثيرين الذين ذهبوا اغنياء ، وعادوا مثقلين بالجذام ، وقد خلا وفاضهم من الذهب !

\*\*\*

• وما ان وصل « بروين » - عن طريق تونس - حتى أنعم عليه مولانا الملك « فيليب » بلقب « كونت » ، وجعله نائبا له في مدينتنا وفي مدينة ( بواتو ) . . وبهذا أصبح حسن السمعة ، محبوبا ، لا سيما حين أضاف الى كريم خصاله ، تشييد كنيسة (كارم ديسكول) ، في ابروشية ( أجرينيول ) . وبهذا كفر عن حماقات شبابه ، ونال رضى الكنيسة ، وتاب الى الله . . وتحول من شاب شرير ، طائش ، الى رجل طيب القلب حكيم ، يحسن تكتم فسادة وملاذه . . نادرا ما يغضب ، اللهم الا اذا جدف امرؤ في حق الله أمامه ، فهذا ما لم يكن يحتمله ، لأنه - في شبابه - كان قد جدف بما يغنى كل امرئ سواه عن التجديف !

وقصارى القول انه لم يعد يتشاجر قط ، لأن الناس كانوا يسلمون له ، وينزلون عند رأيه فورا ! . . فرأى - بحق - كل رغباته تتحقق ، وهي رغبات كانت كفيلة بأن تحيل أى شيطان

الى ملاك وادع . . واصبحت له - الى جانب ذلك - قلعة شاهقة سامقة ، محلاة بالتماتيل ، مزدانة باللوحات والرسوم ، شيدت على الطراز الاسبانى ، وانصببت على احدى الضفاف ، بينما اسنقت صورتها على صفحة نهر ( اللوار ) . . وقد فرشت قاعاتها بالابسطة الملكية ، والاثاث ، والتحف والزينات الشرقية ، والمبتدعات التى كانت موضع الدهشة والاعجاب من اهل ( تور ) ، بل والاساقفة ورجال كنيسة « سان مارتان » التى منحها راية موشاة بالذهب !

وكانت القلعة محوطة بالاراضى الزراعية الغنية ، وطواحين الهواء ، والغابات التى كانت تدر كل انواع المحصولات . ومن ثم فانها كانت مركز اقوى امراء المقاطعة ، وكان من السهل أن تحشد الف جندى ، ليحاربوا فى سبيل مولانا الملك . ومع ذلك فقد اشتهر « بروين » بالحلم والرحمة . . فلو أن قواسمه - الذى كان معروفًا بشغفه بشئى الرجال - جاءه قابضا على فلاح مسكين لارتكابه احدى المخالفات ، لقال له السيد باسماء : « دع الرجل يذهب يا بريديف . . فقد عفونا عنه كفارة عن أولئك الذين ذبحناهم - فى رعونة - عبر البحار ! . . الا انه فى احيان كثيرة كان يأمره بأن يشئى أحد المذنبين كى تأخذ العدالة مجراها ، ومن ثم كان اهل اراضيه وادعين ، يحترمون النظام ، مطمئنين الى انه يحميهم من اللصوص ، والمتشردين والمعتدين . . اذ انه لم يكن يفلت واحدا من هؤلاء ، لأن تجاربه علمته مدى الأذى الذى يصيب الناس من هؤلاء الملاحين ! . . وفيما عدا ذلك كان السيد « بروين » تقيا ونقيا ، ينجز كل أعماله فى سرعة ونشاط واغتيباط ، ويقبل على صلواته وإبتهالاته ، كما يقبل على احتساء النبيذ الجيد الذى كان يحلو له أن يعب منه فى كل امسياته . . وكان يعطف على المساكين والمعوزين ، ويتناول غذاءه فى كثير من الاحيان معهم ، ليسرى عنهم ويدخل السلام والسكينة فى قلوبهم . . وكان يعتبر أولئك الذين ذبحهم



في الأرض المقدسة أبرارا اذ نالوا عقابهم الكافي بازهاق ارواحهم  
الا انه كان يضطهد اليهود ويضمر لهم الكراهية والبغضاء ،  
وخاصة اولئك الذين كانوا يزاولون منهم الربا . فكانت خطته  
معهم ان يدعهم يجمعون الغنائم من ضحاياهم ، كما يمتص النحل  
الشهد ، قائلا انهم افضل حياة للضرائب . . ثم لا يلبث بعد  
ذلك ان يسلبهم ما جمعوا . . على انه لم يكن يفعل ذلك الا  
لمصلحة الكنيسة ، والملك ، ونفسه !!

ولقد اكسبته روحه المرحه هذه ، محبة كل الناس - كبيرهم  
وصغيرهم - واسبغت عليه كامل اجلاتهم وتقديرهم . . فاذا  
عاد باسم الوجه من دار المحكمة - حيث كان يقضى بين الناس -  
هش في وجهه اسقف ( مارموتيه ) ، الذي كان كهلا مثله ،  
قائلا : « ها ! ها ! ايها السيد لا بد ان ثمة ضحايا للمشنقة ،  
مادمت تضحك هكذا ! » . . وكان اذا اقبل من ( روش كوربون )  
الى ( تور ) مارا على صهوة جواده بضاحية ( سان سيمفوريان )  
اشارت الفتيات اليه قائلات : « هذا يوم العدالة ، وها هوذا  
السيد الطيب بروين ! . . » . . ثم ينظرن اليه في جراءة ، وهو  
بمتطى جواده الضخم الابيض ، الذي كان قد اتى به معه من  
الشرق الادنى . . حتى اذا بلغ القنطرة الممتدة عبر النهر ، توقف  
الاولاد الصغار عن لعب الكرة ، ثم يلوحون له قائلين في مرح :  
« طاب يومك ايها السيد نائب الملك » ، فيجيبهم مداعبا :  
« متعوا انفسكم يا اولادى ، لاننى بعد قليل سأصدر امرى  
بضربكم بالسياط ! »

\*\*\*

• وهكنا جعل المدينة ترفل في طمانينة وسلام ، وقد  
طهرها من اللصوص ، حتى لم يعد منهم - خلال عام الفيضان  
العظيم لنهر اللوار - سوى الاثنين وعشرين اثيما شنقوا في  
فصل الشتاء ، وغير يهودى واحد احرق في ميدان ( شياتونيف ) ،

لانه سرق اثناء مقدسا من آنية الكنيسة !!  
 وفي ذات يوم من ايام الحصاد - في السنة التالية - جاء  
 بعض المراكشيين ، والبوهيميين والفجر الهائمين على وجوههم  
 في وديان الارض ، وسرقوا بعض اوان أخرى من كنيسة (سان  
 مارتان) .. وفي المكان الذي كان يقوم فيه تمثال السيدة العذراء،  
 تركوا ثمة فتاة أثيمة ، عريانة ، من بهلواتهم ، يريدون بها  
 التهكم على عقيدتنا .. ومن أجل هذه الجريمة - التي لا سبيل  
 الى وصفها - صدر القرار من الملك والشعب ورجال الكنيسة  
 مجتمعين ، بأن تحرق الفتاة الفجرية في الساحة القريبة من  
 النافورة التي كانت تتوسط احياء المدينة .. الا أن الرجل  
 الطيب (ابروين) اوضح للجميع - في لباقة وقوة اقناع - أنه  
 من الادعى لرضاء الله وسروره ، أن تجتذب هذه النفس للديانة  
 المسيحية .. واذا كان الشيطان مقيما في هذا الجسد الانثوي،  
 فلن تجدى اكوام الحطب الملهب في احراقه !

وفكر كبير الاساقفة مليا ، فوجد أن هذا الرأي اقرب الى  
 الروح الكنسية ، وأكثر مطابقة لسماحة العقيدة المسيحية ،  
 وتعاليم الانجيل .. الا أن سيدات المدينة ، وأصعاب الجاه  
 فيها ، جاهرُوا علانية بأن هذا التصرف يحرمهم من متعة  
 احتفال بديع كانوا يأملون اقامته لاحراق الفتاة .. فاجابهم  
 السيد «ابروين» بأن ثمة احتفالا رائعا - من نوع آخر - سيقام  
 اذا وهبت الفجرية نفسها للديانة المسيحية ، وأنه سيأخذ على  
 عاتقه أن يكون هذا الاحتفال محوطا بفخامة ملكية ، وأنه - كسفير  
 للبلاط في المدينة - سوف يكون عراب (اشبين) الفتاة في هيكل  
 العمودية ، وسيجعل من احدى العذارى زميلة له في هذا الامر،  
 ارضاء للعناية الالهية !

ولم تتردد الفجرية طويلا ، في الاختيار بين اكوام الحطب  
 الملهب ، وماء العمودية ، ففضلت - عن طيب خاطر - أن تكون  
 مسيحية وتبقى على قيد الحياة ، على أن تكون فجرية



وتحرق : .. ورغبة في التأكد من اخلاصها في اعتناق العقيدة الكاثوليكية ، وضعت في دير للراهبات ، بالقرب من (شلاونيريه) حيث تلقت سر العماد !

\*\*\*

• وأقيم الاحتفال في جناح كبير الاساقفة .. حيث اقبل سادة (تورين) وسيداتهما يرقصون ، ويمرحون ، ويفرحون ، اكراما لمنقذ البشرية . فان اهل هذه المدينة اكثر مرحا وافراحا ، واقبالا على الاكل والغزل ، وافتنانا في الاحتفال بالاعیاد والمواسم ، من اهل أى مكان آخر في الارض ..

اما «نائب الملك» الكهل الطيب ، فقد اختار عذراء طاهرة ، لتكون زميلته في حفل العماد ، هي ابنة الكونت « دى آزى لوريديل » ، التى أصبحت تدعى - فيما بعد - «آزىلو برينزليه» .. وكان والد هذه العذراء من فرسان الحملة الصليبية ، وقد اضطرت قوات الحملة الى ان تتركه - عند مشارف مدينة ( عكا ) - فى يد قائد عربى اسره اثناء القتال ، وأبى تسليمه الا فى نظير فدية باهظة جدا ، لانه كان من كبار القادة ! .. فاضطرت زوجته الى ان تقدم كل املاكه ضمانا لدفع الفدية المطلوبة عنه .. ومن ثم فقد بقيت فى انتظار عودة زوجها ، بلا درهم واحد ، تقيم فى منزل متواضع من منازل المدينة ، بغير مقعد تجلس عليه او غطاء تلتحف به .. الا انها ظلت مع ذلك محتفظة بكبرياتها كملكة سبأ ، وبشجاعتها كحارس شديد المراس يدافع عن سيده !

واذ رأى « نائب الملك » الطيب القلب محنة السيدة ، ذهب فى لطف اليها ملتمسا ان تكون ابنتها عرابة للفتاة الفجرية فى حفل عمادها ، حتى يتخذ من ذلك وسيلة الى مساعدة السيدة الباسلة ومد يد المعونة اليها بوسيلة لا تخرجها او تجرح كبرياءها .. والواقع انه كان يحتفظ بسلسلة ثقيلة من الذهب

— كان قد استولى عليها أثناء اشتراكه فى الغارة على (قبرص) أثناء الحرب الصليبية — افقر ان يطوق بها جيد العذاراء الصغيرة التى ستكون زميلته فى حفل عماد الفجرية .. وفعلًا ، أحاط بهذه السلسلة جيدها .. الا انه علق معها — فى ذات الوقت — كل املاكه ، وامواله ، وخيوله ، وجواهره ، واعوامه الثمانين .. وبالجمله لقد ترك هنالك كل شئ يملكه ، بمجرد ان رأى «بلانش آزى» ترقص بين سيدات (تور) !!  
ومع ان الفتاة الفجرية شاءت ان تبهر القوم — فى آخر أيام حرقتها — فأبدعت فى الرقص ، وادهشت الجميع برقصاتها ورشاقة خطواتها وخفة وثباتها وروعة لفتاتها .. مع ذلك كله ، فان «بلانش» فاقتها — باجماع آراء القوم — برقصاتها الرقيقة المحتشمة !

وهكذا خلبت هذه الصبية لب الشيخ الصالح (( برون )) ، وهى تنقل أصابع قدميها الدقيقتين فى استحياء وتردد ، ينسجمان مع اعوامها السبعة عشر .. وألهمت رغبة عاتية .. رغبة بعثت النار فى كيانه ، من اخمص قدميه الى آخر فقرة من فقرات عنقه .. أما رأسه فكان — لكثرة ما تراكم عليه من الثلج الابيض — لاتنفذ اليه نار الحب .

وأحس الرجل — فى تلك اللحظة — بحاجته الى زوجة تعمر بيته ، فقد بدا له البيت موحشا ، كما لم يبد من قبل . وقفز الى ذهنه — لأول مرة — ذلك السؤال الخطير : « ماذا يكون قصر بدون سمير ؟ » .. وجملته القول انه ادرك فى ذلك اليوم المبارك ، أن الزوجة هى الشئ الوحيد الذى تبقى فى الحياة ليشتهيهِ ، ويقتنيه .. وعلى ذلك فقد اتجهت رغبته لان يتخذ هذه الزوجة فى الحال !!

ولم يفكر — خلال حفلة العمد — فى الثمانين عاما التى كانت تجل هامتة ، فقد راحت زميلته الصغيرة — منتصحة فى ذلك بتوجيهات امها — تحفه بالنظرات المرحه ، والايماءات اللطيفة ،



معتقد انه ما من خطر يمكن ان يهددها من كهل طاعن كهذا ،  
حتى لقد سمحت له في براءة وبهجة اول الامر ان يقبل يدها ،  
ثم ان يلتزم ، بعد ذلك ، عنقها او - ان شئت الدقة - تحب  
العنق بقليل . . على ما قرر الاسقف الذي قام بعقد زواجهما  
في الاسبوع التالي !

\*\*\*

• وكان حفل الزفاف ضخماً فخماً ، لم تشهد مدينتنا  
الجميلة - في كل تاريخها المجيد - ابداع منه ولا اروع ! . .  
فقد تجلت العروس ، في ثوب عرسها ، حسناء هيفاء ، لاتدانيها  
- في سحرها وفتنتها - فتاة اخرى في (تورين) . . وكانت  
نفوق كل عذراء في براءة الفكر ، وطهر الانوثة ، حتى انها كانت  
تجهل كل الجهل ما هو الحب . . وماذا يفعل المحبون . . ولماذا  
يفعلون ما يفعلون ؟ ! . . وكانت تعتقد ان الآباء يعشرون على  
الاطفال في حقول الحنطة !

كانت زهرة جميلة . . وغادة مرحة ، بريئة ، لم يمسهها  
سوء . . بل كانت ملاكا ليس ينقصه الا جناحان كي يطير الى  
الفردوس !!

وعندما غادرت المنزل المتواضع - الذي كانت تقطنه امها  
الدامعة العينين - كي يعقد قرانها في كاتدرائية القديسين  
جاثين وموريس ، احتشد اهل المدينة كلها كي يمتعوا أعينهم  
برؤية العروس الجميلة وهي تخطر فوق الابسطة التي فرشت  
على طول شارع ( لاسيليري ) . . فما ان وقعت ابصارهم  
عليها حتى هتفوا في عجب واعجاب ، فما حدث قط ان وطأت  
قدمان - اكثر من قدميها رقة - ارض (تورين) ، ولا ان رنت  
عينان - اكثر من عينيها فتنة - نحو سمائها . . ولا رأت هذه  
المدينة ، في يوم من الأيام ، ابهى جمالا من هذا الاحتفال الذي  
فرشت له الشوارع بالابسطة والزهور .

اما البنات الصغيرات في (سان مارتين) ، و (شاتونوف) ،

فقد رحن يحسنها على صفائر شعرها الطويل الجميل، وثوبها الموشى بالذهب، والأحجار الكريمة النادرة، والماسات البيضاء، والسلاسل الذهبية التي كانت الحبيبة الصغيرة المحبوبة تعبت بها، والتي ربطتها - الى الأبد - بالرجل الطيب (بروين) ! .. وكان هذا المحارب الكهل، يترنح طربا، وهو الى جانب عروسه، وكأنما اسكرته دنان من الخمر .. وقد طفرت السعادة من عينيه، وخلال تجاعيد وجهه، وفي حركاته ! .. ورغم انه كان بالكاد يقوى على أن ينصب قامته، فإنه بدا في تلك الساعة - وهو الى جوار بلانش - مرفوع الهامة، حتى لتحسبه جنديا يقف في استعراض، تحت بصر ضابطه .. وقد وضع يده على صدره، وكأنما كانت السعادة تخنق أنفاسه !

وبعد الاحتفال، تلقت أم العروس مبلغا كبيرا من المال، مكنها من أن ترحل في الحال الى حيث كان زوجها الاسير في (عكا)، تصحبها فرقة كاملة من الجنود التابعين للكونت دي روش كوربون .. فانطلقت في ذات يوم الزواج، بعد ان اسلمت ابنتها الى « نائب الملك » الطيب القلب، راجية اياه أن يحسن معاملتها .. ولم يمض وقت طويل حتى عادت ومعها زوجها، الذي كان الجذام قد أصابه، فما فتئت تعالجه وترعاه بنفسها - في أناة وصبر - غير مكترثة بخطر العدوى، مما اكسبها كل تقدير ..



• وما ان انتهت افراح الزفاف - التي استمرت ثلاثة ايام - حتى اصطحب السيد « بروين » عروسه الصغيرة الفاتنة، في موكب رائع الى قلعته .. وجريا على عادة الازواج في ليلة الزفاف، رفعها بين ذراعيه وارقدوها في دعة في سريره، الذي كان اسقف (مارموتيه) قد باركه .. ثم جاء واستلقى الى جانبها فوق الفراش الفخم الوثير !

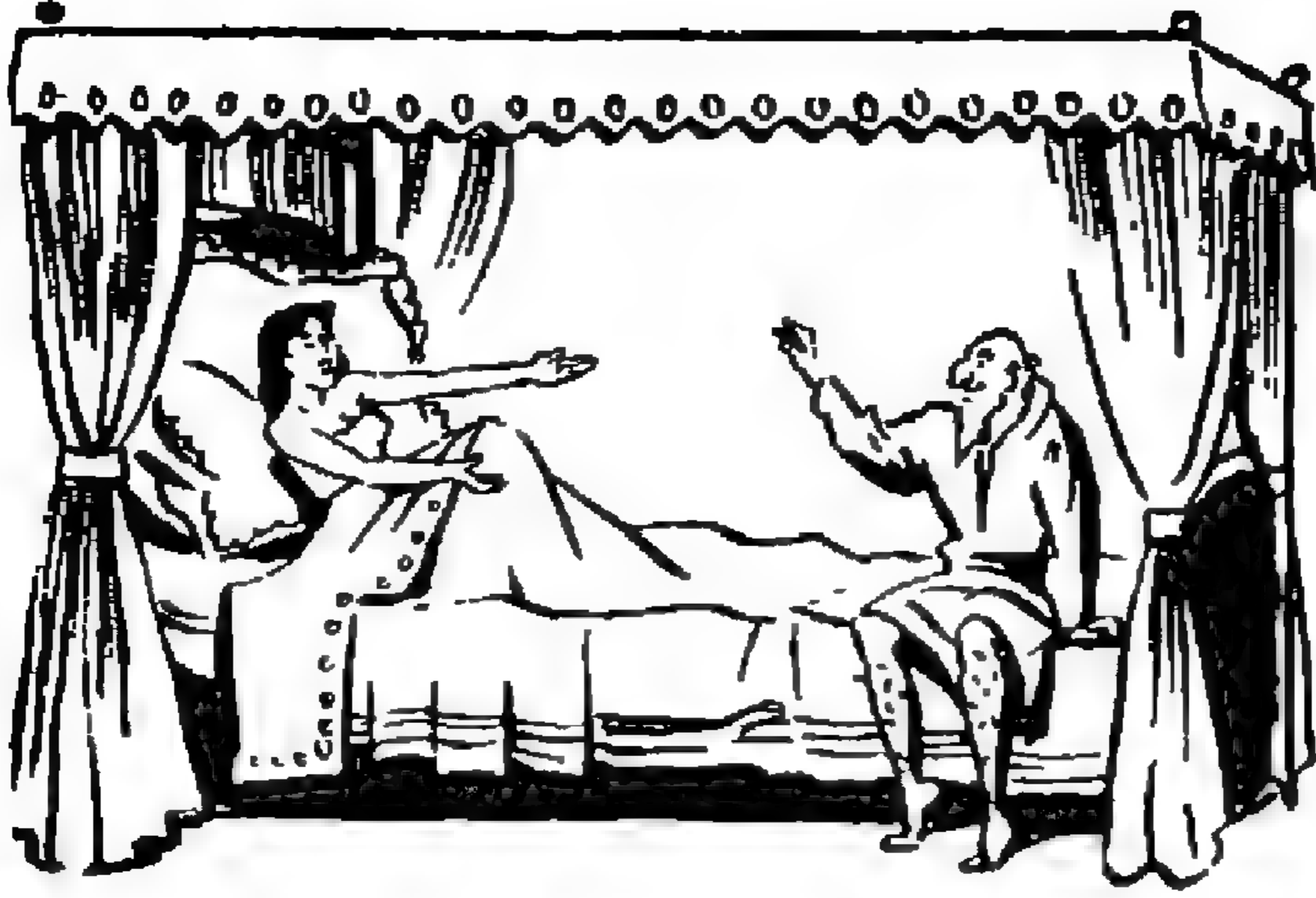


وهكذا وجد نفسه أخيرا - بعد أن تعطر من قمة رأسه إلى أخمص قدميه - مع العروس الجميلة ، جنباً إلى جنب . فقبل جبينها ، ثم صدرها البض . وكان هذا أقصى ما أقدم عليه ! . . . فبالرغم من أنه كان قد اتعش نفسه بمقدار واف من نبيذ الزواج - الذي كان قد وضع بالقرب منهما ، في كأس ذهبية ، بعد أن باركه الأسقف ، حسب العادة - إلا أن الخمر ، وإن كانت قد أدفأت أمعاءه ، عجزت عن أن تبعث أية حرارة أو حياة في روحه الخاملة ، أو حيويته الخاية . . . فما لبث أن أراح رأسه وتهاى لينام ، في هدوء وسلام !

أما بلانش ، فلم تطف بها أية دهشة من مسلك زوجها ، إذ كانت عذراء في تفكيرها ، كما كانت عذراء في طبيعتها وتكوينها . . . فلم تكن تفهم للزواج معنى آخر ، إلا أنه الملابس والولائم والخيول والرحلات . . . وأن تكون سيدة بيتها ، فتصدر الأوامر إلى الخدم والاتباع ، وتستمتع بكل ما يتاح لها من نعيم ! لذلك فأنها راحت تعبت - كالطفلة - بأشرطة السرير الذهبية ، وتعجب ببذخ المخدع الذي كان عليها أن تودع فيه براءتها . واذ استشعر الزوج عجزه راح يرجو الخير في المستقبل وأخذ يعرضها بمختلف الطرق ، ويمنيها بالعود والآمال . . . وفي غمرة الإعجاب البريء برجلها ، رفعت رأسها عن الوسادة ، وراحت تبتسم . . . ورأى الرجل الماكر - الذي لم يالف العذارى ، ولكنه عرف بالخبرة ، الألاعيب التي يحذقنها - أنها بدأت تعابته ، فخشي تلك اللمسات الرقيقة ، والقبلات الخفيفة . . . فتباعد إلى حافة السرير ، وقال لعروسه : « حسنا يا حبيبتي ، ها قد أصبحت زوجة لنائب الملك ! »

فقالت : « أوه ، كلا ! » . . . وهتف في جزع عظيم : « كيف كلا ؟ . . . أليس الآن زوجة ؟ »

فقالت : « لا . . . لن أكون زوجة ، إلا إذا كان لي ولد ! » وهتف الكهل وقد ازداد جزعه : « ألم ترى وأنت قادمة



الى هنا الحقول المترامية ؟ » .. فأجابته : « أجل ، رأيتها » ..  
فقال : « انها الآن ملك لك ! » .. وهنا قالت ضاحكة : « أوه !  
أوه ! لسوف أتسلى بصيد الفراشات فيها ! » .. فقال : « انت  
اذن فتاة طيبة .. وهل رايت القباب ؟ » .. واجابت الفتاة :  
« آه ! لست أحب أن أكون هناك وحدى ، وسيكون عليك أن  
ترافقنى اليها ، ولكن .. اعطنى قليلا من هذا الشراب الذى  
فى الكأس ! »

واذ ذاك اشتد اضطراب الشيخ وقال لها : « ولماذا يا حبيبتي ؟  
انه لسوف يشعل النار فى جسدك ! » فأجابته وهى تعض  
على شفتيها : « أوه ! ان هذا ما ابتغيه ، لاننى أشتى أن أعطيك  
طفلا فى اقرب وقت . واعتقد أن هذا الشراب مفيد لهذا  
الغرض ! »

وضحك نائب الملك ، وقد أيقن ان زوجته عذراء من رأسها  
الى قدمها ، وقال لها : « آه ، يا صغيرتى .. ان ارادة الله ضرورية  
لذلك .. ولا بد للنساء من أن يتهيأن بشكل خاص لتلقى  
النتاج » .. فسأله بأسخسة : « ومتى ساكون فى حالة  
استعداد ؟ » .. فأجاب وهو يغالب الضحك : « حينما تريد



الطبيعة ذلك » .. وعادت تسأله : « وما الذى ينبغى ان نفعل من أجل هذا ؟ »

وقال الكهل مجيبا : « أوه ! انها لعملية عضوية كيماوية فى منهى الخطورة ! » .. فقالت ، بنظرة حاملة : « آه ! ذلك اذن هو السبب فى أن امى بكت حينما فكرت فى هذا الامر .. ولكن برتا دو بروليه - التى تعيش مسرورة جدا بزواجها - قالت لى ان هذا أسهل شئ فى العالم » . فأجابها السيد العجوز قائلا : « ان هذا ياعزيزتى يتوقف على السن .. ولكن قولى لى ، هل رأيت - فى حظيرة الخيل - تلك الفرس الجميلة البيضاء ، الزائغة الصيت فى تورين ؟ » .

- نعم ، انها حقا غاية فى اللطف والبهاء !

- حسن اذن ، سأهبك اياها ، ولك ان تذهبى بها أين

نشئت ..

فضحكت قائلة : « أوه ، انك لرفيق جدا .. ولم يكونوا كاذبين حين قالوا لى ذلك عنك ! » .. فقال لها مغتبطا : « وفوق ذلك يا حبيبى ، فان خادم المائدة ، وراعى الكنيسة ، وحارس الخزانة ، وطبيب الماشية ، وحاجب المحكمة ، وحتى قائد الحامية - ذلك السيد مونتسورو - وضباطه ، وجنوده ، وخيله .. كل أولئك رهن اشارتك ، وسيبادرون على الفور الى تنفيذ امرك ، والا فأننى أشنقهم على فروع الاشجار ! » ولكنها عادت تسأله : « وتلك العملية الخطيرة التى ذكرتها ، هل يمكن اجراؤها حالا ؟ » . وهنا أجابها قائلا : « أوه ، كلا! .. على أنه لابد - قبل كل شئ - من ان يكون كل منا فى حالة طهر امام الرب ، والا رزقنا طفلا شريرا مفعما بالخطايا ، وهو أمر ممنوع بمقتضى قوانين الكنيسة .. وهذا هو السبب فى أن ثمة مجرمين كثيرين فى العالم ، اذ ان آباءهم حين أرادوا انجابهم لم ينتظروا - عندما أرادوا انجابهم - تلك اللحظة التى تكون فيها أرواحهم صافية نقية ، ومن ثم فقد وضع الله

أرواحا شريرة في ابنائهم .. اما الاطفال الممتلئون جمالا ونعمة فانهم أولئك الذين يأتون من آباء طاهرين .. ولهذا السبب جرت العادة على ان يبارك الكهنة فراش العروسين في ليلة زفافهما ، كما فعل أسقف مارموتيه بهذا الفراش .. فهل سبق لك من قبل ان خالفت قوانين الكنيسة ؟ »

فأجابته في سرعة : « أوه . كلا . لقد تلقيت قبل القداس عفراانا عن كل خطاياي .. وقد ظلت منذ ذلك الحين دون أن ارتكب أتفه خطيئة . » فقال الشيخ الماكر : « انك لمثال الكمال .. وكم أنا مغنبط اذ اتخذتك زوجة لى .. ولكنى ارتكبت خطيئة ، اذ انطلقت في السباب كما يفعل الكفرة ! » .. فسأله قائلة : « ولماذا شتمت ؟ » .. وكان جوابه : « لان فترة الرقص في الحفلة طالت ، في حين اننى كنت مشتاقا لأن آخذك الى هنا كى أقبلك ! »

ثم أخذ يديها في لطف وغمرها بالقبلات ، هامسا في اذنيها بكلمات الحب العذبة ، التى افعمت قلبها البريء بالسرور والرضى . ولما كانت مراسيم الاحتفال قد ادهقتها ، فان النعاس بدأ يغالبها ، فقالت لزوجها : « سأحرص منذ الغد على ألا أجعلك ترتكب خطيئة أخرى ! »



• والقت رأسها البديع على الوسائد مستسلمة للنوم ، تاركة الرجل الفانى مأخوذا بجمالها ، حائر القلب واللب، يسائل نفسه : كيف يمكنه أن يبقيا على براءتها وطهر فكرها ؟ .. ومع أنه لم يشعر بكثير من التفاؤل ، فان ما انكشف لعينيه في تلك اللحظة من مفاتن زوجته الصغيرة ، دفعه الى ان يقرر بينه وبين نفسه ان يدافع الى الرمح الاخير عن هذه اللذة المتلائة ، وان يذود عن ينبوع طهرها ، بذات الحماس الذى زاد به عن ارض فلسطين .. وراح — والدموع في عينيه — يلثم



جدائل شعرها البديع ، ومقلتيها الناعستين ، وشفتيها الناضجتين .. وكانت لثماته كمرور النسيم الواهن من فرط نعومتها ، خوف أن تصحو فاتنته من نومها .. وكان هذا هو كل محصوله في ذلك المساء .. وهو ما يفتأ يبكي من كثرة ما تراكم على رأسه الابيض على مر السنين من ثلوج الشتاء !!

## ٢ - كيف حارب نائب الملك نزوات زوجته الساذجة ؟

• وفي الايام الاولى من زواج نائب الملك المسن ، راح يخلق الاعذار ، ويخترع الاكاذيب ، ليهرب من الحاح زوجته والحافها في السؤال والاستفهام عن حقائق الحال فيما يتعلق بالحب ، ورغبتها في انجاب طفل .. واخذ يتعلل - في بادىء الامر - بانشغاله بأعماله القضائية ، تاركاً اياها وحيدة فريدة في القصر الكبير .. ثم مال بث بعد ذلك أن أبدى لها انهماكه في جمع الفلاحين من الاراضى المجاورة ، ليقطفوا الكروم في حدائقه .. وهكذا راح يلتمس الف سبب تافه ، وفريه ملفقة ، ليعلل غيابه عنها ، وعدم اقترابه منها لتحقيق رغبتها ! .. فتارة كان يقول لها أن كبار الاشراف لا ينبغي لهم أن يفعلوا كعادة الناس ، بل هم ينجبون أطفالهم بتعاويد خاصة ، يتلوها عرافون خيرون ! .. وتارة أخرى ، كان يقول لها ان الانسان ينبغي أن يمتنع عن انجاب الاولاد في ايام الأعياد ، لأن في ذلك خطيئة عظيمة !! .. وفي بعض المرات ، كان يزعم لها انه مالم يكن الابوان كاملي الطهر ، فان الاولاد الذين يتم صنعهم في عيد « سان كلير » يولدون فاقدى البصر .. وفي عيد « سان جاتيين » يولدون مصابين بالنقرس .. وفي عيد « سان اجنس » يولدون برؤوس ممسوخة .. وفي عيد « سان روش » يصابون بالطاعون ! وكان يحذرهما - أحياناً - قائلاً ان أولئك الذين تحمل بهم أمهاتهم في شهر فبراير ، يولدون مجانين .. وفي مارس يغدون من الفاسقين .. وفي أبريل يعيشون تعساء .. وأما سعداء

الطالع فهم أولئك الذين يأتون فى شهر مايو .. شهر الزهور ،  
وتفريخ الطيور !

**وفصارى القول انه كان يريد ابنه كاملا ، سليما ، جميل  
الشكل ، رشيق القوام ، رقيق الشمائل والشعور .. ولذلك  
فلا بد ان تنهيا كل الظروف الملائمة لانجابه .. مهما طالت  
الايام والشهور !!**

وكان - فى احيان اخرى - ينظر الى بلانش ، مصطنعا  
امارات الجد قائلا أن الرجل هو صاحب الحق المطلق فى أن  
يمنح زوجته طفلا ، فان كانت تزعم انها امرأة فاضلة ، فعليها  
أن ترضخ لمشيئته وانه فى الواقع يرى ان من الضرورى انتظار  
عودة امها الكونتيسة ، حتى تعاونها فى عملية الوضع والنفاس  
.. لا سيما أنها صغيرة السن ! »

وادركت بلانش - آخر الامر - أن الحاحها يزعجه ويشغل  
عليه ، وخطر لها انه ربما كان على حق فى ذلك ، لانه طاعن السن ،  
جم الخبرة والتجارب ، فلم يسمعها الا أن تستسلم وتسكت ،  
والا تفكر مرة اخرى - الا فيما بينها وبين نفسها - فى الطفل  
الذى كانت تشتهييه ولا تعلم كيف تأتى به .. ومن ثم فانها لم  
تفتأ تسأل نفسها : كيف ؟ ! ومتى ؟ ! واين ؟ !

وفى ذات مساء حدث بالمصادفة ان تكلم « بروين » عن  
الاطفال ، بعد ان كان يتجنب الحديث عنهم كما تتجنب القطط  
الماء .. فقد كان فى تلك الساعة يشكو من فتى كان قد أصدر  
حكمه عليه فى الصباح ، من أجل جرائم فادحة ارتكبها ، قائلا  
انه بالتأكيد من نسل اناس محملين بالخطايا المميتة ! .. فقالت  
بلانش : « واحسرتاه ! لو انك اعطيتنى ولدا - رغم انك لم  
تكن فى حالة الطهر الذى تقول ان لا بد منه لانجاب الاولاد - فلن  
أتوانى عن أن أصالح أى نقص قد يكون فيه ، بحيث تجد فيه  
بهجتك ومسرته ! »

واذ سمع نائب الملك ذلك من زوجته ، تأكد انها واقعة



تحت سلطان رغبة طاغية ، وان الوقت قد حان لكى يبددا وهام براءتها ، ويسيطر على زمامها .. فصاح قائلاً : «ماذا يا حبيبتي ، اتريدين أن تكونى اما ؟ .. وا أسفاه ، فأنت لا تعرفين بعد وظيفة الزوجة ، ولم تألفى ان تكونى سيدة بيت ! » فقالت : « أوه ، أوه ! هل لابد لى - لكى اكون كونتيسة كاملة ، وفى احضائى طفل صغير - من ان أقوم بدور السيدة العظيمة ؟ .. لسوف افعل ذلك اذن ، وسأفعله على الوجه الأكمل ! »



• وهكذا بدأت زوجة نائب الملك تنطلق الى الغابات لتصيد الياثل والظباء وتعدو على ظهر جوادها عبر الوادى والجبل ، وخلال الاحراش والحقول ، مغتبطة بتأمل النسور وهى تحلق فى السماء .. واثناء تلك الرحلات ، بدأت تكتسب معرفة جديدة بأحوال الطيور - وهى فى فصل التفريخ - وترقبها وهى فى غزلها وعناقها .. كما كانت ترى الحيوانات البرية وهى تطفئ - فى اوقات الحب - لهيب اشواقها .. فما لبثت ان اكتشفت مع طول التفكير والتأمل سر الحب واعجوبته الكيمياوية التى كانت من قبل موضع تساؤلها وحيرتها فيما بينها وبين نفسها .. ومن ثم انعكست على نائب الملك خطته حين أراد ان يخمد الرغبة الدفيئة التى كانت تعدم فى مشاعر زوجته ، فاذا محاولته تهيبء الفرصة لاكتشاف المنفذ لهذه الرغبة ، فما لبثت ان انفجرت فى عنف !

اذ ذاك وجد السيد الطيب « بروين » انه اخطأ خطأ عظيماً ، اذ سمح لزوجته بالخروج وحدها الى الغابات .. ولكى يرجىء اندحاره الى مابعد موته ، قرر ان يصحبها فى كل رحلاتها .. الا ان المسكين لم يكد يشرع فى تنفيذ عزمه ، حتى ألقى نفسه بلاقى مشقة عظيمة فى ملاحقة عروسه الصبية ، وهى منطلقة

على ظهر جوادها .. لا سيما ان الخبيثة كانت تجد متعة في ان تسبقه في عدوها ، وهو يجرى خلفها مبهور الانفاس ككلب صيد عجوز !

وفي امسيات كثيرة كانت تتجه رغبته الى الرقص ، فلا يجد الرجل الطيب مندوحة من ان يرافقها الى حلباته ، وقد التف من رأسه الى اخمص قدميه في رداء ثقيل .. وهناك يجد نفسه مضطرا لان يشاركها تلك الحركات العنيفة التى ينهمك فيها الراقصون ، اذ يروحون يلفون ويدورون ، ويقفزون وينثنون ، ويطوحون ايديهم وارجلهم ذات اليمين وذات الشمال .. وبينذاك يجاهد الرجل المسكين اعظم الجهاد في ان يلتقط انفاسه .. وكان - برغم أوجاع المفاصل ، وتصلب الشرايين ، وتراكم الدهون في بطنه البدين - يضطر الى ان يتسم في وجه صغيرته الحبيبة . فقد كان يحبها حبا جنونيا، حتى انه ما كان ليتوانى عن ان ياتيها بالمستحيل اذا هى طلبته! الا ان الرجل الطيب ما لبث ان تبين - في نهاية الامر - انه من العبث مواصلة ذلك الصراع مع رغبة زوجته العنيفة العارمة ، فلم يسعه الا ان يستسلم ويدع الامور تأخذ مجراها، مطمئنا - بعض الشيء - الى عفة «بلانش» وتدينها واحتشامها .. وان آلى على نفسه ان لا ينام الا بعين واحدة، فقد كان يحسد ان الله خلق العذارى ، لكى يختطفهن البواشق الطامعون !

\*\*\*

• وفي ذات صباح مطير ، كانت بلانش مستلقية على مقعدها ، وقد غرقت في تفكير عميق ، اذ ثقل عليها طهرها ورزحت تحت ثقل رغبته التى لم تكن تدري حقيقة كنهها ، فبدت حزينة حائرة ، خائرة القوى خاملة الحيوية على غير عادتها او عهدها .. واذا رآها الرجل الطيب على هذه الحال ، امتلا قلبه رفقاً بها واشفاقاً عليها ، فود ان يصرف عنها افكارها



وهمومها ، واقترب منها في حنان ، قائلاً : « من اين ياتى حزنك يا حبيبتي ؟ »

فأجابته قائلة : « من الخجل ! »

— وماذا اذن يخجلك ؟

فأجابته والدموع في عينيها : « اننى لست سيدة كباقي السيدات ، لأننى بدون ولد .. فهل ثمة سيدة بلا اولاد ؟! .. انظر الى جاراتى كلهن ، تجد لهن جميعا بنين وبنات .. وانا كذلك قد تزوجت ليكون لى مثلهن ، وتزوجت أنت لتمنحنى اولادا .. ان جميع نبلاء (تورين) قد منحوا زوجاتهم اولادا كثيرين ، وانت وحسبك لم تفعل ، ومن ثم فانهم يسخرون منك ! .. ما الذى يحدث — بعدك — لاسمك ولقبك ومنصبك واملاكك؟ اذهب كل ذلك هباء؟ .. ثم هانحن نعيش وحيدين ، فمن هو الرفيق الطبيعى لنا ؟ .. انه طفل نفرح به ونجعله على الدوام بهجتنا والعبوتنا ، فندله ، ونهدده ، ونخلع عنه ثيابه لنلبسه غيرها ، ونغدغه ليضحك .. ونغنى له لينام ، فنسلمه الى سريره ، ثم نرفعه منه لنقلديه .. لكم اشعر بأننى كفيفة — اذا اوتيت نصف طفل — بأن اجعل البيت جنة ، وأجعله هو زينتها ! »

فقال لها وقد غاص قلبه بين جنبيه من فرط القنوط : « الا يحدث أن تموت سيدات أثناء انجاب الاطفال ؟ .. والا ترين أنك — لذلك — مازلت غضة الالهاب ، ضعيفة الاحتمال؟ .. اما اذا اشتريت طفلا جاهزا ، فانه لن يكبدك الما ولا وجعا ! » .. بيد انها قالت : « ولكننى أريد الألم والوجع ، الذين لن يكون الولد ولدى الا بهما .. فاقنى لأعلم جيدا انه ينبغي ان يكون خارجا من جسدى ، اذ طالما سمعتهم فى الكنيسة يقولون ان يسوع هو ثمرة بطن العذراء ! »

فصاح نائب الملك : « حسنا جدا .. صلى للرب — اذن —

كى يعطيك ولدا .. وتشفعى لذلك بعذراء اجرينبول ، شفيعة  
اللائى يطلبن اطفالا »

\*\*\*

• وفى ذات اليوم ، انطلقت العروس الجميلة الى كنيسة  
العذراء ، وقد تزينت كملكة ، وارتدت ثوبا من المخمل الأخضر ،  
مطرزا بأشرطة ذهبية ، وقد انحسر عن صدرها . ووضعت على  
رأسها قبعة رائعة مرصعة بالجواهر الكريمة ، ولبست فى قدميها  
البديعين حذاءين دقيقين رشيقيين مزخرفين باللالىء واليواقيت ،  
وركبت جوادا أبيض ذا سرج من الحرير الموشى بأسلاك  
الفضة . وتقدم ركبا قائد الحامية السيد « مونت سورو » ،  
وعيناه تتألقان كعينى الصقر ، وفرسانه من خلفه يتولون حماية  
الموكب وحراسة الطريق .. حتى اذا بلفوا حدائق (مارموتيه) ،  
كان نائب الملك قد اغفى لفسرط الحر - اذ كان من بواكير  
اغسطس - فراح الكهل المسكين يترنج فوق سرجه  
وتصادف ان كانت ثمة فتاة فلاحه تجلس القرفصاء تحت  
شجرة وارفة ، وقد راحت تشرب الماء من جرتها . فمالت على  
عجوز كانت تلتقط الحب المتساقط من الحصادين ، وسألتها  
عما اذا كانت اميرة الموكب فى طريقها الى دفن ميت من أهلها .  
فأجابتها الحيزبون قائلة : « كلا .. فهذه سيدتنا الكونتيسة  
روش كوربون ، زوجة نائب الملك فى يواتو وتورين ، ذاهبة  
لتضرع الى الرب كى يهبها طفلا » . فضحكت الفتاة وأشارت  
الى الفارس الجميل الذى كان على رأس الموكب ، قائلة :  
« بوسع ذلك الذى يسير فى المقدمة ، أن يئيلها بغيتها ، ولتوفر  
على نفسها النذر والعهد ! »

وقال احد المارة فى الطريق : « بالله انظروا الى السيد  
مونت سورو .. ان له من الحيوية والرشاقة ما يمكنه من  
غزو قلب السيدة ، فكانما خلق لذلك ! »



وانفجر من كانوا حوله ضاحكين ، فود السيد مونت  
سورو أن يذهب اليهم وينسقمهم على فروع الاشجار جزاء  
سماحتهم . ولكن « بلانش » ادركه مبادرة صائحة : « كلا  
اليها السيد لا تنسقمهم ، فهم لايعنون ما قالوا . ولسوف تنظر  
في امرهم عند عودتنا ! » .

واحمر وجهها خجلا ، فنظر اليها السيد « مونت سورو »  
في نهم ، وكأنما كان يغرس فيها وسائوس الحب ، ولكن أقوال  
الفلاحين كانت قد ذهبت بدكائها فعلا ، وجعلت براءتها  
كالخشب السريع الاشتعال . . في انتظار كلمة تضرع النار فيه !  
. . وهكذا لاحظت الفوارق الشائسة بين صفات زوجها الفانى ،  
ومحاسن ذلك الفارس الذى لم يتجاوز الثالثة والعشرين من  
عمره ، والذى استوى معتدلا على جواده ، متيقظا - رغم شدة  
القيظ - بادی الشجاعة والرشاقة !



• وهكذا استرسلت زوجة نائب الملك في هذه الافكار ،  
فلم تصل الى جسر ( تور ) ، حتى كانت قد أحبت ، في  
سريرتها ، « جوتييه » - وهو اسم هذا الفارس - كما تحب  
العذراء ، اذ تستشعر اضطرابا في عواطفها ، لا تدري كنهه . .  
وتحولت بذلك الى امرأة كاملة ، ترجو الخير للآخرين ، وتنتهى  
خير ما لدى الرجال . . وتولتها نوبة من داء الحب ، فاذا النار  
ندب في أعماقها ، واذا بها تترك - وان لم تدرك كيف - ان  
العينين تستطيعان أن ترسل تيارا يثير الاختلاج في عروقها ،  
والانتفاض في قلبها ، والرعشة في أطرافها وجنود شعرها . .  
ويبعث العرق دافقا ، ويشل يقظة المخ ، ويشيع الاضطراب في  
انابيب الحس وقنوات العصارات . . فاذا كل هذه الاجهزة - في  
كيانها - تضطرب ، وتنقبض وتنبسط ، وتذب فيها حرارة  
ووخز غريب !

تلك كانت شهوة العذراء .. شهوة قوية السلطان ،  
فرضت على بصرها غشاوة ، حتى أنها لم تعد تبصر زوجها  
الكهل ، وان رأت بجلاء ذلك الشاب « جوتييه » ، الذى كان  
يتألق فى بهاء !

وما ان دخل الموكب مدينة ( تور ) حتى استيقظ الزوج  
الطيب على آهات الاستحسان من القوم ، فتقدم فى خيلاء  
— محوطا بالحاشية — الى كنيسة « نوتردام دى ليجرينول » .  
ودلفت « بلانش » وحدها الى الهيكل الذى تطلب فيه النساء  
من الرب والسيدة العذراء ان يرزقاهن أطفالا . فلما أقبل  
الكاهن الذى يؤدى صلاة طلب الذرية ، ويتلقى العهود والنذور  
لذلك ، سأله عما اذا كان ثمة عاقرات كثيرات ، فأجابها الكاهن  
الطيب بأن الاطفال كانوا مصدر دخل عظيم للكنيسة !



فسأله : « وهل ترى كثيرا من السيدات الصغيرات  
السن ، أوتين أزواجا مسنين مثل زوجى ؟ »  
فقال لها : « نادرا »  
— ولكن هل أتجبت هاتيك الصغيرات نسلا ؟  
فابتسم الكاهن وقال لها : « دائما » ...  
— وهل تنجب أولئك اللاتي لم يؤتين أزواجا كهولا  
كزوجى ؟



فأجابها قائلاً : « أحيانا » ..

— عجبا ! هل يكون انجاب الاطفال مؤكدا من زوج طاهر السن — مثل نائب الملك — أكثر منه مع زوج شاب ؟

فقال الكاهن : « بالتأكيد ! » .. وعند ذاك سألته : « لماذا ؟ » . فأجاب الكاهن بوقار : « ان الله وحده هو الذى يتدخل فى انجاب الاطفال قبل الشيخوخة .. أما بعدها ، فان الرجال هم الذين يتدخلون ! »

وما ان سمعت بلانش هذه الكلمات من الكاهن الطيب ، حتى نذرت للعذراء كل ما كانت تتزين به — فى تلك الساعة — من ملابس ومجوهرات .. وكان فى الواقع نذرا عظيما ، لأن زينتها كانت تساوى ألفين من الجنيهات !

وفى طريق العودة قال لها نائب الملك ، وقد رآها تقفز بجوادها وتطفر فى مرح : « انى لأراك سعيدة جدا ! »

فقالت مبتسمة : « نعم . نعم ! فلم يعد بعد أى شك فى أننى سأرزق طفلا ، لأن أى رجل من هؤلاء سيساعدنى فى هذا الامر ، كما أكد الكاهن لى ذلك .. ولسوف أستعين فى ذلك بجوتيه ! »

واذ ذاك احتقن وجه نائب الملك وود لو يعود الى الكاهن فيذبحه . غير انه ما لبث أن فكر فى أن هذه جريمة سوف تكلفه كثيرا ، فأضمر فى مكر ودهاء أن يستعين برئيس الاساقفة فى تدبير انتقامه . وقبل أن تبدو أبراج ( روش كوربون ) فى الأفق ، أصدر أمره الى « جوتيه » — قائد حاميته — بأن ينطلق الى بلده ، وأن يقيم هناك حتى يأمر بعودته .. فأسرع هذا الى تنفيذ رغبة سيده ، اذ كان على علم بطباعه . وأقام نائب الملك فى مكانه ابن الكونت دى جالانج ، وكان فتى صغيرا — اسمه « رينيه » — لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره .. فجعله وصيفا له ، ريثما يبلغ السن التى

تؤهله لأن يتولى القيادة ، مسندا الحامية - بينذاك - الى رجل كهمل محطم كان يرافقه في صدر تسميابه في حرب فلسطين .. وبهذا ، اعتقد الرجل الطيب انه تخلص من الفخاخ ذات القرون المنصوبة له .. واطمان الى قدرته على كبح جماح الرغبة العنيفة المفررة ، التي كانت تهيمن على زوجته الساذجة !

### ٣ - تلك التي ليست سوى خطيئة مغتفرة !

♦ وفي يوم السبت النالى لوصول « رينيه » الى قلعة ( روش كوربون ) ، خرجت بلانش الى الصيد ، دون أن يرافقها زوجها الطيب ، فلما بلغت الغابة القريبة من (ليكارنو) ، رأت فارسا ينقض على فئسة خلف أكمة وارفة ، فوخزت فرسها بمهمازيها قائلة لأتباعها : « أسرعوا اليه ، ولا تدعوه يقنلها ! » .. بيد أنها لم تكد تقترب منهما ، حتى لوت عنان جوادها بسرعة ، وانطلقت عائدة الى قلعتها ، وقد صدها المشهد - الذى رآته - عن الصيد . واستغرقت في التفكير ، فلذا نوافذ عقلها تنفتح ، لينفذ منها ضوء ساطع ، أظهر ألف شيء بجلاء . وفجأة اكتشفت السر اللذيذ .. سر الحب المكتوب في كل اللغات ، حتى لغة الزهور والطيور والحيات وكل الحيوانات !! .. وما ان بلغت مخضعها حتى نادى زوجها وقالت له : « بروين ! لقد خدعتنى ! ان عليك ان تفعل كما فعل فارس ليكارنو مع الفتاة ! ؟ »

واذ ذاك أدرك « بروين » أن ساعته الخطيرة قد جاءت ، ونظر الى زوجته والشرر يتطاير من عينيه ، الا أنه كظم شعوره ، وأجابها في نعومة : « وا أسفاه يا حبيبتي .. عندما اتخذتك زوجة لى ، كان فى قلبى من الحب ، أكثر مما فى جسدى من القوة ، وقد ارتكنت الى سذاجتك وبراءتك .. ان أعظم أحزان حياتى هو أن أجدنى أشعر بكل قواى وطاقتى



محصورة في قلبي وحده . وهذا الحزن يعمل يوما بعد يوم على التعجيل بموتي ، ولن تلبثي أن تصبحي حرة .. فاصبري - بالله - حتى أرحل عن هذا العالم ! .. ان هذا هو الالتماس الأوحد الذي يتقدم به اليك ذلك الذي هو سيدك وله أن يأمرك ، ولكنه لا يرجو - مع ذلك - إلا أن يكون خادمك وعبدك ! .. أستحلفك بالله ألا تخونني شرف شيبتي ، فكم من سادة ذبحوا زوجاتهم في مثل هذه الظروف ! »

فقلت مدعورة : « واحسرتاه ! .. افتراك ستقتلني ؟ » .. فأجابها الكهل : « كلا . فأنني يا صغيرتي أحبك حباً عظيماً .. أنك لزهرة عمرى ، وفرحة روحي .. أن محياك الفاتن بهجة ناظري .. وأننى لأحتمل منك كل شيء ، سواء أكان حزناً أو فرحاً .. ولسوف أعطيك الحرية الكاملة في أن تفعل كل ما تشائين ، على أن لا تحققسدى على « بروين » المسكين ، الذى جعل منك سيدة عظيمة ، غنية ، ذات شرف رفيع .. أفلاترين أنك لن تلبثي أن تصبحي إرملة جميلة ؟ ! .. ان سعادتك ستخفف من لوعات موتى ! »

وألقى في عينيه الجافتين دمعاً ذرفها ، فسالت على وجهه المغضن ، ثم سقطت على يد « بلانش » التى أحزنها أن تشهد هذا الحب العظيم من زوجها الكهل ، الذى أبدى استعداداً لأن يضع نفسه في جوف الأرض كي يسرها .. فقالت ضاحكة : « رويدك ، رويدك ، لا تبكى ! .. لسوف أصبر ! »

وهنا أشرق وجهه بنور بهجة مفاجئة ، وانحنى على يديها بغمرهما بالقبلات ، وهو يهمهم في صوت مرتجف من فرط التأثر ، ويتحسسها كالقرد ، بيدين لم يبق منهما سوى عظام : « آه لو علمت يا بلانش ، يا حبيبتي ، كم أوسعك قبلات أثناء نومك ، دون أن أجسر على إيقاظ قطتى ، حتى لا أخنق سعادتى بعجزى عن مجاراتها في الحب ، فأقنع

بأن أعانقها بقلبي ! » . فأجابته في رفق قائلة له : « آه ، ان لك أن تداعبني وتعانقني ، حتى ولو كانت عيناي مفتوحتين ، فان هذا لن يضايقني في شيء ! » ..  
وعند هذه الكلمات ، نهض الرجل المسكين فتنساول الخنجر الصغير - الذى كان موضوعا على المنضدة بجانب الفراش - وأعطاه لها ، قائلا بحرارة : « يا حبيبتي .. بالله اقتلينى .. أو فارحمينى ودعينى أعتقد أنك تحبيننى .. ولو قليلا جدا ! » .. فقالت : « نعم ، نعم .. بل سأحاول ان أحبك كثيرا »

\*\*\*

• وهكذا استطاعت هذه الصبية العذراء ، أن تجعل نفسها سيدة ذلك الرجل الكهل ، وأن تسيطر عليه .. لأنها باسم الهة الحب والجمال ، وبما وهبت من دهاء المرأة الطبيعى ، جعلت « بروين » الكهل يجرى ويذهب كثور الطاحونة .. فهي لا تفتسا تقول له : « بروين ، اننى أريد هذا ! .. بروين ، اننى أريد ذاك ! .. بروين ! .. بروين ! » .. حتى أصبح رضاؤها أكثر ارهاقا له من قسوتها منه .. وادارت عقله ، فجعلته بقلب الدنيا رأسا على عقب ، بأقل حركة من حاجبها .. فإذا بدت مهمومة ، شرد ذهن نائب الملك ، وصاح في كل مذنب ، وهو على كرسي القضاء : « اشنقوه ! » . ولو أن رجلا آخر فى مكانه ، لمات مثل ذبابة من جراء ذلك الصراع الذى كان مستعرا باستمرار بينه وبين طبيعة الصبية الساذجة .. الا أن نائب الملك ، كان حديدى البنية ، فكان هلاكه عسيرا !

وفى ذات مساء ، قلبت بلاش البيت ساغله عاليا ، وربكت كل من فيه وما فيه ، قالت لزوجها وهى تستلقى على الفراش : « يا زوجى الطيب ، اننى لأستشعر نزوات



خسيسة تعذبني .. فهي تشور في قلبي ، وتلهب عقلي ،  
ويحفرني على ارتكاب أعمال شيطانية .. وفي الليل أراي  
أحلم بفارس لوكارنو ! »

فأجابها نائب الملك : « يا حبيبتي ، ان تمسة افكارا  
شيطانية ، ومغويات يعرف الرهبان والراهبات كيف يذودونها  
عن انفسهم ! .. فاذا كنت ترومين الخلاص ، فاذهبي  
واعترفي الى جارنا الفاضل أسقف ( مارموتيه ) ، فسوف  
يمحضك النصح ، ويوجهك الوجهة القدسية ! » فقالت :  
« غدا سأذهب اليه ! »

وما ان أصبح الصباح ، حتى أسرع الى دير الرهبان  
الصالحين ، الذين تولتهم الدهشة اذ رأوا بينهم هذه  
الحسنة الفاتنة ، فقادوها بترحاب عظيم الى اسقفهم الموقر ..  
ووجدته في حديقته الخاصة ، جالسا تحت اريكة وارفة ،  
خلف الصخرة العظيمة . فغشيها احترام بالغ ، لما كان يبدو  
عليه من جلال ومهابة ، رغم انها كانت قد اعتادت الا تقيم  
اعتبارا كبيرا للشعر الأبيض .. أما هو فقصد قال لها :  
« فليحفظك الرب يا سيدتي ، ما الذي جئت تشديده لدى  
رجل قارب الموت ، وأنت في عنفوان الشباب ؟ »

فأجابته وهي تحييه في لطف قائلة : « جئت التمس  
نصيحتك الغالية .. فان راق لك ان تهدي شاة ضالة ،  
فسوف يسعدني أن يتلقى اعترافي حكيم مثلك ! »

فأجابها الكاهن - الذي كان « بروين » العجوز قد دبر  
معه هذه الخطة ، وأفهمه الدور الذي عليه أن يؤديه - قائلا  
لها : « يا ابنتي ، لولم تكن ثلوج مائة عام قد تراكت فوق  
رأسي ، لما جرأت على أن أستمع الى خطاياك ، فتكلمي ..  
واذا قدر لك أن تدخل الى الفردوس ، فيسعدني أن يكون  
ذلك على يدي ! »

واذ ذاك أفضت زوجة نائب الملك الى الأسقف بكل ما كان

يمضها ، حتى اذا انتهت من سرد ذنوبها الصغيرة ، دلفت الى بيت الفصيح في اعرافها ، قائلة له : « آد يا ابي ، يجب ان اصرف لك بأننى فى كل يوم ، أفع فريسة الرغبة الجامحة و ان يكون لى طفل .. فهل فى ذلك خطيئة ؟ »

واذ قال الاسقف : « كلا » ، أردفت قائلة : « ولكن زوجى لا يريد .. » . فأجابها الكاهن : « اذن ، فعليك ان تعيشى فى طهارة تامة ، وأن تقلى عن كل الأفكار التى من هذا النوع .. »

فقالت له : « ولكنى سمعت من الكونتيسة دى جالانج ، أنها لا تكون خطيئة ، اذا كان الانسان لا يجنى من ورائها متعة أو لذة .. »

فقال الاسقف : « ان اللذة موجودة دائما ، فضعى فى ذهنك انها لخطيئة مميتة أمام الله ، وجريمة خطيرة أمام الناس ، أن تنجب سيدة طفلا من رجل لم تتزوجه زواحا كنسيا .. اما أولئك النسوة اللاتى يرتكبن هذا الجرم — ضد شرائع الزواج المقدسة — فسوف ينلن عقابا عظيما فى العالم الآخر ، ويقعن فريسة وحوش رهيبة تمزقهن بمخالب حادة . وتلقى بهن فى الجحيم ، عقابا لهن على انهن أدفأن قلوبهن — فى الحياة الدنيا — أكثر مما كان ينبغى ! »

فقالت الزوجة وقد بدا عليها الأسى :

« ولكن أليس من الظلم يا ابي ، ألا يكون لى ولد مثل

غيرى ؟ »

فأجابها الكاهن قائلا : « تلك ارادة الله .. »

فقالت له : « وهل من ارادة الله أن أموت أو يذهب عقلى ، من جراء ما يحدث لى ؟ .. انذى لأحس بشيء يتحرك فى اعماقى وفى نفسى ، فلا أعود اسيطر على حواسى ، وأشعر بأننى لا أعيا بشيء ، وانى لعلى استعداد لأن اتخطى الأسوار ، وأهيم دون حياء فى الحقول ، وأنبش الأرض ، كى أجد فارسا



كفارس ( لو كارتو ) .. وفي خلال هذه النسوبات والامها ،  
لا أعود أفكر في رب ، ولا في شيطان ، ولا في زوج ، بل أروح  
أجري ، وأقتحم الأبواب ، وأحطم الأكواب والأواني ، وكل  
شيء ، في هياج لا سبيل لي الى وصفه .. ولست أجروا على  
أن أعترف لك بكل أفعالي ، لأن لعابي يسيل لذكرها ، وان  
بقينى من نعمة الله ليملا نفسي رعبا . فإذا كان هذا التزق  
ينهشنى ويحزننى ، ويذبح تقسواى ، فهل يقضى الله على  
بالهلاك ، وهو الذى أودع في جسدى هذا الحب الجبار ؟ »  
واذ ذاك وجم الأسقف ، وقد أجم لسانه ذلك التفكير  
الحكيم ، والمنطق السليم ، والذكاء العارم ، الذى كانت يكمن  
وراء براءة هذه العذراء .. وما لبث أن قال لها : « يا ابنتى ،  
لقد ميزنا الله عن البهائم وجعل لنا فردوسا نسمى اليه .  
ولهذا فئانه منحنا عقلا ، هو الدفة التى توجهنا ضد العواصف  
وضد شهواتنا الجامحة .. وهناك وسائل لآخماد الأهواء في  
العقول ، وذلك بالصوم ، والانهماك في العمل ، وغير ذلك من  
الفضائل .. وبدلا من أن تعبثى وتتصرفى كطفلة اطلقت من  
قيود المدرسة ، يجب أن تصلى للعذراء ، وأن تنامى على  
سرير من الخشب الصلب ، وأن تقومى بواجباتك المنزلية ،  
ولا تدعى نفسك قط بلا عمل ! »

فلما سمعت بلانش هذه الكلمات ، التى قالها الأسقف  
بحرارة عظيمة ، انهمرت الدموع من عينيها وقالت له :  
« آه يا أبى ، اننى حين أكون في الكنيسة ، لا أرى الكاهن  
أو المذبح ، وانما يتركز بصرى كله في صورة يسوع الطفل ،  
فبيعث في ذهنى فكرة الطفل الذى أشتهيه .. واذا بالرغبة  
في الحب ، تراودنى بالرغم منى ! »

فأجابها الأسقف قائلا : « انك بهذا - يا ابنتى - في مثل  
الوضع الذى كانت عليه القديسة « ليدوار » ، اذ كانت نائمة  
يوما ، وقد باعدت بين ساقىها لفرط الحر ، فدهمها شاب

شرير وأودع أحشاءها طفلا .. ولما كان الجاني الانيم قد اعترف - وهو على منصة المشنقة - بأن القديسة لم تشعر قط بما فعل ، بل ظلت جاهلة به ، وحسبت انتفاخ بطنها مرضا خطيرا ، فقد رؤى أن خطيئتها مغفرة ، لأنها - بأعتراف الأنم - لم تستشعر لهذا العمل لذة ! »

**فهمت بلانش قائلة : « أواه ، يا أبى ! .. ثق من أننى لن أتحرك ، اذا قدر لى ما قدر لها ! »**

ثم أسرعت مهرولة الى الخارج فى مرج وفرح عظيم بهذه الفكرة البديعة المبتكرة .. وراحت على الفور تفكر فى الطريقه التى ترتكب بها خطيئة مغفرة !

\*\*\*

• وفى عودتها من الدير العظيم ، رأت - فى فناء قلعتها - « رينيه » ، الفتى الذى أتى به زوجها ليكون وصيفا له بعد أن أبعد رئيس حرسه « جوتيه » .. وكان الصبى يتدرب على ركوب الخيل ، وقد امتطى جوادا بديعا ، وهو ينحنى فوقه ، ويرتفع وينخفض مع حركاته ، وهو يدفعه الى القفز فى جسارة رائعة ، ومهارة . فهمت « بلانش » لنفسها : **« آه ! .. ليت هذا الوصيف فى الخامسة عشرة .. اذن لنهبت واستفرقت فى النوم قريبا منه ! »**

الا انها على الرغم من حداثة سن هذا الصبى الفاتن ، فقد راحت - اثناء العشاء - ترنو طويلا الى شعره الفاحم ، وبشرته البيضاء ، وبهاء طلعتة ، وعينيه اللتين كانتا تشعان بفيض من الحرارة الجارفة ، وبهيب الحياة الذى كان - لصغر سنه - لا يجسر على ان يسلطه عليها ؟ !

فلما تقدم المساء ، جلست زوجة نائب الملك فى مقعدها الوثير ، مفرقة فى التفكير ، واذ سألها زوجها عما كان يشغلها ، قالت : **« انما افكر فى أنك ولابد ، قد خضت مطرك الحب فى**

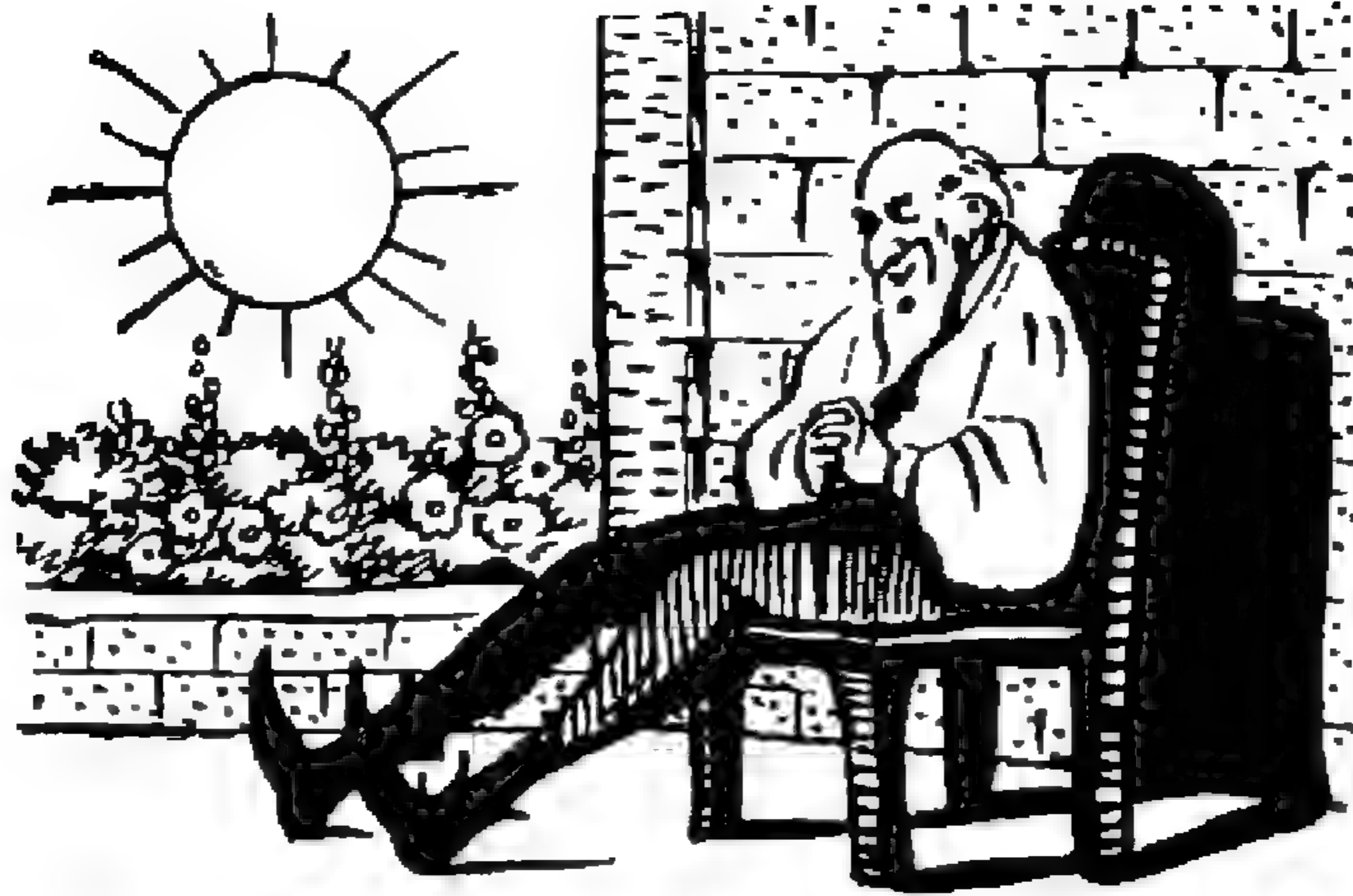


سن جد مبكرة ، مما أدى الى انهيارك بهذه الدرجة ! » . .  
فاجاب الشيخ باسماء - ككل الكهول اذا ما سئلوا عن ذكرياتهم  
الغرامية - قائلا لها : « اوه . . لقد تغلبت على مخاوف  
وصيفة امى وانا فى الثالثة عشرة والنصف من عمرى ! »  
ولم تشأ بلانش ان تسمع أكثر من هذا . . فشرذ ذهنها ،  
وقفز فى الحال الى تفكيرها أن بوسع « رينيه » الصغير  
- ما دام الأمر كذلك - أن يحذو حذوه . فكادت تطير فرحا ،  
وراحت - فى صمت - تستدق بنيران رغبتها !

### ٤ - كيف يتسنى الحصول على الطفل المنشود ؟ !

• ثم يطل بزوجة نائب الملك التفكير فى أسرع وانجع  
سيلة لايقاظ الحب فى قلب الوصيف ، اذ أنها سرعان  
ما اكتشفت الكمين الطبيعى الذى يقع فيه أكثر الرجال  
حذرا . فقد اعتاد زوجها الطيب ، أن يهجم فى أشد ساعات  
النهار قيظا ، جريا على عادة القيلولة ، التى أخذها عن  
اشرقيين ، ولم يتخل عنها منذ عودته من أرض فلسطين . .  
وكانت الزوجة الماكرة تخلو - فى هذه الاثناء - الى نفسها  
وحيدة ، اذ تعكف الوصيفات والخادومات - فى جناحهن -  
على أعمال الحياكة والتطريز ، والغسل ، وما إليها . ومن ثم  
نقد اختارت « بلانش » هذه الساعة بالذات ، كى تتولى تلقين  
الوصيف الصبى مبادئ القراءة والصلاة !

وما ان نام نائب الملك ، فى ظهيرة اليوم التالى - تحت  
وطاة الشمس التى راحت تلهب سفوح ( روش كوربون )  
بأشعة من نار - حتى استلقت زوجته فى رخاوة ، فى مقعده  
الضخم الكبير ، اذ أنها لم تجد مقعدا أكثر منه ارتفاسا  
لنحقيق غايتها . وحرصت الماكرة على أن تتكور كالعصفور  
فى عشه ، مسندة رأسها الى ذراعها - فى خبث - كطفل  
يستغرق فى النعاس . الا أنها ما فتئت - بين الفينة والأخرى ،



وهى تتظاهر بالنعاس - تفتح عيني زاهرتين بالشوق ،  
تتسلمان وتختلجان اذ تتصوران - مقدما - اضطراب الفتى  
الذى لن يلبث أن يجثم عند قدميها ، على قيد قفزة  
برغوث منها !

ودبرت أمرها ، بحيث أن القابع عند قدميها لا يتمالك  
- ولو كان قديسا مصوغا من الصخر - الا ان يرسل بصره مع  
اطراف ثوبها ، كى يملأ بصره بابداع الخالق الذى اودع ساقبها  
أبهى المفاتن .. حتى اذا اطمأنت الى احكام شباكها ، نادى فى  
لطف : « رينيه ! » . فبادر « رينيه » - الذى كان الى جوار  
القاعة دائما - ودس رأسه بين ستائر الباب ، وهتف وهو  
يرفع قبعته التى كانت أقل حمرة من خديه : « ما الذى يروق  
لسيدتى أن تبغيه ؟ » . فقالت مبهورة الانفاس ، اذ فتنها  
الفتى : « تعال هنا ! » .. والحق انه ما من جواهر كانت  
تحكى عينى « رينيه » بريقا ، ولا شيء يفوق بشرته بياضا .  
ولا امرأة تباريه فى تناسق القوام ، حتى لقد أيقنت « بلانش »  
بان مباحج الحب خليفة بأن تكون أكثر اشراقا وتألقا ، اذا  
شعنت من هذا الشباب !

ودفعت اليه كتابا ، وهى تقول : « اقرا لى ادعيان



السيدة العذراء ، لاتبين ما اذا كان أستاذك يحسن تعليمك !» . .  
وما ان أمسك كتاب الصلوات ، الذى صيغ غلافه من الذهب  
والفضة ، حتى سألته : « أظن أن العذراء كانت جميلة ؟ » . .  
وابتسمت ، فارتبك الفتى ، ورمق بهاء مولاته ، وقال على  
استحياء : « انها لوحة مرسومة ! »

وشرع يقرأ الأدعية العذبة المليئة بروح التصوف ،  
بينما كانت « بلانش » تتظاهر بالانصياع للنعاس ، حتى اذا  
بلغ الفتى عبارة : « آه يا وردة الغموض أ » ، لم يستطع أن  
يكذب أذنيه اذ سمعت السيدة تنهد . واذا ذاك شرع يغمرها  
بنظراته ، ويتلذذ بمفاتنها على مهل ، ولم يعد ميالا الى أن  
ينشد أى نشيد ، اللهم الا نشيد الحب . وأشد وجيب قلبه  
لفرط سعادته . . وراح « رينيه » يمتع عينيه ، وهو يتصور  
الف ثمرة من ثمرات الحب ، حتى لقد سهى من فرط الذهول  
عن كتابه ، فسقط من بين يديه . . وانتفض الفتى على  
صوت سقوطه مرتاعا خجولا . ألا أنه ، حين التفت سريعا الى  
سيدته ، ووجد الماكرة لم تبد أى حركة ، اطمأن الى أنها  
فى نوم عميق . . ووقع بصره على قدمها الرشيقة ، واذا به  
— بدافع غير ارادى — يجد نفسه قد مال وطبع قبلة عليها .  
ورأى أنه قد اغترف — بذلك — قدرا من السعادة يكفيه  
ليومه ، فهرع مغادرا الحجرة !

وما ان خلت السيدة الى نفسها ، حتى خشيت أن يطول  
الوقت ، قبل أن تنال حظها من الفتى ، اذا هى تركته يرتل  
نمامها الأناشيد . ومن ثم فقد اعتزمت أن ترفع قدمها قليلا  
— فى اليوم التالى — عسى أن تهفو المفاتن برشده . وبوسعك  
أن تتصور مدى اللهفة التى راح الفتى يرتقب بها موعد قراءة  
التراتيل لمولاته . . وفى هذه المرة ، تجرأ فترك يده تتحسس  
البشرة الحريرية ، حتى الركبة . وراح يغمرها بقبلات ناعمة  
خفيفة ، وهو على استحياء ، فغمفت السيدة ، وهى تحرص

على ان لا تتحرك . « آه يا رينيه ، لقد غلبني التعب ! »  
وتوقع الفتى أن يلقى لوما فاسيا ، فغادر الغرفة وجلا ،  
واذ ذاك غمغمت السيدة : « يا للعداء الظاهرة ! .. ما أصعب  
ترويض الصغار ! »

واخذ يتصعب عرقا ، عند ما حان موعد العشاء ، ووقف  
في انتظار مولاه ومولاته . وكم كانت دهشته عند ما تلقى من  
« بلانش » أفسق النظرات وأبعدها عن الحياء ، فاذا بمفعولها  
يحوله من صبي الى رجل جرىء . وتصادف أن اضطر  
« بروين » الى أن يبقى في مكتبه - في تلك الليلة - زمنا  
أطول مما اعتاد ، فانطلق الوصيف يسعى الى « بلانش » ،  
فاذا هي نائمة .. واذا ذاك ، أذاقها أعذب الاحلام ، وأزاح  
عن صدرها العبء الذى كان يثقلها ، وأتاح لها من لذائد  
الهوى ، ما كان يكفى لعدراوين . وما لبثت الماكرة ان شدته  
الى صدرها وهي تقول : « آه يا رينيه ، لقد أيقظتنى ! »  
ومنذ ذلك الحين ، ظل نائب الملك سادرا في قيلوته  
الشرقية ، بينما اعتادت زوجته ان تحظى بقيلولة فرنسية ! ..  
ومع كثرة القيلولات ، لم تلبث الزوجة أن شعرت بالكنز الذى  
منحها اياه « رينيه » ، يكبر في أحشائها .. فساورها القلق  
فيما يتعلق بخلاص روحها ، وبالأخطار التى تتهدد صديقها  
الوصيف الصغير !.

\*\*\*

• وفي ذات يوم مطير كانا يلعبان معا كطفلين صغيرين  
بريئين ، فقالت بلانش للفتى : « أتدرى يا رينيه اننى لا ارتكب  
- فى مداعباتنا - الا خطايا مغتفرة ، لأننى أكون مستغرقة فى  
النوم .. أما انت فانك ترتكب خطايا مميتة ؟ ! » . فهتف :  
« آه يا سيدتى ، اذن فلن يتسع الجحيم لكل الخاطئين ، اذا  
كانت هذه خطيئة ؟ ! » ..

فانفجرت ضاحكة ، وقبلت جبينه قائلة له : « خذ المسألة مآخذ الجد أيها الولد الشرير ، لأنها متعلقة بدخولك الفردوس ، وباجتماعنا معا فيه .. أنك لا تترك ما أريد لك من خير ، وما أريد أن أمنعه عنك من شر !! .. ألا تدري أنني محملة بطفل في أحشائي ولن يمضي وقت قصير حتى ينكشف امرى .. فماذا يقول الأسقف ، إذ ذاك ؟ وماذا يقول زوجي ؟ .. لسوف يقتلك إذا ثارت ثائرتة .. لذلك أتصحبك يا صغيرى ، بأن تذهب الى أسقف ( مارموتيه ) ، فتعترف اليه بخطاياك ، وتسأله عما يحسن عمله إزاء زوجي ! »

فقال الوصيف الساذج : « وا أسفاه ! .. لو أنني أفضيت اليه بسر مداعباتنا ، لحرم علينا حبنا ! »

فأجابته قائلة : « ليكن ! .. فان السعادة في العالم الآخر هي الأهم والأبقى ! » .. فنظر اليها في دعة وامتنال ، ثم قال : « حسنا ، سأذهب .. »

وفي صباح اليوم التالى ، انطلق « رينيه » الى الدير الأعظم ، لا لينال خلاص نفسه ، وانما لينقذ سيده !

### ٥ - كيف انتهى التفكير الى فاجعة اليمه ؟ !

• ما ان سمع الأسقف اعتراف الوصيف ، حتى صاح قائلا : « رباه ! لقد ارتكبت غدرا عظيما ، وخنت سيدك . فهل تعرف يا وصيف السوء ، أنك سستلقى في النار - الى الأبد - من أجل هذا ؟ وهل علمت أنه من أجل لحظة لذة رائلة - على هذه الأرض - قد فقدت فردوس السماء ؟ ! .. فيالك من تعس ؟ اننى لأراك الان غارقا أبدا في حفر الجحيم ، ما لم تدفع في دنياك ، ما تدين به لله من جراء هذا الاثم ! »

وهكذا راح الأسقف الصالح - الذى جبل من عجينة القديسين ، والذى كان عظيم السلطان في اقليم ( تورين ) - يبت الرعب في نفس الفتى بما كان يصوره له من عذاب ،



ومن تعاليم الدين ، ومن نذر الكنيسة ووصاياها .. فساق له من بليغ القول قدر ما يحتاج ابليس الى أن يقوله في سه أيام لاغراء عذراء .. حتى أذعن « رينيه » الساذج للأسقف الطيب ، الذى أمره بأن يذهب - أولا - فيرتقى على قدمى سيده ، ويعترف اليه بخطيئته ، فاذا نجا من غضبه ، فليرحل فى حملة صليبية ، وليقصد الأرض المقدسة لفوره ، فيبقى فيها خمسة عشر عاما ، منصرفا الى الجهاد !

وعاد « رينيه » المسكين - مثقل النفس بالندم ، فكان اول من لاقاه هو نائب الملك ، وقد راح يصقل أسلحته . وخوذاته ، وقفازاته ، وكل مهمات الحرب . فلما جثا « رينيه » أمامه ، دهش السيد الطيب ، وسأله عما به . فأجابه رينيه : « يامولاى ، مر الموجودين هنا بأن ينسحبوا » **فلما أصبحا على أفراد ، إراح الوصيف يعترف لسيده بالخطيئة التى اقترفها ، راويا له كيف دهم سبيدته وهى نائمة ، واودع احشائها طفلا .. وكيف امرته سبيدته بأن يفضى بهذا السر الى الأسقف ، الذى أمره بأن يضع نفسه تحت رحمة سيده وأن يذعن للحكم الذى يصدره عليه !!**

وعند ما انتهى رينيه من اعترافه ، ظل راكعا عند قدمى سيده ، مطأطئا رأسه ، وقد تملكه الخزي ، وشغل حراكه الخوف . أما السيد فقد أصبح لونه فى بياض الكتان ، وانعقد لسانه من فرط الانفعال . الا أن الدم سرعان ما انطلق فى عروقه يغلى ويدمدم ، وتملكته قوة عارمة وقوة صارمة ، فوق طاقة الانسان . فأمسك هراوته الثقيلة بيده الكثة الشعر . ورفعها وسواها لكى يهوى بها على جبين « رينيه » ، الذى كان يدرك جسامة ذنبه نحو مولاه ، فظل بلا حراك ، وقد ظن أنه على وشك أن يكفر عن خطيئته نحو حبيبته فى هذا العالم ، وفى العالم الآخر .

الا ان رواء شبابه الغض ، وما للذنب اللذيد من مغريات



فتانة ، وجدت اعتبارا حرك الرحمة في قلب ذلك الرجل الطيب ، فألقى بهراوته بعيدا ، وصاح في هدير : « ليمزق ألف مخلب أحشاء ذلك الذي غرس البلوط الذي منه صنع المقعد الذي عليه نطحتني بقرنك .. وألف ألف مثلها لمن أنجبوك ، يا وصيف النحاس الملعون ! .. اذهب الى الجحيم الذي أتيت منه .. اغرب من أمامي ، وغادر القلعة ، والبلاد كلها ، والادبرت لك ميتة بطيئة ، على نار تجعلك تلعن ألف مرة شريكك الفاجرة ! »

وما ان سمع الوصيف هدير القنائف الأولى ، حتى انطلق هاربا . وحسنا فعل ! .. افقد انطلق (( بروين )) في الحدائق مهتاجا ، يدمر كل ما يصادفه ، مهيدا متوعدا .. وما لبث أن لمح عذراءه التي فقدت براءتها .. وكانت تتطلع الى طريق الدير ، في انتظار الوصيف ، دون أن تدري ما جرى ! وصاح فيها : « بحق الشيطان ، ومذراته ذات الأسنان ، أنا ممن يمتصون الحلوى .. أنا طفل حتى اصدق ان وصيفا يعيث بك ، على هذا النحو ، دون ان تفتني ؟ ! » فأجابته ، وقد رأت الشرر يتفجر من عينيه : « كفالك ، كفالك ! اننى لأعلم ذلك جيدا .. ولكنك لم تبصرنى بهذه الأمور ، فحسبتنى في حلم ! »

وابتسمت ، فإذا الغضب يدوب كتلال الشلج تحت الشمس الحامية . وصمت قليلا ، ثم عاوده الغضب فصاح : « ليحمل ألف مليون شيطان هذا الطفل الغريب عنى . . اقسم . . ! » . فبادرته قائلة : « **رويك لا تقسم . . إذا لم يكن طفلك ، فإياه طفلى . . أو لم تقل لى ، فى تلك الليلة ، أنك تحب كل شيء يأتى منى ؟ !** »

وهكذا انطلقت تمطره بالحجج ، والغضب ، والخصام . والدموع ، وغيرها من أسلحة النساء . . ذكرته أولا بأن أملاكه لا بد وأن تعود الى الملك ، اذا لم يكن له وريث . . وثانيا بأنه لم يأت الى الدنيا طفل بأكثر مما أتى هذا طهرا وسذاجة . . وألف حجة وحجة ، حتى لأن الشيخ ، وانتهرت « بلانش » فرصة توقف فيها عن الكلام ، فتساءلت : « **واين الوصيف ؟** » فأجاب قائلاً : « **ذهب الى الشيطان !** » واذ ذاك ترنحت وقد اصفر وجهها وهتفت : « **ماذا ؟ هل قتلته ؟** »

\*\*\*

• **ولم يدر « بروين »** ما سوف يؤول اليه أمره ، وهو يرى سعادة شيخوخته تنهار ، ولا سبيل الى انقاذها الا بأن ترى زوجته الوصيف . . . وأمر بالبحث عنه . ولكن «رينيه» كان قد أطلق ساقيه للريح ، خوفاً من الموت ، ورحل الى ما وراء البحار ، ليكفر عن خطيئته . فلما علمت بلانش من الأسقف ما فرضه على فتساها الحبيب من تكفير ، أصابها خبل ، وراحت تهذى : « **أين التعس المسكين ، الذى رمى بنفسه فى الاخطار من اجل حبنى ؟ !** »

وهكذا ما فتئت تسأل عنه ، كطفل لا يهدأ حتى ينسأل بفите . . ونائب الملك يبكى اذ شعر بأنه الموم ، وحاول بألف



وسيلة أن يعيد الى « بلانش » هاءها ، ولكن شيئاً مما فعل ،  
لم يكن يعدل قبيلات الوصيف !

على أنها ما لبثت أن ظفرت يوماً بالطفل الذي طالما  
اشتتهته . وثق أن ذلك اليوم كان عيداً ، فإن شبه الوصيف  
كان منقوشاً على محيا ثمرة حبه ! . . . افتعزت به « بلانش »  
واستردت بعض اشراحها القديم ، فما اسعد ساعات نائب  
الملك . ولكثرة ما أصبح يرى الصغير ينمو مع الأيام ، حتى  
غدا يجرى حوله . . . ولفرط ما سمع ضحكاته تجسأوب  
ضحكات أمه ، انتهى به الامر الى أن أحبه ، وأصبح يقضب  
أشد القضب اذا أنكر أحد أبوته له !

واذ لم تكن مغامرة « بلانش » والوصيف قد جاوزت  
أسوار القلعة ، فقد تردد في ( تورين ) أن السيد « بروين »  
كان يدخر من القوى ما يكفي لانجاب طفل . وظلت فضيلة  
« بلانش » بمنأى من أى مساس . . . وادركت السيدة - بوحى  
من أنوثتها - مدى ضرورة الصمت ازاء الخطيئة المغتفرة التى  
أنالتها الطفل . ومن ثم فقد أصبحت متواضعة ، طيبة ،  
واشبهت بأنها امرأة تقية فاضلة ! . . . ولكى تسيطر على  
روحها ، راحت تستغل طبيته ، دون أن تسمح له بأن يتجاوز  
الحد ، اذ اعتبرت نفسها حليمة « رينيه » . . . على انها راحت  
بداعب « بروين » ، وتلاطفه ، وتبتسم له ، لقاء ما كان يفمرها  
به . . . وأخذت تعابشه وتحايله ، شأن الزوجات الفاضلات  
اللائى يخدعن أزواجهن ! . . . وسعد الرجل بذلك ، حتى لقد  
أصبح يتشبه بالحياة ويتعلق بها ، كلما امتد به العمر .

ولكنه - بايجاز - لم يلبث أن مات ، ذات ليلة . . . ولم  
يك يدري أن الموت واثاه ، بل هتف ببلانش « آواه يا عزيزتى  
. . . أننى لم أعد أراك . . . لقد أقبل الليل ! » . وكانت ميتة  
مريحة ، استحقها بجسادة ، جزاء ما أبلى فى الأراضى  
المقدسة !

وحزنت (( بلانش )) لوفته حزنا صادقا ، وراحت تبكيه بكاء الابنة اياها . ومكثت حزينة ، لا تعير أذنا لأى حديث يمنيها بزواج ثان ، مما أطلق السنة القوم بامتداحها ، إذ أنهم لم يكونوا يدرون أنها اتخذت لها زوجا أسكنته قلبها ، وراحت تعيش على أمل رؤياه !

بيد أنه كان مكنوبا لها أن تقضى الشطر الأكبر من عمرها أرملة الجسد وأرملة القلب ، إذ أن أنباء حبيبها انقطعت عنها ، فوقع في روعها أنه مات ..

\*\*\*

• وفيما هي جالسة دات يوم ، اذا بابنها - الذى كان قد غدا فى الثالثة عشرة والنصف من عمره - يندفع مقبلا من الحديقة . لاهث الأنفاس ، متصيب العرق ، صائحا : « أواه ، يا أماه .. لقد رأيت فى أفناء القاعة رجلا من العائدين من الأرض المقدسة . احتضننى بقوة وهو يبكي بكاء حارا ! »

وصاحت بلانش : « اكان يبكي ! .. آه ، انه الأب ! » . وأسندت رأسها الى المقعد الذى كانت تجلس فيه ، والذى كان - فى الواقع - عين المقعد الذى أثمت فيه ! وما انتبه احد - فى يديء الامر - الى أنها .. قد فارقت الحياة !

وما كان لاحد أن يعرف ما اذا كان موتها قد ترتب على حزنها لبعاد حبيبها وفاء لعهد ، أو على فرحتها الكبرى لعودته ، وأملها فى أن يرفع أسقف (مارتويه) ما فرضه عليهما من حرمان من الحب !

وما أعظم الحزن الذى رافق موتها . إذ أن حبيبها لم يكد يراها مسجاة بلا حياة ، حتى غدا راهبا من رهبان دير (مارموتيه) ، الذى كان أبدع أديرة فرنسا بأسرها !





## مقدمة

• **اهتم** نفر من أبناء (تورين) النبيلة ، بالبحث الجاد الذى يقوم به المؤلف ، فيما يتعلق بآثار ، وأحداث هذه الأرض المباركة ، وما يشيع فيها من نوادر طريفة وقصص بدیعة . . . واذ اعتقدوا - عن يقين - بأنه ولا بد على معرفة بكل شيء . . . سألوه - بعد أن دعوه الى الشراب ، طبعاً ! - عما اذا كان قد كشف عن السر فى تسمية احد شوارع المدينة بالشارع الساخن . أو بالفرنسية « لارو شود » . . . فأجابهم بأنه يدهش أعظم الدهشة اذ يرى القدامى منهم قد نسوا العدد الكبير من الأديرة التى كانت قائمة على الجانبين فى ذلك الشارع . . . **ومن المحتمل أن الطهر العنيف الذى كان يلتزمه الرهبان والراهبات فى تلك الأديرة ، قد تسبب فى التهاب جدرانها بحرارة العفاس التى تنبعث على الدوام منها ، ولهذا السبب أطلقوا على الشارع ذلك الاسم !**

الا أن واحداً من الحاضرين شاء أن يظهر بمظهر المتعلم . فعارض هذا الراى ، زاعماً أن عشاق الفضائح كانوا يتواعدون على اللقاء فى ذلك الشارع ! . . . واقحم شخص آخر نفسه فى أحبولة الأبحاث العلمية الدقيقة ، 'فراح يسكب كلمات من ذهب دون أن يفقه أحد ألفاظه الرنانة ، وعبارته الطنانة ، ومصطلحاته الضخمة الفخمة ، التى تدوى فى الآذان . . . خالطاً بين كل اللغات التى جرت منذ عهد الطوفان ، على اللسان التى تكلم بها العبرانيون والكلدانيون والمصريون واليونانيون واللاتينيون ، وعلى لسان « تورنوس » الذى انشأ تورين . . . وانتهى الرجل الفاضل الى ان كلمة « شود » التى أطلقت على الشارع ، جاءت من كلمة « كودا » بعد أن حذف هذا الذيل . . . وقلبت

« الكاف » الى « شين » ! .. على أن أحد الكهول ذكر انه كان  
نمة نبع ماء دافىء - فى موقع الشارع - وقد شرب منه جد  
جده .. !!

وهكذا تدفقت الاراء من كل حذب وصوب ، حتى لقد  
ساعت الحقيقة بينها .. الا أن رجلا طاعن السن ، متعلما ،  
واسع الاطلاع ، ابتسم ابتسامة ساخرة - وان لم ينبس ببنت  
شفة - وهو قابع فى أحد الاركان ، يشرب كاسه فى وحدة  
وهدوء . فلم يسع المؤلف الا أن اقترب منه ، فقال له الرجل  
العجوز : « بحق تحفتك التى أسميتها «الخطيئة المغفرة» ..  
انك قد استحققت - الى الابد - تقديرى ، لأن كل ما فيها حق  
من الرأس الى القدم ! .. ولكننى لا أشك فى أنك لاتعلم ما الذى  
جرى للفجرية التى لبست مسوح الرهينة بتدبير ذلك الفارس  
« برون دو لاروش كوربون » .. أما أنا فاعلم ذلك جيدا .  
واذا كان هذا النقاش فى أصل اسم الشارع قد ضايقك ،  
فسأعيرك مخطوطا أثريا ثمينا وجدته فى مكتبة القصر الأسقى  
.. فهل يكفى هذا لتبديد ضيقك ؟ »

وفعلا ، أعطى الرجل الفاضل للمؤلف بعض الرقائق النادرة،  
التى عكف على دراستها ، واستطاع - بعد مجهود شاق  
متواصل - أن يترجمها الى اللغة الفرنسية .. فأعرنى سمعك،  
وهاك الترجمة الصادقة لهذه المخطوطات العتيقة :

### ١ - من هى الشيطانة ؟

♦ فى عام ألف ومائتين وواحد وسبعين : أمامى أنا «هيروم  
كورنى» ، كبير المحققين وقاضى الكنيسة ، المبعوث الى هنا  
من قبل مجمع سان موريس المنعقد فى كاتدرائية (تور) ، والذى  
فرر بحضور سيدنا « جيهان دو مونسورو » كبير الاساقفة  
بفادى لتحقيق الشكاوى والتظلمات التى تقدم بها أهل المدينة  
المذكورة ، وهى مرفقة بهذا .. قد حضر بعض نبلاء الأبروشية

ومواطنيها وسكانها ، وقرروا الحقائق الاتى ذكرها بخصوص  
 أنثى من الجن ، متهمسة بأنها اتخذت سيماء امرأه  
 آدمية ، فلبلت الأفكار فى الأبروشية كلها ، وهى الآن محبوسة  
 فى سجن المجمع . . وفى سبيل الوصول الى حقيقة ماورد  
 فى الشكاوى المذكورة ، افتتحنا هذا المحضر فى يوم الاثنين  
 الحادى عشر من شهر ديسمبر - بعد أداء القداس - لنسمع  
 أقوال الشهود بصدد أنثى الجن المذكورة ، ولنستجوبها عن  
 الجرائم المنسوبة اليها ، ونحكم عليها طبقا للقوانين المعمول بها  
 فى كنيسنا المقدسة . . وقد ساعدنى فى كتابة أقوال الشهود  
 السيد « جيوم توربنوش » ، كاتب المجمع ، وهو رجل متعلم . .  
 وكان أول الشهود هو المدعو « جيهان » ، ولقبه « تور تبراس »  
 . . وهو من أهالى ( تور ) ، ويدير - بموجب ترخيص - نزل  
 « لاسيجويين » ، بمبدان ( دى بونت ) . وقد حضر أمامنا .  
 وأقسم بخلاص روحه - ويده على الكتاب المقدس - أن يقول  
 الحق ولا شئ غير الحق ، وقد أدلى بالآتى :

« اقرر انه حدث منذ سنتين ، قبل عيد القديس « جيهان »  
 - الذى أضيئت فيه الأنوار العظيمة - أن رجلا لم أكن أعرفه  
 من قبل ، ولكنه كان من رعايا مولانا الملك ولا شك ، وكان  
 حديث عهد بالعودة الى بلدنا من الأرض المقدسة . . جاء عندى  
 الرجل المذكور ، وعرض على ان أؤجره منزلا فى المدينة ، كنت  
 قد قمت ببنائه ، فوافقت على ان أؤجره اياه لمدة تسع سنوات .  
 فى مقابل ثلاثة أكياس من الجنيهات الذهبية . . وقد أتزل الفارس  
 فى المنزل المذكور صبية حسنة ، لها مظهر امرأة ، وترتدى  
 الملابس العربية الغريبة . ولم يكن الفارس المذكور يسمح لأحد  
 بأن يراها أو يقترب منها . ولكننى رأيتها بعينى وعلى رأسها  
 ريش غريب الشكل ، وعيناها متوهجتان بشدة - أعجز عن  
 وصفها - وقد انبثقت منها نار الجحيم . ولما كان الفارس  
 المذكور قد هدد بالموت كل من يتجسس على المنزل ، فأتنى



نايت عن ذلك المنزل المذكور ، بدافع من الخوف ، وان استبقيت في ذاكرتي بعض التخمينات ، التي اوحاها سوء مظهر تلك الأجنبية التي كانت أغرب النساء ، ولم تقع عيني على مثيل لها طول عمري .

« ولقد اعتقد أشخاص عديدون ان الفارس المذكور كان مينا - اذ ذاك - وان بقي قائما على قدميه بفعل بعض الطلاسم والتعاويد والأعمال السحرية الشيطانية ، التي كانت نفوم بها تلك المرأة مذ عزمت على أن تستقر في بلدنا . . وأقرر انني كنت أرى الفارس المذكور نسديد الشحوب - على الدوام - حتى انني لا أجد ما اشبه به لون وجهه سوى التمتع الذي يضيء شمعدانات باسكال . . وكما يعلم كل سكان نزل « لاسيجويين » ، فان هذا الفارس قد دفن بعد مجيئه بنسعة أيام ، وطبقا لما رواه سايسه ، أغلقت الفجرية المذكورة على جثته ابواب المنزل ، ومكنت معه سبعة أيام كاملة . وقد أدلى الينا السائس بهذا السر الخطير وهو على فراش موته !

« ويقول بعض الأشخاص في وقتنا الراهن - ان الشيطانة كانت تتسلط على الفارس المذكور بشعرها الطويل ، الذي أوتى ميزات متأججة ، تبث في قلوب المسيحيين لهيب جهنم ، في صورة الحب الذي ما يقنأ بعمل عمله فيهم ، حتى تنسلخ ارواحهم من أجسادهم ، ويستولى عليها الشيطان . ولكنني أعلن انني لم أر - من كل هذا - سوى الفارس الميت المذكور ، الذي كان مهزولا ، هضيم البطن ، والذي ظل - برغم نصيحة كاهن اعترافه - سادرا في التردد على هذه المرأة . . ثم عرف - فيما بعد - أنه كان يدعى « الكونت دو بواي » ، وكان من المجاهدين الصليبيين ، كما كان - حسب قول بعض الأشخاص في المدينة - يحيا بالقوة السحرية لشیطانة قابلها في بلد أسوي كدمشق أو غيرها !

« ولقد تركت منزلى - بعد ذلك - السيدة المجهولة ، طبعاً ،  
 لشروط عقد الإيجار . حتى اذا توفى الكونت دى بوى المذكور .  
 ذهبت الى المنزل لأسأل تلك المرأة الاجنبية ما اذا كانت  
 تريد البقاء فى المنزل . وبعد جهد عظيم ، قادننى اليها رجل  
 أسود عارى الظهر ابيض العينين . . ورأيتها فى غرفة صغيرة  
 تتألق بالذهب وبالمجوهرات ، وتشع منها بأضواء عجيبة .  
**وكانت تجلس على بساط أسبوى - وقد ارتدت ملابس**  
**رائعة - ومعها رجل آخر ، يعرض عندها للخطر والهلاك**  
**روحه . ولم تواتنى الشجاعة الكافية لأن أنظر اليها ، اذ**  
**خشيت أن تغوينى عينها على الخضوع لسطوة سحرها .**  
**فان صوتها كان قد نفذ - فعلاً - الى أعماقى ، وأدار عقلى ،**  
**وأفهم بالأفكار الشريرة خيالى ! .** واذا وجدت ذلك ، بادرت  
 مهبطاً الى الانصراف - خوفاً من الله ومن جهنم - تاركاً  
 منزلى لها ، مهما طال فيه بقاؤها . فقد كان من الخطر جداً .  
 ان يرى المرء ما كان لهذه الفجرية التى كانت تشع منها حرارة  
 جهنمية، وكانت قدمها تصغر كثيراً عن قدم أية امرأة حقيقية .  
 ومنذ ذلك اليوم ، أعوزتنى الشجاعة على أن ادخل الى منزلى  
 لغرط خوفاً من السقوط فى الجحيم . . وهذه أقوالى ! » .  
 وقد عرضنا على تورنبراس المذكور رجلاً حبشياً أو نوبياً ،  
 أسود الجلد ، من الرأس الى القدم ، وقد جرد من علامات  
 الرجولة . . وكان هذا الرجل مصراً على الصمت رغم كل  
 ما عرضناه له من أساليب التعذيب والايلام ، متظاهراً بأنه  
 لا يعرف لغة بلادنا . . وقد تعرف «تورنبراس» المذكور  
 على هذا الحبشى الكافر ، وقرر انه رآه مصاحباً للشيطانة  
 الساكنة فى منزله ، وأنه كان يساعدها فى أعمالها السحرية .

\* \* \*

• **واستدعينا - بعد ذلك - «ماتيو» الملقب «كوجنيفستو»؛**

والذى يعمل خادما فى كنيسة سان اتيان . وبعد ان أقسم بالأتاجيل المقدسة على أن يقول الحق ، اعترف لنا بأنه كان يرى على الدوام ضوءا ساطعا فى مسكن المرأة الأجنبية المذكورة . وكان يسمع ضحكات عالية وشيطانية فى أيام الأعياد والصيام ولياليها - وخاصة خلال الاسابيع المقدسة واحتفالات رأس السنة - كما لو كان هناك عدد عظيم من الناس يزخر بهم المنزل . وقد أقسم أنه رأى فى نوافذ المنزل المذكور براعم خضراء من جميع أنواع زرع الشستاء ، وكأنها نمت بفعل السحر . . لا سيما الورد الذى رآه متفتحا فى وقت الصقيع ، وغيره من الأشياء التى تحتاج الى حرارة عظيمة كي تنبت وتنمو ! . . ولكنه لم يبد دهشة من ذلك ، يقينا منه بأن الأجنبية المذكورة كانت تشع حرارة عظيمة ، حتى لقد كانت خضر حديقته تنمو ، اذا فسد للمرأة أن تمر بجوار سسياج داره فى المساء السابق . . وكانت البراعم والأوراق الجديدة نذب فى الأشجار ، اذا مستها تلك المرأة بثيابها ! . . وفيما عدا ذلك ، قرر كوجنفستو المذكور أنه لا يعلم شيئا ، لأنه ينهمك فى عمله من الصباح المبكر ويذهب الى فراشه مع هجوع الطير !

ولقد استدعينا - بعد ذلك - زوجة كوجنفستو السالف الذكر ، لكى تقرر بدورها - بعد أداء اليمين - ما تعلمه عن الأمور الواردة فى هذا المحضر . الا أنها لم تقرر شيئا غير عبارات الاطراء والمديح للأجنبية المذكورة ، زاعمة ان معاملة زوجها لها قد تحسنت ، منذ قدوم تلك السيدة الفاضلة ، نتيجة لجوارها ، اذ ملأت الهواء بالحب ، كما تملأ الشمس الفضاء بالنور . . والى غير ذلك من هراء لا معنى له ، ولم نجد داعيا لكتابته هنا .

ولقد عرضنا الأفريقى المذكور على « كوجنفستو » السالف



الذكر وزوجنه ، فتعرفا عليه ، وقررا انه كان يعمل طرف  
السيطانة المذكورة .

★ ★ ★

• ثم بدأ « هاردوين » الخامس - كونت دى ماييه -  
شهادته ، بعد ان أعطى كلمته كفارس شهم ، بأن لا يقرر  
شيئا غير ما رآه بعينه . فشهد بأنه عرف الشيطانة - التى  
يجرى بشأنها التحقيق - مذ كانت ترافق جيوش الصليبيين .  
وبأنه رأى - فى دمشق - فارسا يدعى « بوى » يقاتل بعض  
الفرسان ، ويموت خلال هذا القتال ، فى سبيل أن ينفرد  
بها وحده ويغزو عاشقها الأوحده . وقد كانت الشيطانة  
المذكورة - فى ذلك الوقت - فى حوزة الفارس جيوفرى الرابع ،  
كونت دى روش يوزيه ، الذى قيل أنه جاء بها من تورين ،  
رغم أنها مراكشية . . وهو الأمر الذى أثار دهشة فرسان  
فرنسا ، كما أحدث جمالها العجيب ضجة عظيمة ، وتسبب فى  
ألف مشاجرة ومنافسة فاضحة فى معسكرات الجيش ! . .  
وقد كانت هذه الغاية - أثناء الحملة - سببا فى مصرع كثيرين من  
رجال الحملة ، الذين هزمهم « روش يوزيه » حين أرادوا  
انتزاعها منه ، لأنها - كما قال ذلك بعض الفرسان الذين  
أحبوها سرا - كانت تؤجج من نيران الشهوات ما لا قبل لأمرأه  
غيرها بتأجيجه . . وأخيرا ، تمكن الفارس « بوى » من قتل  
« جيوفرى دو لا روش يوزيه » ، فأصبح سيدا ومالكا لهذه  
السفاحة الصغيرة ، ووضعها فى صومعة ، أو حريم حسب عادة  
العرب . وقد اعتاد الناس - فى ذلك الوقت - أن يروها  
ويسمعوها تتحدث مع ندمائها بعدة لغات أجنبية ، كاليونانية ،  
واللاتينية ، والمراكشية . . بل انها كانت تجيد الفرنسية أكثر  
من الفرنسيين أنفسهم ، مما جعل الاعتقاد يسود بأنها ذات  
طبيعة شيطانية !

واعترف الفارس « هاردوين » - السالف الذكر - بأنه لم يقع في غرام المرأة المذكورة أثناء وجوده ، في الأرض المقدسة ، لأنه كان يعتقد أن الوقت قد حان لكي يحمل معه الى بلاده جزءا من الصليب الحقيقي ، ولأنه كان يصطحب - اذ ذاك - سيدة نبيلة من اليونان ، كان لها فضل أنقاذه من ذلك الخطر الجائم في حب المراكشية !

ولقد أكد لنا الفارس المذكور ، أن المرأة التي تعيش في منزل « تورتراس » ، هي ذاتها المراكشية التي رآها في الأرض المقدسة ، وقد جاءت الى هنا من سوريا . اذ أنه دعى الى حفلة في منزلها - بعد منتصف الليل - بمعرفة الكونت « كرواكسمار » الشاب ، الذي لقي حتفه في اليوم السابع بعد تلك الليلة . . اذ حطمت تلك الساحرة حياته تحطيمًا - وفقا لما قالت والدته الكونتة « كرواكسمار » - فان اتصاله بها اطفأ جنوة روحه ، كما بددت نزواتها كل ثروته !

وبعد ذلك طلبنا الى الشاهد - بوصفه رجلا جم الذكاء والحكمة والجاه في هذا البلد - أن يحدثنا عن المرأة المذكورة التي دعى الى منزلها ، وأهبطنا به أن يفضي بكل ما في صدره ، لأننا ازاء قضية تتعلق بالعقيدة المسيحية والعدالة الالهية . . فأجاب الفارس المذكور ، بأن واحدا من الصليبيين أنبأه بأن هذه المرأة كانت عشيقة كل من يعانقها ، وان الشيطان كان بنقص جسدها فعلا ، ويخلق لها مع كل عشيق ميزة تستهويه . . الى غير ذلك من هذيان السكرى !

وأردف الشاهد قائلا انه لم يتبين شيئا من هذا ، حتى دعاه الكونت « دي كرواكسمار » - أخيرا - الى حفلة في منزلها ، فما أن رآها - وهو في هذا الطور من شيخوخته - حتى أحس بشبابه يعود اليه من جديد . . ونفذ صوت هذه الشيطانة الى قلبه قبل أن يصل الى أذنيه ، وأذكى وجدا عنيقا في جسده . وبالرغم من أنه راح يعب من نبيذ قبرص

ليعمى بصره عن النظر الى عينى مضيافته الناريتين ، ولكى لا يمكنها من قلبه ، الا انه ما كان ليحجم عن منازله « كرواكسمار » الشاب فى سبيل الاستمتاع بتلك المرأة - غير العادية - ولو للحظة واحدة ! .. ولكنه - عملا بنصيحة كاهن اعترافه - عاد الى زوجته ومكث فى بيته .. ومع ذلك ، فقد ظل صوت المرأة المذكورة يرن فى اذنيه ، ويهفو بعقله أحيانا . وكثيرا ما اتجه فكره - على الرغم منه - الى هذه الشيطانة ، فى سويغات الفجر ، فيشتعل جسمه كالكبريت ، وينفعل وكأنه فى عنفوان شبابه ! .. ولما كان ذلك يدفع الى بدنه بشحنات قوية من الحرارة والحيوية التى تؤلمه وتضنيه .. فقد توسل اليها الانواجيه بهذه المرأة التى شاء الله ، بل شاء الشيطان . ان يهبها سلطانا عجيبا على عقول الرجال ! ولقد عرضنا عليه - بعد ذلك - الرجل الا فريقى ، فتعرف عليه ، وقرر انه خادم السيدة ووصيفها !

\*\*\*

• ومثل أمامنا - بعد ذلك - الشاهد الرابع ، وهو يهودى يدعى « سالومون آل راتشيلد » .. وعلى الرغم من عار شخصه ويهوديته ، فقد استمعنا الى شهادته حتى النهاية





کی نعلم کل شیء بشأن سلوک الشیطانة سالفة الذکر  
ولقد سألنا هذا المدعو سالومون - دون ان نطلب  
اليه اداء اليمين ، اذ أنه غیر خاضع لقانون الكنيسة ويفصل  
بیننا وبينه دم المخلص - فقرر لنا أنه قام بأعمال خطيرة للسيدة  
المقيمة فی منزل « تور تبراس » ، فباعها شمعدانات ذهبية ذات  
شعب متعددة ، منقوشة نقشا دقيقا ، كما باعها أطباقا من  
الفضة الحمراء ، وأقداحا مطعمة بالجواهر الکریمة والزمرد  
والياقوت . . ولقد جلب اليها - من الشرق الأدنى - کثيرا من  
الأقمشة النادرة ، والأبسطة الفارسية ، والأنسجة الحريرية ،  
وأشياء أخرى من النفاسة بحيث أن أیة ملکه فی العالم  
المسیحي لا تملك أن تزعم انها اقتنت مثیلا لها . وقال انه  
- من ناحيته - قد تلقى منها ثلاثمائة ألف جنيه ، نظیر ندرة  
المبيعات التي جلبها اليها : كالزهور الهندية ، والبفساوات ،  
وريش الطيور ، والتوابل ، والخمور الاغريقية ، والماسات .  
وسألناه عما اذا كان قد جاء اليها بالواد التي تستعمل فی  
أمور السحر والكهانة ، كالتعويذات ، ودماء الاطفال الحديثي  
الولادة ، وكتب الشعوذة ، وغيرها من الاشياء التي يستعملها  
السحرة . . وطلبنا اليه أن یقرر الحقيقة ، مؤكداً له أنه لن  
یتعرض - فيما بعد - لأن یجرى معه أي تحقيق أو  
استجواب بهذا الصدد ، فاقسم آل راتشيلد المذكور بشرفه  
العبراني ، بأنه لم یکن لیزاول هذه التجارة أبداً وانه ما كان  
لیتورط فيها ولا حاجة به اليها ، لوفرة کسبه . فهو وکیل  
لکثير من الحکام العظام ، کمركز مونتيفرا ، وملك انجلترا ،  
وحاکم قبرص وأورشليم ، وأمیر بروفانس ، وکونتات  
فينيس ، وكثيرين من السادة الجرمانيين . وانه یمتلك سفنا  
تجارية من کل نوع - تذهب الى مصر باذن السلطان - للاتجار  
فی الفضة والذهب .  
وقد قرر - فضلا عن ذلك - أنه یعتبر السيدة المذكورة ،

التي يجرى التحقيق بصدددها ، امرأة طبيعية ، صادقة  
الاستقامة والولاء ، وقد أوتيت أجمل وأنبل شمائل عرفها في  
حياته . . . وأنه يعتقد أن ما يذاع عن أنها ذات روح شيطانية ،  
مجرد زعم كاذب ، لم يصدر إلا عن مخيلة سقيمة . وعندما  
رأى - بفضل احتكاكه بها وتعامله معها - أنها أصبحت بلا  
رجل ، عرض عليها أن يكون رجلها ، فوافقت عن طيب خاطر .  
ومع أنه يشعر - منذ تلك الليلة - بعظامه مفككة ، وبأمعائه  
منسحقة ، إلا أنه لم يتعرض لما يقال من أن الذي يسلمها قيادة  
لا يسترد حريته - بعد ذلك - أبدا . . . وهكذا انزلق الى  
مصيره ! . . .

ومع أننا أكدنا لسالومون هذا أن شهادته لن تمس سلامته ،  
إلا أنه - باعترافه بتلك الأمور - قد أقر اقرارا كاملا بتعامله  
مع الشيطان . ومن ثم فإننا نشبت هنا - للعلم - أنه أعلن  
عزمه على أن يتبرع بمبلغ عظيم للمجمع المقدس ، في نظير العفو  
عن المرأة المذكورة إذا صدر الحكم عليها بالحرق ! . . . ولما كان  
هذا المبلغ يكفي لاتمام بناء كنيسة سان موريس ، فإننا نوصي  
بالتريث في النظر في هذا العرض ، حتى يطرح أمام المجمع  
منعقدا بكامل هيئته .

وقد انصرف سالومون المذكور دون أن يترك لنا عنوانه ،  
قائلا أن من الميسور اخطاره بقرار المجمع في هذا الشأن ،  
بالاتصال بأحد أعضاء المعبد اليهودي بمدينة ( تورين ) ، وهو  
المدعو توبياسي أتاينوس .

على أننا عرضنا على الشاهد المذكور - قبل رحيله - ذلك  
الرجل الأفريقي ، فعرفه مقررنا أنه خادم المرأة الشيطانية ، وأنه  
من الخصيان الذين اعتاد العرب تجريدتهم من صفات رجولتهم ،  
لكي يعهدوا اليهم بمهمة حراسة نسائهم ، جريا على عادة  
« نارسيز » حاكم القسطنطينية ، وغيره من الحكام القدامى



♦ وفي اليوم التالي ، حضرت أمامنا الكونتة «كرواكسمار» ، النبيلة الموقرة . وبعد أن أقسمت على الأناجيل المقدسة ، قصت علينا - خلال دموعها - كيف أسلمت ابنها الأكبر الى الثرى ، اذ مات بسبب افراطه في حب المرأة الشیطانة . . وكان هذا الشاب النبيل في الثالثة والعشرين من عمره ، حين عرف المرأة المذكورة . . . وكان ذا خلق رفيع ، ورجولة فائقة كالمرحوم والده . ويرغم ما كان يتمتع به من حيوية مفرطة ، فانه أخذ يذوى رويدا ، خلال تسعين يوما من اتصاله بشیطانة شارع (شود) - كما قرر كل الناس - وتلاشى سلطان الأم عليه . . وما لبث - في أواخر أيامه - أن بدا كالحشرات الجافة التي يعثر عليها الخدم في أركان الحجرات ! . . ولكنه ظل دائبا - وبقدر ما كانت تحمله قدماه - على التردد على تلك المرأة اللعينة ، ليقصر من أجله . . حتى اذا لازم الفراش ، وعلم - آخر الامر - بأنه في آخر لحظاته ، راح يلعن أهله ويتوعدهم . . وانهال بالشتائم على أخيه وأخته وأمه ، وثار في وجه الكاهن ، وجدف في حق الله ، وأعلن أنه يريد أن يموت كافرا ، ممسا أحزن كل اقاربه الذين دبروا أمر اقامة قداسين سنويين في الكنيسة لينقذوا نفسه الضالة وينتشلوها من الجحيم ! . . كما ألوا على انفسهم ان تقوم أسرة «كرواكسمار» بتقديم الشمعدانات لكنائس المدينة - في عيد باسكال - طيلة مائة عام !

وأخيرا قررت الشاهدة أن الأخت الفاضلة «دوم لوبيوت» ، الراهبة بدير (مارموتيه) ، والتي كانت تعنى بالبارون - في ساعاته الأخيرة - قد ذكرت أنه - فيما عدا تلك الكلمات



الطائشة النى فاه بها على فراش موته - لم يفه قط بأية كلمة  
تمس الشيطانة التى تسببت فى هلاكه !

★ ★ ★

♦ **وحضرت امامنا - بعد ذلك - الشاهدة السادسة**  
« جاكيت فيوزونج » ، وهى خادم مطبخ ، تتردد على البيوت  
لتغسل الصحون . . وبعد أن أقسمت ألا تقول شيئا لا تعتقده  
حقيقيا ، قررت أنها فى يوم من الايام ذهبت الى مطبخ الشيطانة  
المذكورة - التى لا تشعر نحوها برهبة ما ، لأنها لم تكن تسلط  
سحرها الا على الذكور - فأتيحت لها الفرصة لان ترى فى  
الحديقة أنثى الجن هذه ، مرتدية لباسا فاخرا ، وقد راحت  
تنمشى بصحبة فارس كانت تضاحكه وكأنها امرأة عادية .  
ولاحظت الشاهدة الشبه التام بين هذه الشيطانة والمرأة  
المراكشية التى سبق ان الحققت براهبات دير « نوتردام  
دو ليجرينول » - بوساطة النائب السابق للملك فى (تورين)  
و (بواتو) ، السيد بروين ، كونت دى روش كوربون - والتى  
كان الفجر قد تركوها فى مكان تمثال سيدتنا العذراء الذى  
سرقوه منذ حوالى ثمانى عشرة سنة . وكانت المراكشية  
المذكورة فى الثانية عشرة من عمرها - اذ ذاك - وقد انقذت  
من كومة الحطب التى كانت ستتحرق فى نارها ، بأن تم  
عمادها . .

**واذ كانت الشاهدة المذكورة غسالة فى الدير**

- فى ذلك الحين - فانها تتذكر أن المراكشية المذكورة فرت من  
الدير - بعد عشرين شهرا من دخولها فيه - بطريقة بالغة  
الدهاء ، لم يستطع أحد أن يكشف عنها . ولذلك فقد اعتقد  
الجميع - فى ذلك الحين - أنها طارت فى الهواء ، بمساعدة  
الشيطان !

واذ عرضنا الرجل الا فريقى على الخادمة المذكورة ، قررت  
انها لم تره من قبل !

★ ★ ★

♦ **وحضر** أمامنا - بعد ذلك - الشاهد السابع « هيجيوس دى فو » - نجل البارون « بريدوريه » - وهو تحت رعاية أبيه ، لأنه فى العشرين من عمره ، ومتهم بالاشتراك مع عدد من الشبان الاشرار بمهاجمة السجن السابع لرئيس الأساقفة والمجمع المقدس ، ومناوشة حرس المحكمة الاكليريكية ، حتى تسببوا فى فرار الشيطانة التى يجرى الآن بشأنها التحقيق . وعلى الرغم من سوء مسلك « هيجيوس دى فو » المذكور ، فقد طلبنا اليه أن يشهد بالحق فيما يتعلق بالأمور التى يعلمها عن الشيطانة المذكورة ، التى عرف أنه كان على علاقة بها . فقال :

(( أقسم بخلاصى الأبدى ، وبالأناجيل المقدسة التى أضع يدي عليها الآن ، أن المتهمة بأنها شيطانة ليست سوى ملاك .  
فهى امرأة كاملة . . بل انها أكمل عقلا منها جسدا ، وانها تحيا حياة سليمة ، ممتلئة بمباهج الحب ومسراته . .  
فهى ليست شريرة باى وجه ، بل انها فى منتهى الكرم ، كثيرة المساعدات للفقراء والمعوزين . . كذلك أقرر أننى رأيتها تبسكى بدموع صادقة ، لوفاة صديقى الفارس (( كرواكسمار )) . . وقد عاهدت - فى ذلك اليوم - سيدتنا العذراء ، بأن لا تقبل بعد ذلك عشق الشبان الضعيفى البنية مثله . ولذلك فانها لم تدعنى أتمتع بجسدها ، وانما منحتنى حبها ، وقلبهما ! . .  
ومنذ هذه المنحة الكريمة - وبرغم النار المتأججة فى جسدى - بقيت وحدى فى مسكنها ، حيث رحت اقضى معظم أيامى ، سعيدا بأن أرى محياها ، وأن أسمع صوتها . أواه ! لقد كنت آكل بقربها ، وأشاركها الهواء الذى يدخل فى رئتيها ،

والضوء الذى ينألق فى عينيها الجميلين ، وكنت أجد فى هذا كله سعادة تفوق ما فى الفردوس . ورغم أنى كنت قد اخترتها لتكون الى الأبد مولاتى ، وقرينتى ، وحبىبتى الوحيدة ، فأنى - أنا الأحق المسكين - لم أتلق منها شيئاً من المسرات التى كنأندخرها للمستقبل ، بل كنت ألقى منها ألف تحذير ، وألف نصيحة ، وألف عظة فاضلة . . وبفضل ذلك اشتهرت بأننى فارس مستقيم ، وغمدوت رجلاً قويا فتيا فأتنا ، لا أخاف غير الله . . واتفقنا على أنه إذا اشتد عودى ، وإذا ظل قلبها - الى ذلك الوقت - مستعداً لأن يسلمنى زمامه ، فأنهها ستغدولى ! »

وإذ قال السيد هيجيوس هذا راح يبكى ، واستمر فى بكائه وهو يقول أنه حين يفكر فى هذه المرأة الفاتنة الضعيفة - التى لا تكاد ذراعها تحتل ثقل حليها الذهبية - لا يدرى كيف يمسك عن النحيب ، إذ يتخيل القيود التى ترسف الآن فيها ، والتعاسات التى تقع بغدر على عاتقها ، وأنه ليسمح لنفسه بأن يفضى امام العدالة باشجانه لأن حياته مرتبطة كل الارتباط بحياة حبيبته الجميلة ، التى يموت إذا لحقها يوماً أى ضر !

وهتف الشاب المذكور بألف عبارة ثناء أخرى على الشيطانة المذكورة ، مما يدل دلالة واضحة على السحر العنيف الذى سلطته عليه وأسرته به ، ويثبت - فضلاً عن ذلك - نوع الحياة الشنيعة التى يحياها ، والتى لا تغيّر فيها ولا شفاء منها ، ما دامت تسيطر عليه أعمال الكهانة المضللة ، التى لا بد لسيدنا رئيس الاساقفة أن ينظر فى أمرها ، عسى أن يتيسر - بالتعازيم الروحية والصلوات الكهنوتية - انقاذ هذه الروح من هاوية الجحيم !

ولقد سلمنا الشاب النبيل المذكور الى أبيه البارون بريدوريه،



بعد أن عرضنا عليه الرجل الأفريقى فقرر أنه خادم المتهمه .

★ ★ ★

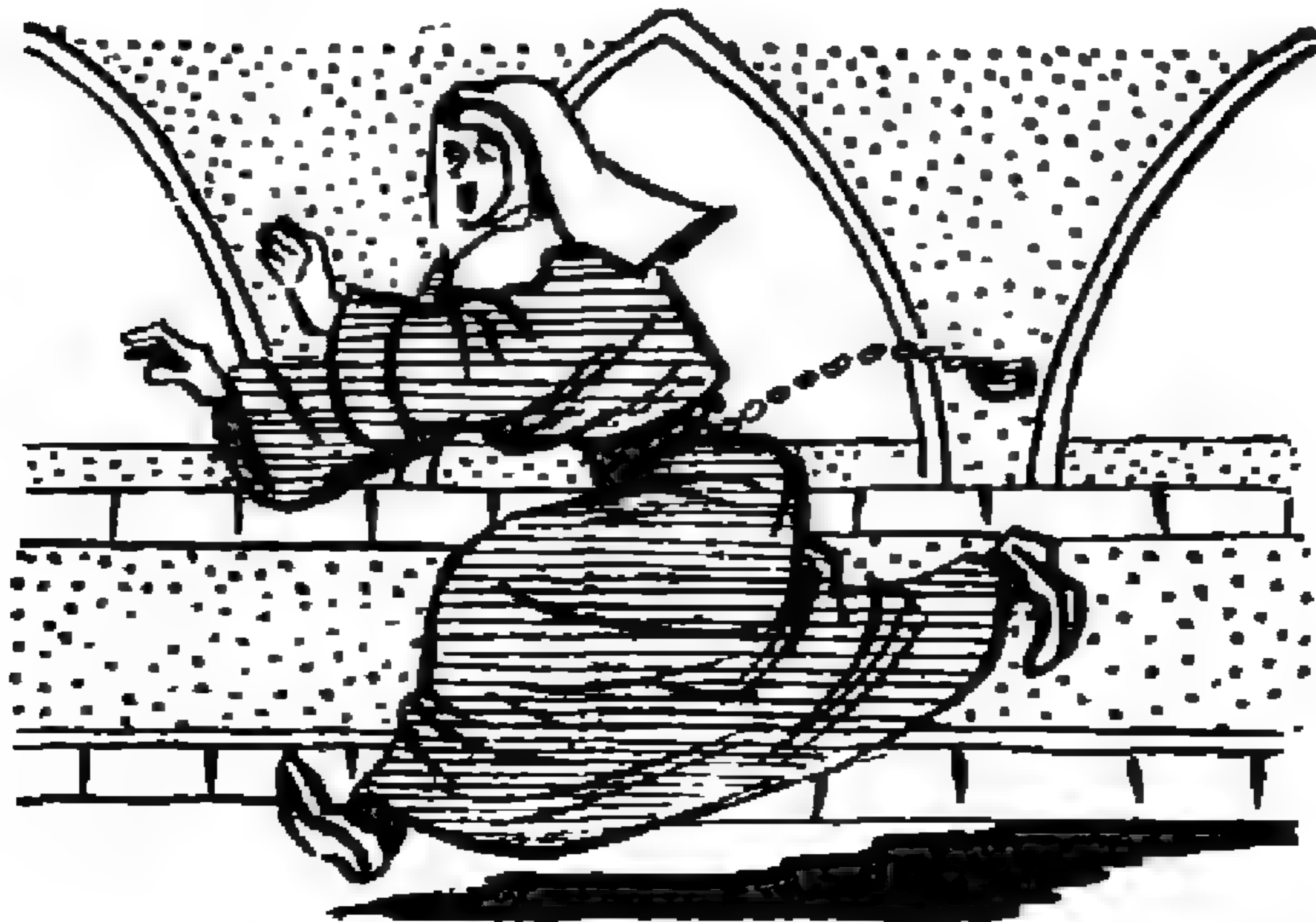
• **وحضرت امامنا** — بعد ذلك — الشاهدة الثامنة ، التى وصلت الى هنا فى مظاهر تكريم عظيم تحف بها فرقة الحرس المشاة التابعين لسيدنا رئيس الاساقفة . . . وهى الأم الموقرة الجليلة « جاكلين دوشان شيفريه » ، رئيسة دير « نوتردام دى مونت كارميل » ، التى كان نائب الملك السابق فى (تورين) — والد الكونت دو روش كوربون ، محامى الدير المذكور — قد وضع تحت رعايتها هذه المراكشية المسماة ، فى حوض المعمودية ، « بلانش بروين » .

ولقد شرحنا لرئيسة الدير المذكورة وقائع الدعوى الحالية ، التى تتعلق بشرف الكنيسة المقدسة ومجد الرب ، والمستقبل الأبدى لشعب الأبروشية الذى لحقه أذى الشيطانة ، وكذلك حياة مخلوق قد يكون بريئاً من الذنب . . ثم رجونا الرئيسة المبجلة ان تتكرم بالأدلاء بشهادتها — بما يدخل فى نطاق علمها — بصدد الاختفاء السحري لأبنتها فى الرب ، المدعوة « بلانش بروين » المتزوجة بمخلصنا تحت اسم الاخت « كلير » . . فأجابتنا الأم النبيلة الجليلة ، بالآتى :

« أن الأخت كلير ، المجهولة الأصل — وان كان مفروضاً أنها ولدت من أبوين زنديقين معادين للرب — قد ألحقت بالدير بعد عمادها فعلاً . وقد أتمت الأخت المذكورة مدة تلمذتها واختبارها ، ونذرت نفسها بعد ذلك للرهبنة ، حسب النظام المقدس المتبع . الا انها لم تكذب فعل ذلك ، حتى اعترافها بحزن عظيم ، وراحت بنيتها تذبل وقوتها تضعف . . واذا سألناها عن علة حزنها وأسائها ، أجابت — باكية — بأنها لم تكن تعرف سبب ذلك ، وأن ألف دمة كانت تسيل وتترى من عينيها ، اذ ترى أن شعرها الفاتن لم يعد يزين رأسها . . وأنها كانت

تحن الى الهواء الطلق ، ولا تكاد تقوى على مقاومة رغبتها في ان تتسلق الاشجار ، وان تهبط عنها - حسب هواها - كما كانت عاداتها أثناء حياتها الطليقة . . وقالت انها كانت تمضي لياليها في النعيب ، حالة بالفسافات التي كانت تنام - فيما مضى - تحت ظلالها . . وانها تشعر بالكراهية نحو الدير الذي يختنق في جوه تنفسها . . كما قالت انها - من أجل ذلك - تملىء بأهواء شريرة ، ولا تفتأ تسرى عن نفسها - أحيانا - بالأفكار الآثمة التي تنسبها كل ما كان يحيط بها ! .

» وما ان سمعت هذا من المخلوقة التعيسة ، حتى رحت أذكر وأكرر لها تعاليم الكنيسة المقدسة ، وأذكرها بالسعادة الأبدية التي يتمتع بها أولئك النسوة غير الخاطئات في فردوس النعيم ، قائلة لها ان الحياة الدنيا زهيدة وزائلة ، مؤكدة لها ان الرب يحتفظ لنا بحب لا نهاية له . الا أن الروح الشريرة ظلت مقيمة في الأخت المذكورة ، فكانت تتطلع - دائما - الى أوراق الشجر وعشب الحقول ، من خلال نوافذ الكنيسة أثناء القداس . . وأخذ لونها يحيل ، وهي لا تفتأ تبدي الضعف والاعياء لكى تبقى في فراشها . وكانت في بعض الأحيان تنطلق بين صوامع الدير كشاة ضالة افلتت من رباطها . واستمر



هذا شأنها حتى اشتد آخر الأمر هزالها ، وزال جمالها ، وبدا أنها تقترب من نهايتها . . . واذ رأيناها قد وصلت الى هذه الحال ، وضعناها في غرفة المرضى ، ورحنا نرقب كل يوم وفاتها . وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، فرت الأخت المذكورة ، دون أن تترك أى أثر لخطواتها ، ودون أن تكسر أى باب ، او تنتزع أى قفل او تفتح أية نافذة ، او تخلف أى علامة تدل على طريقة افلاتها . واذ كانت هذه مغامرة غامضة محيرة ، فقد اعتقد الجميع أنها حدثت بوساطة الشيطان . . . وأعلنت سلطات الكنيسة الأسقفية أن بنت الجحيم هذه ، انما أرسلها الشيطان كي تصرف الراهبات عن طريقهن المقدس . . . وقد عبرت الهواء على جناحي ساحر ، كي تهزأ بديانتنا الكاثوليكية الصحيحة ! »

فلما أتمت الرئيسة الفاضلة شهادتها — على هذا الوجه — انصرفت فشيعتها فرقة الحرس باحترام عظيم ، كأمر سيدنا رئيس الأساقفة .

\* \* \*

♦ **واستدعينا بعد ذلك الشاهد التاسع ، المدعو «جوزيف ليشالوبييه» ، وهو صراف ، يقيم فوق الجسر المعروف باسم ( بيزانت دور ) . . . وبعد أن أكد ولاءه الكاثوليكي ، واقسم ألا يقول غير الحق ، وأن يقرر كل ما يعلمه فيما يتعلق بالقضية المطروحة أمام المحكمة الكنسية ، قرر الآتى قائلا :**

« أننى أب بائس وتعيس ، وقد شاءت ارادة الرب المقدسة ، ان يحل بى ضيق عظيم . فلقد كان لى — قبل مجيء شيطانة شارع ( شود ) — ولد جميل كأبناء النبلاء ، متعلّم كموظف عظيم . وقد قام بأكثر من اثنتى عشرة رحلة الى بلاد الارض . وكان فوق ذلك كاثوليكيًا فاضلا ، حافظا نفسه من مخاطر الحب ، متجنبًا الزواج ، مدركا انه هو ساعد شيخوختى . . .



كان ابنا حريا بملك فرنسا أن يفخر به .. والآن ياسيدى،  
ها هو ذا الكنز الذى لانظير له قد اخذ منى ، وألقت به الشيطانه  
فى هوة الجحيم .. أجل يامولاي ، فما ان وقع بصره على هذه  
المخلوقة الماكرة - التى ضمت جوانحها مصنعا كاملا لآلات  
الهلاك ، والتى اتحدت فيها اللذة بالبهجة - حتى غرق الى  
آخر انفاسه فى وعاء الحب هذا . وبعد ذلك أقام على الدوام  
بين أعمدة معبد (( فينوس )) ، إلا أنه لم يعيش هناك طويلا ،  
فإن فى ذلك المكان حرارة عظيمة .. فواحسرتاه ، وواولده ! ..  
ان تلك الهاوية ابتلعت حظه فى الحياة ، وآماله الواسعة ،  
ومستقبله .. بل ابتلعت - الى الأبد - ذاته وحياته كلها ..  
واذ أصبت هكذا بالتكل فى شيخوختى ، فلن تكون لى متعة  
أعظم من أن أرى هذه الشيطانة - المثقلة اليدين بالذهب  
وبالدماء - تحرق أمام ناظرى بلهب النار .. هذه الأبلية  
التي طالما حطمت زيجات ، وهدمت عائلات ، وأدمت قلوبا ،  
وأفرغت جيوبا ، أحرقوها ، مزقوها .. راقبوا هذه الشيطانة ،  
وشددوا الحراسة عليها ، لأن لها نارا أشد اشتعالا من كل  
نيران الأرض .. فى كيانها كل أتون الجحيم ، وفى شعرها قوة  
شمشون ، وفى صوتها أنغام الموسيقى السماوية ! .. أنها تنفث  
سحرها لتقتل الجسد والروح بضربة واحدة ! .. انها تبتسم  
لتلدغ ، وتعانق لتلتهم .. وقصارى القول : انها قديرة على أن  
تغوى ملاكا ، وتجعله يجحد الله .. ولدى ! ولدى ! أين هو فى  
هذه الساعة ؟ .. آه ، ياسيدى القاضى ! لماذا بالله استدعيتنى ؟  
.. هذه هى شهادتى التى أتوسل الى السيد « توربنوش » أن  
يكتبها دون أن يسقط حرفا واحدا ، وان يعطينى بيانا أقوله  
للرب كل مساء فى صلاتى ، لكى يرتفع صوت دماء البريء الى  
أذنيه ، ولكى أحصل من رحمته اللانهائية على عفو ومغفرة  
لابنى ! »



• **وقأتى** - بعد ذلك - سبع وعشرون شهادة، لو اننا أردنا كتابتها بكل تفصيلاتها ، لكان ذلك فوق طاقتنا ، ولبعد بنا عن خط سيرنا في هذه القضية . لذلك فاننا نكتفى بأن نسجل فيما يلى خلاصة هذه الشهادات في كلمات قليلة . وبيانها : ان عددا عظيما من المسيحيين الافاضل . من رجال المدينة ونسائها ، شهدوا بان الشيطانة كانت تقيم كل يوم ولائم فخمة ، وحفلات فاخرة ، لا يمكن ان يرى الانسان مثلها في اية كنيسة . . وانها لعنت الرب ، وهزأت بالكهنة . . وانها لم ترسم على صدرها علامة الصليب في أى مكان . . وانها تتكلم بكل لغات الأرض ، وهى موهبة لم يمنحها الله الا لرسله القديسين . وانها رؤيت - عدة مرات - فى الحقول ، وقد امتطت حيوانا غير معروف ، يمضى بها مسابقا السحاب . . وانها لا تكبر فى السن ابدا ، بل ان وجهها ناضر الشباب دائما . . وانها تستقبل الأب والابن فى ذات النهار ، قائلة ان بابها لا خطيئة فيه ! . . **وانها تشبعت عنها تيارات شريرة تراها العين ، فقد كان صانع فطائر يجلس - ذات مساء - على أريكة عند باب منزله ، فما أن مرت به ، حتى رأى نفحة من الحب الملهب تنطلق من جسدها ، فتهب عليه وتشعل فيه حرارة عظيمة جعلته يهرع الى فراش زوجته، حيث وجد - فى الصباح التالى - ميتا من عنف عاطفته ! . .** وان شيوخ المدينة يذهبون ليضيعوا بقية ايامهم واموالهم معها، ثم يموتون منكفئين على بطونهم عند قدميها ، وقد اسودت وجوههم كوجوه المراكشين . . وأن هذه الشيطانة كانت تعتمد ألا يراها أحد عند تناول الوجبات ، فقد كانت تعيش على عقول البشر ! . . وأن كثيرين قد رأوها تذهب - اثناء الليل - الى المقابر ، فتعانق الرجال من الموتى ، لأنها لم تكن تملك طريقة اخرى لاطفاء ظمأ الشيطان الجائم فى احشائها . .

وغير ذلك من مثات أخرى من الأقوال والتصريحات والتقريرات، التي يتضح منها أجلى وضوح ، طبيعة هذه المراة الجهنمية ، التي لا بد أن تكون ابنة الشيطان أو أخته أو زوجته أو بنت عمه أو بنت عمته ! .. فضلا عن الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أفعالها الشريرة وعلى النكبة النكباء التي بليت بها كل الأسرار على السواء !

وقد ختمنا هذا التحقيق في يومه العاشر ، بعد أن أمكننا الوصول الى الدليل الحاسم المدعم بالشهادة الموثوق فيها ، والمعزز بالشكاوى والتحذيرات والتوصيات والاعترافات والمشاهدات التي على الشيطانة المذكورة أن تدفعها عن نفسها وأن تبين حقيقتها .

## ٢ - ما الذى اتخذ بشأن الشيطانة المذكورة ؟

• انه في عام الرب الهنا ، الواحد والسبعين والمائتين بعد الألف .. أمامنا نحن « هيروم كورنى » - كبير القضاة الكنسيين - حضر الآتى ذكرهم بعد ، بناء على استدعائهم بمعرفتنا ، وهم :

**السيد « فيليب ديدريه »** ، محضر مدينة تور ومقاطعة تورين ، المقيم في شارع لاتيسورى بجهة شاتونوف ..

**والسيد « جيهان ريبو »** ، رئيس نقابة تجار الأصواف ، المقيم في ميناء بريتانى بالقرب من تمثال سان بير ايليان ..

**والسيد « انطوان جيهان »** ، رئيس نقابة الصيادلة ، المقيم في ميدان (بونت) ، بالقرب من تمثال سان مارك ..

**والسيد « مارتن بويرتييه »** ، قبطان صيادى المدينة ، المقيم في الميناء بالقرب من جزيرة ( سان جاك ) ، وأمين صندوق نقابة ملاحي نهر اللوار ..

و **(مارك هيروم )** ، المعروف باسم **( « ماشيفر » )** ، رئيس



جمعية أصحاب الحرف ، المقيم بالقرب من تمثال سان سيباستيان ..

و « جاك » الملقب « فيدوميه » ، صاحب حانة ، وساقى خمور ، يقيم في شارع های عند (البوم دوبان) وقد قرأنا على مسمع السيد « ديدريه » المذكور ، وسائر المواطنين السالفي الذكر ، الالتماس المكتوب ، والموقع عليه والمقدم منهم ليوضع تحت أنظار المحكمة الأكليريكية ، ونصه كالآتي :

### التماس .

« نحن الموقعون أدناه ، وجميعنا من مواطني ( تور ) ، قد اجتمعنا بمنزل السيد « ديدريه » - محضر ( تورين ) - وقد طلبنا اليه أن يستمع الى شكوانا وأقوالنا بخصوص الوقائع التالية التي اعتزمنا أن نطرحها أمام قاضي الجرائم الكنسية كي يصدر حكمه بشأنها ، وهي الآتي بيانها :

« منذ وقت طويل مضى ، وفدت الى هذه المدينة شيطانة شريرة في صورة امرأة ، واقامت في أبروشية ( سان اتيان ) ، بمنزل السيد « تور تيراس » الخاضع للسلطة الزمنية الاسقفية . وهذه المرأة الاجنبية تحيا حياة الدعارة المنطوية على أبشع صور الاسراف ، والاتلاف ، والخلاعة . وما فتئت فضائحها تزداد خطرا حتى أصبحت تهدد بالدمار شرف العقيدة الكاثوليكية في هذه المدينة ، اذ أن أولئك الذين يهرعون اليها لا يلبثون أن يعودوا مجتلين بالخزي ، وقد ضاعت ارواحهم وثرواتهم .

« وحيث أن عددا كبيرا من أولئك الذين وقعوا في براثنها ، قد انتهى أمرهم الى الموت .. وحيث انها كانت - حين وفدت الى مدينتنا - لا تملك ثروة ما سوى جمالها ، فاذا بها تصبح -

حسب الأقوال الشائعة فى المدينة كلها - ذات ثروة لا تعد ولا تحصى ، مما وطد الاعتقاد بأنها انما جمعت ثروتها تلك ، من أعمال الكهانة-والسحر ، أو من السرفات التى استخدمت فى ارتكابها الوسائل السحرية .. على الأقل !

« وحيث أنها مسألة تتعلق بشرف أسراتنا ، وسلامتها . وحيث انه لم يحدث قط من قبل ، أن رؤيت فى هذه البلاد امرأة ضارية الجسد ، تزاول - بكل هذا القدر من الشر والأذى - مهنتها الشهوانية ، وتهدد ، على هذا النحو البشع ، حياة أهل هذه المدينة ، ومالهم ، وأخلاقهم ، وعفتهم ، وعقيدتهم ، وكل شئ يتعلق بهم ..

« وحيث أن الضرورة تدعو لأجراء التحقيق فيما يتعلق بحقيقة شخصها ، ومصدر ثروتها ، وفصائح سيرتها ، ليتمكن التحقيق مما اذا كانت وقائع الحب هذه مشروعة ، وغير مترتبة - كما توحي تصرفات المرأة - على الوسائل السحرية للشيطان ، الذى كثيرا ما يزور العالم المسيحي فى صورة امرأة ، كما جاء فى الكتب المقدسة ..

**« وحيث أنه فى حالة المرأة المذكورة قد قام الفدليل ودليل على أنها شيطانة .. وحيث أنه من الضرورى - من أجل سلامة المرأة المذكورة ذاتها - أن يفحص الأمر ، حتى لا يتعرض لاعتداء بعض أولئك الذين حطمتهم بشرونها ..**

« فانا نرجو ان تتكرموا بأن ترفعوا الى مسامع سيدنا الروحى ، أب هذه الأبروشية - صاحب القداسة رئيس الأساقفة « جيهان دومونسورو » - متاعب شعبه المحزون ، حتى يسدى نصيحته اليهم .. وبذلك تؤدون واجبات وظيفتكم ، بما يتحتم على كل المنوط بهم أمر المحافظة على سلامة هذه المدينة .. كل منهم فى دائرة اختصاصه ..

« وقد تم توقيعنا على هذا الالتماس فى عام الرب الهنا :

ألف ومائتين وواحد وسبعين ، في يوم جميع القديسين ، بعد القداس »

وبعد أن فرغ السيد « توربنوش » من قراءة هذا الالتماس ، وجهنا نحن « هيروم كورنى » ، خطابنا لمقدمى الالتماس ، قائلين لهم : « هل أنتم مصممون - أيها السادة - على هذه الأقوال ، في الوقت الحاضر ؟ .. وهل لديكم غير هذه الأدلة المستمدة من معلوماتكم الخاصة ؟ وهل تتكفلون بتأكيد صحة هذه الأقوال على مقتضى الحقيقة ، أمام الله ، وأمام الناس ، وأمام المتهمة ؟ »

**وأصر الجميع - ملعدا السيد « جيهان رابليه » - على ادعائهم ، وقد انسحب رابليه المذكور من الدعوى ، قائلا أنه يعتبر المراكشية المذكور امرأة طبيعية ، وأنسانة طيبة ، ولا خطا لها إلا أن في طبيعتها طاقة عظيمة من الحب .**

وحيث وجدنا - نحن القاضى المشار اليه - بعد كثير من التروى ، ما نسبند اليه في رفع الدعوى بشأن التماس المواطنين السالفي الذكر . وقد اصدرنا أمرا برفع الدعوى على المرأة - المحبوسة حاليا في سجن المجمع - وتطبيق كافة الاجراءات القانونية اللازمة لذلك ، كما هي واردة بالقوانين والاوامر الرسمية .. وسيعلن هذا الامر المكتوب - بوساطة منادى المدينة - في كل انحاءها .. ويعلنه المنادى المذكور بواسطة البوق ، حتى يكون معلوما لدى الجميع ، وكل من لديه شهادة بهذا الصدد فليتقدم للدلاء بها ، وليكن مستعدا لمواجهة الشيطانة المذكورة . واخيرا فاننا نصرح للمتهمة باحضار محام يدافع عنها حسب التقليد المتبع ، وسوف تتم الاجراءات ، والمرافعات طبقا للقانون .

( توقيع ) هيروم كورنى  
( الكاتب ) توربنوش



• فى عام الرب الهنا : ألف ومائتين وواحد وسبعين ، وفى اليوم العاشر من فبراير ، بعد القداس ، بأمرنا نحن «هيروم كورنى» - القاضى الاكليريكى - قد احضرت من سجن المجمع المقدس ، الى حضرتنا ، المرأة المقبوض عليها فى منزل صاحب الفندق «تورتيراس» ، الواقع فى املاك مجمع وكاتدرائية «سان موريس» ، وهى بذلك تكون خاضعة لسلطة القضاء الزمنى والاقطاعى لقداسة رئيس أساقفة (تور) . . وهى فضلا عن ذلك - بسبب طبيعة الجرائم المنسوبة اليها - خاضعة لمحكمة القضاء الاكليريكى ، وقد احطناها علما بذلك ، حتى لا تكون جاهلة به . .

وبعد ان سمحنا للمرأة المذكورة بالاطلاع على أوراق الدعوى ، وبعد ان قرأتها قراءة دقيقة تنطوى على الفهم السليم التام لما تقرأه ، بادئة بالتماس أهل المدينة ، ثم اغضبها بأقوال الشهود ، والشكاوى والالتهامات والادعاءات - المدونة فى اربع وعشرين رقعة عريضة من الورق - شرعنا بمعونة الله ، والكنيسة ، فى العمل على الوصول الى الحقيقة باستجواب المتهم المذكورة . وقد طلبنا الى المتهم - أول ما طلبنا - ان تخبرنا « فى أى ارض أو مدينة ولدت ؟ » . . فأجابت قائلة « فى موريتانيا » فسألناها عما اذا كان لها أب أو أم أو أى اقارب ؟ فأجابت بأنها لم تعرف أحدا منهم ابدا .

**فسألناها عن اسمها ، فأجابت بلهجة عربية قائلة ان اسمها « سلمى »**

وسألنا : كيف تتكلم بلغتنا ؟ فأجابت قائلة : « لانها جاءت الى هذه البلاد » . . فلما سألناها : « فى أى وقت ؟ » ، أجابت قائلة : « منذ حوالى اثنى عشر عاما »

فسألناها : « كم كان سنها فى ذلك الوقت ؟ » فأجابت قائلة « خمسة عشر عاما أو نحو ذلك » . . واذا ذاك سألناها :

« اذن فأنت تعتبرين نفسك في السابعة والعشرين من عمرك؟ »  
فأجابت قائلة : « نعم »

**وهنا قلنا : « انها اذن الطفلة المراكشية التي وجدت في كوة السيدة العذراء ، والتي عمدها رئيس الأساقفة ، وحملها الى حوض المعمودية المرحوم الكونت دي روش كوريون ، وزوجته كونتة آزي ، ودخلت بوساطتهما - بعد ذلك - الى دير «مونت كارميل» ، حيث نذرت نفسها للتبتل والحرمان والوحدة ومحبة الله ، بمعونة القديس كلير . . فأجابت المتهمه : « هذا صحيح » .**

فسألناها قائلين : « فأنت اذن تعترفين بأن ما قالته الام الجلييلة رئيسة دير «مونت كارميل» ، وما قررته المدعوة فييزونج - خادمة المطبخ - صحيح ؟ » فأجابت المتهمه قائلة : « ان هذه الاقوال صحيحة الى حد بعيد ! »  
**وحيث سألناها قائلين : « فأنت اذن مسيحية ؟ » فأجابت : « نعم ، يا ابي ! »**

فلما قالت ذلك ، طلبنا اليها ان ترسم علامة الصليب ، وان تتناول من الماء المقدس - من وعاء وضعه السيد تورينوش بين يديها - ففعلت . وقد شهدنا - بما لا يدع مجالا للشك - ان «سلفى» المراكشية ، المسماة في بلادنا « بلانش بروين » راهبة دير «مونت كارميل» ، التي كانت تدعى فيه بالاخت «كلير» - والمتهمه بأنها شيطان في شكل امرأة - قد أتت في حضورنا عملا من أعمال الدين ، لكي يكون هذا موضع اعتبار المحكمة الاكليريكية .

ثم قلنا لها : « يا ابنتي ، أنت متهمه اتهاما قويا ، بأنك تستعينين بالشیطان . . ويدل على ذلك الطريقة التي هربت بها من الدير ، وهي طريقة غير طبيعية من كل وجه ! » . .  
**فقاتلناها - في ذلك الوقت - قد خرجت بطريقة طبيعية من باب الدير ، بعد صلاة الغروب ، مختفية في ثياب الراهب**

« جيهان دومارسيليز » ، الذى كان يزور الدير فى ذلك اليوم ،  
والذى أخفاها بعد ذلك فى كوخ يخصه فى زقاق (كيوييدون) ،  
خلف احد ابراج المدينة .. وانه هنالك اذاقها مباهج الحب  
التي كانت من قبل تجهلها كل الجهل ، وانه ساعدت بهسذه  
المباهج ، واستمرأتها كل الاستمرءاء ، ووجدتها أحلى من كل  
شيء فى الوجود ! .. وان البارون « دامبواز » رآها - يوما -  
تتكلم فى نافذة الكوخ ، فشفف بحبها .. واذا أحبته - هي  
كذلك - اكثر من حبها للراهب ، فانها هربت معه الى قلعة  
(امبواز) المملوكة للبارون المذكور ، حيث تمتعت هنالك بالآف  
من لحظات السعادة ، ورحلات الصيد ، وحفلات الرقص ،  
والملابس الجميلة التى تليق بالملكات .. ثم حدث - فى احد  
الايام - أن دعا « البارون دامبواز » صديقه « الكونت دولاروش  
بوزيه » ، لينناول معه الغداء ويسرى عن نفسه . وهنالك  
سمح له بأن يراها وهي خارجة من الحمام ، فما ان أبصرها  
الكونت المذكور وهي عارية ، حتى وقع فى غرامها ، وسرعان  
ما استل سيفه ، وقتل به البارون « دامبواز » ، واستولى  
عليها ، وانطلق بها من القلعة . ثم أخذها معه الى الأرض المقدسة ،  
حيث عاشت هنالك معيشة المرأة المحبوبة المدلة البجلة بفضل  
جمالها الفائق ..

الا أنها ما لبثت - بعد عدة مغامرات من هذا النوع - ان  
عادت الى هذه البلاد ، رغم خوفها مما قد يصادفها هنا من  
سوء الحظ .. فقد كانت هذه هي رغبة سيدها وعاشقها  
« البارون دو بويى » ، الذى كاد ان يموت فى الأرض المقدسة  
شوقا الى اقطاعيته فى أرض الوطن . وقد وعدها بأن يحميها  
من كل شر ، فأولته ولاءها وثقتها ، واحبته حبا عظيما ، الا  
انه لم يكد يصل الى هذه البلاد ، حتى انتابه مرض شديد ،  
مالبث أن قضى عليه ، دون ان يقبل تناول أى دواء - رغم



نضرعاتها الحارة — لانه كان يكره الاطباء والجراحين والصيدالة .  
وان هذه هى كل الحقيقة !  
وسألنا المتهمه عما اذا كانت تعترف — اذن — بصدق ماقرره  
السيد الفاضل « هاردوين » ، وصاحب الفندق « تور تيراس » . .  
فأجابت بأنها تعبر الشطر الاكبر منه صحيحا ، الا ان بعضه  
ادعاء خبيث ، وافتراء كاذب ، وخيال سخي .

\*\*\*

• وهنا طلبنا الى الشيطانة ان تخبرنا بما اذا كان حقا  
ما علمنا ، من انها قارفت أعمال اللذة ، وكانت على صلة  
جسدية مع كافة النبلاء وغيرهم من المواطنين ، كما ورد في  
الشكاوى التى تقدم بها أهل المدينة ضدها . . فأجابت فى  
قحة عظيمة : « اما اللذة ، فنعم ! . . واما العلاقة الجسدية ،  
فلا أدري ! » .

واذ قلنا لها ان الجميع ماتوا نتيجة فعالها ، قالت ان موتهم  
لم يكن بفعالها . . فلقد كانت ترغص — على الدوام — ان تهبهم  
نفسها ، ولكنهم كانوا يلاحقونها — بقدر ما كانت تهرب منهم —  
ويأخذونها فى احضانهم بشوق عنيف . واذ ذاك كانت تمنحهم  
نفسها بكل قوتها وحرارتها ، لانها كانت تشعر فى ذلك بلذة  
عظيمة ما كانت لتجدها فى أى شىء آخر ! . . وقررت انها  
ما جهرت بمشاعرها الخفية هذه ، الا لاننا طلبنا اليها ان تذكر  
الحقيقة كلها ، وانها فى اشد الخوف من ألم التعذيب .

تم طلبنا اليها ان تذكر لنا : فى أى حال من حالات العقل  
والشعور كانت تنظر الى أى شاب نبيل يموت عند قدميها  
نتيجة اتصاله بها ؟ فأجابت بأنها كانت تعاني عذابا شديدا  
وتود فى تلك اللحظة ان تقتل نفسها ، ولا تفتأ تبتهل الى الله  
والعذراء وجميع القديسين ان يتقبلوها فى الفردوس ، لأنها  
ما كانت تستقبل ابدا الا ذوى قلوب فاضلة مخلصه لاغش فيها

.. وكانت اذ تراهم يمشون بين يديها ٤ يتولاها الم عظيم .  
وتعتقد انها مخلوق شرير ، او ضحية حظ تعيس يلاحقها  
كالطاعون !

ثم طلبنا اليها ان تذكر لنا اين تودى صلاتها . فقالت انها  
تصلى فى بيتها ، راحة على ركبتيها امام الرب الذى يرى  
ويسمع كل شئ ، ويوجد فى كل مكان ، كما جاء فى الاناجيل .  
فطلبنا اليها ان تجيبنا عن السبب فى انها لا تتردد على  
الكنائس او تحضر الاحتفالات فى الاعياد .. فاجابت بان  
اولئك الذين كانوا يفلون عليها للتمتع بحبها انما كانوا يختارون  
على الدوام ايام الاعياد لهذه الغاية ، وانها تفعل كل شئ  
يرضيهم !

قلنا لها انها بذلك انما تخضع لرغبات الرجال ٥ اكثر مما  
تخضع لاوامر الله . فقالت انها من اجل اولئك الذين يحبونها،  
مسعدة لان تلقى بنفسها فى اتون النار . وانها ما كانت تسير  
فى حبها على اى نظام ، وانما كانت تنطلق فى ذلك على سجيبتها  
.. ولو وهبت وزن الارض ذهباً لما بذلت جسدها او حبها  
ملك ، ما لم يكن قد احبها بقلبه وعقله وكل جارحة فيه . وانها  
ما اتت ابدا اى عمل من اعمال الفسق ، لانها لم تبع يوما ذرة  
واحدة من الحب لرجل لم تكن قد اختارته ليكون حبيبها .  
وان ذاك الذى يضمها بين ذراعيه لحظة واحدة او  
يقبل فمها قبلة واحدة ، انما يمتلكها كل ايامها ٥ وتصير له الى  
آخر عمرها !

وبعد ذلك طلبنا اليها ان تذكر لنا من اين حصلت على  
المجوهرات ، والصحاف الذهبية ، والفضيات ، واليواقيت  
الثمينة والاثاثات الفخمة ، والطنافس الفاخرة ، والمائتى الف  
من الجنيهاً ٥ الواردة فى قائمة حصر المنقولات التى وجدت  
فى مسكنها ، والتى وضعت تحت حراسة أمين خزانة المجمع .  
فاجبتنا قائلة انها تثق فينا ، وان اعتمادها علينا ، يكاد يماثل

## الشیطانة !

اعتمادها على الله ، ولكنها لا تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال ، لأنه يتعلق بأجمل مباحج الحب التي عاشت عليها كل حياتها !

واذ أعدنا عليها السؤال مرة أخرى ، اجابتنا قائلة : اننا نعلم باي قوة وحرارة كانت تحب ذلك الذي تفرم به ، وبأى طاعة كانت تتبعه في السراء والضراء - على السواء - وبأى خضوع كانت تدعن له ، وبأية سعادة كانت تلبى رغباته ، وبأى اعجاب كانت تتطلع الى شخصه . واننا - نحن قاضى التحقيق - لا بد أن نرى من ذلك ، ما كان يراه أولئك الذين أحبوها - من أنه مامن مال يمكن ان يجرى هذا العشق العظيم الذي يجرى وراءه كل الرجال . . . واكدت لنا انها ما طلبت يوما من أى رجل احبته ، اية هدية او عطية او منحة ، وانما ظلت قانعة - على الدوام - بأن تعيش في قلوبهم ، اذ كانت تشعر لذلك بسعادة لا سبيل الى وصفها ، لانها كانت ترى نفسها اغلى من كل هدية . . . وكانت لاتفكر الا في أن تهب عشاقها سرورا وبهجة يفوقان ما كانت تأخذه منهم . . . ورغم رفضها كل الرفض أمثال هذه الهبات ، فان عشاقها كانوا يصرون على أن يسبقوا عليها افخر الهدايا . . . فكانت تفضب من هذه الحماقات ، وان لم تكن تستطيع ان ترفض الاحتفاظ بحليلة تتيح للحبيب - الذى كان يقدمها - مسرة . . . وكان من العشاق من يجد مسرته في ان يمزق الثياب الفاخرة التي مالبستها الا لتبهجه . . . ومنهم من كان يحلو له ان يزين باليواقيت الزرقاء ذراعيها وساقبيها وشعرها ونحرها وكل مكان في جسمها . . .

**كانت رغبات عشاقها ونزواتهم تصادف اعظم السرور في نفسها ، وكانت هذه الاشياء تطريهم وتفرحهم وتملا جوانحهم غبطة !**

واستطردت المتهمة قائلة ان الانسان لا يحب شيئا قدر ما يحب سعادته ، ويتوق الى ان يكون كل شيء مشرقا بالجمال



والتناسق ، في خارج القلب كما هو في داخل القلب . . ومن ثم فإن عشاقها جميعا كانوا يشتهون ان يروا المكان الذى تقيم فيه مؤثثا بأجمل الرياش . وبهذه الفكرة كانوا يجدون سرورا عظيما في ان يحيطوها بالذهب والحريير والزهور . واذ كانت ترى ان هذه الاشياء الجميلة لا ضرر منها لأحد ، فانها لم تكن تجد مقدرة على أن تمنع فارسا أو مواطنا غنيا تحبه ، من ان يأتيها بمتل هذه الاشياء ، مادامت هذه هي ارادته ورغبته . . وهكذا وجدت نفسها مضطرة ان تتقبل العطور النادرة ، وغيرها من التحف الفاخرة التى ترامت عليها من كل حذب وصوب ! . . وكان هذا هو مصدر الذهب ، والصحاف ، والطنافس ، والمجوهرات التى وجدها رجال العدالة في بيتها . . وبهذا انتهى الاستجواب الاول الذى وجهناه الى الأخت « كلير » ، المتهمة بأنها شيطانة . . لأننا ، نحن قاضى التحقيق ، و « جيوم تورنبوش » قد شعرنا بالاعياء الشديد لسماع صوت المرأة المذكورة في آذاننا ، كما أحسسنا باضطراب ادراكنا ! وقد حددنا للاستجواب الثانى ثالث يوم بعد اليوم ، حتى يتسنى لنا ان نمحص الادلة على وجود الشيطان في جسد المرأة المذكورة ، وسيطرته عليها . وقد أمرنا نحن قاضى التحقيق باعادة المتهمة الى السجن .

\*\*\*

• فى اليوم الثالث عشر التالى من شهر فبراير الجارى ، أمامنا نحن « هيروم كورنى » ، حضرت الأخت كلير السالفة الذكر ، لكى نستجوبها بشأن الوقائع والافعال المنسوبة اليها ، والمطلوب محاكمتها من أجلها . وافتتحنا المحضر بأن قلنا للمتهمة أننا بمراجعة الاجابات المختلفة التى أدلت بها - عن الاسئلة السابق توجيهها اليها - قد تبينا وتأكدنا من ان هذه الاجابات لا يمكن ان تكون صادرة

عن امرأة عادية . . . وانها - ولو كان مرخصا لها بأن تحيا حياة الفجور ، وان تمنح اللذة لكل من يقصدونها - فان العدد الكبير من الوفيات التي تسببت فيها ، واعمال السحر والكهانة التي تراولها ، لا يمكن ان تتأتى جميعا الا بمساعدة شيطان مايسكن في جسدها ، نتيجة تحالف بينها وبينه ، باعث بموجبه روحها اليه . **واننا قد تثبتنا بوضوح من ان تحت مظهرها الخارجى شيطانا يقيم ويتحرك ، وهو فاعل هذه الشرور . واننا قد استدعيناها الآن لكى نخبرنا فى أى سننى عمرها قد استقبلت الشيطان ، وتصارحنا بالاتفاق المعقود بينهما ، وتقرر الحقيقة فيما يتعلق بافعالهما الشريرة !**

فقلت أنها سوف تجيبنا - نحن قاضى التحقيق - كما تجيب الله الذى هو قاضينا جميعا ، تم زعمت انها ما رأت الشيطان قط ، ولا كلمته ، ولا هى ترجو ان تراه اطلاقا . . . وانها ما زاولت قط حياة العاهرات ، لانها لم تمارس من فنون الهوى ، سوى تلك التى تنبع عن المتعة التىبتها الخالق الاعظم فى الحب . . . **وانها ما كانت مدفوعة فى ذلك بأية شهوة هوجاء ، وانما بالرغبة فى ان تحلو وترواق للسيد الذى يهواها ! . .** فاذا كان ما فعلته وليد شهوة - دون ان تدري - فقد رجتنا المتكلمة بأن نذكر انها افريقية بائسة ، أجرى الله فى عروقها دما حارا ، وغرس فى عقلها الساذج معرفة بلذائذ الحب ، فلا يكاد ينظر اليها أى رجل نظرة واحدة ، حتى تسمر بهزة عنيفة فى قلبها . . . وما ان يمس أى فتى فائن أى جزء من جسمها ، حتى تقع تحت سلطانه . . . **فان قلبها لا يلبث على الفور ان يخلها ، واذا هذه اللمسة تعيد الى ذاكرتها وتوقف فى صدرها كل ملذات الحب ومسراته ، وتبعث حرارة جارفة ، يصلو لهيبها ، ويجرى سعيها فى كل عروقها ، ومن ثم يتفجر بركان الحب فى كل كيانها ! . .** وانها منذ اليوم الذى ايقظ فيه دون مارسيلس ادراكها لهذه الامور - لأول مرة - لم تعد

تفكر فى سواها . فأصبحت - من ذلك الحين - تعتبر الحب ضرورة تلائم طبيعتها ، حتى لقد تحقق لديها - منذ ذلك الوقت - انها كانت خليفة بأن تموت وتذوى فى الدير ، اذا ما حرمت من الحب ومباهجه الطبيعية . . والدليل على هذا انها لم تقض يوما واحدا ، بل ولا لحظة واحدة - بعد فرارها من الدير - فى حزن او شجن ، وانما كانت على الدوام سعيدة مبتهجة . وهكذا تبعت ارادة الله المقدسة ، التى تعتقد انها كانت منصرفه عنها أثناء الوقت الذى اضاعته فى الدير ! .

وهنا اعترضنا - نحن « هيروم كورنى » - على الشيطانة المذكورة ، لانها بهذا القول قد جذفت صراحة على الله ، فما خلقنا جميعا الا من أجل مجده العظيم ، وما جرى بنا فى هذا العالم الا لنعبده ، ولنضع نصب أعيننا على الدوام اوامره المقدسة ، فنعيش حياتنا كلها فى طهارة ، كى ننال الحياة الابدية . . وليس لنقضى العمر فى فراشنا ، نفعل مالا تفعله الحيوانات الا فى أوقات معينة . فأجابت بأنها تمجد الله كل تمجيد ، وانها حرصت - فى كل البلدان التى حلت فيها - على اعانة المعوزين والمعذيين ، مانحة اياهم المال والثياب ، وانها تأمل ان تحف بها - يوم الحساب - حاشية طيبة من الاعمال الصالحة التى تروق فى عينى الله ، وتشفع لها عنده . وانها **لولا هوانها ، وخوفها من غضب رجال المجمع المقدس ، لاتفتت بكل سرور - كل ثروتها فى اتمام بناء كاتدرائية (سان موريس) ولاتشات فيها ما يكفل طمانينة روحها . . وبذلك تستمد متعة جديدة من لىالى الحب ، لان كل واحد من عشاقها ما كان ليضن بان يضيف حجرا الى بناء هذا الهيكل المقدس . . وانهم - فى سبيل هذا الغرض كذلك ، ومن أجل سعادتها الابدية - جديرون بان يجودوا بثرواتهم !**

ثم قلنا لهذه الشيطانة انها لا تملك ان تبرر عقمها ، اذ انها لم تنجب طفلا واحدا ، برغم علاقاتها التى لا حد لها . . وهذا



دلیل علی وجود الشیطان فی نفسها . . فضلا عن انه لا یملك ان یتکلم بكل اللغات ، وبلهجات کل الاقوام سوى «عشثروت» أو أحد الرسل . . وهذا دلیل آخر علی وجود الشیطان فی خوفها ! . . فقالت : «وما هی هذه اللغات ؟» . . اما الاغریقیة ، فانها لم تكن تعرف منها الا كلمة « کیریا لیصون » التي تكثر من استعمالها . واما اللاتینیة ، فلم تكن تعرف منها سوى كلمة « آمین » ، التي تقولها لله ضارعة الیه ان یرد الیها حریتها . وفيما عدا ذلك ، فانها لتشعر بأسی عظیم لانها لم ترزق اولادا . واذا كانت الزوجات الفاضلات ینجبن ، فما ذلك — فی اعتقادها — الا لانهن لا یجنبن من الاتصال بالازواج سوى متعة ضئيلة ، فی حین انها كانت تحظى بمتعة اکثر . ومع ذلك فما من شك فی انها ارادة الله ، الذي رأى بعظیم حکمته ان الدنیا تتعرض للهلاك ، اذا تمتعت کل النساء بالذات العارمة !

واذا تأملنا هذه الاقوال — التي ادلت بها المتهمة — لوجدناها تأکیدا قاطعا علی وجود الشیطان فی جسدھا ، لان الشیطان یمتاز بأنه یتکر — دواما — حججا مارقة ، تلیس نوب الحق . **ولذلك فقد اصدرنا امرنا باستعمال وسائل التعذيب فی حضورنا لقسر الشیطانة المذكورة علی الخضوع لسلطان الكنيسة .** وطلبنا لهذا الغرض معاونة السيد فرانسوا دوهانجست ، طبیب المجمع ، وکلفناه — بمقتضى التفویض المرفق بهذا — بأن یفحص المتهمة ، ویتحقق من وجود صفات الانوثة فی جسدھا الظاهر امامنا ، وان یبین للكنيسة الوسائل التي تسنعملها لکی تسيطر بها علی المسیحیین !

واذ ذاك بکت المتهمة بكاء مریرا ، وهي تتمثل التعذیب قبل وقوعه . وبالرغم من اغلالها ، جثت امامنا ، مستغيثة مستعطفة — وهي تبکی — قائلة ان اطرافها ضعيفة واهنة ، وعظامها هشة لا تحتمل قسوة الایلام ، وانما هی خلیقة بان



تهنئهم كالزجاج .. ثم عرضت ان تبتاع خلاصها من ذلك ، بأن تمنح للمجمع كل املاكها ، وان تغادر البلاد في الحال ! .. وهنا سألتها ان تعترف بمحض اختيارها ، بانها شيطانة من اناث الشياطين ، تعمل على افساد المسيحيين ، باغوائهم واغرائهم بملذات الحب . فأجابت بأن الاقرار بذلك سيكون كذبا شنيعا .. اذ أنها تشعر دائما بأنها امرأة طبيعية ، عادية! **وعندئذ رفع الرجل - الموكل بتعذيبها - اصفادها وانحسر عنها ثوبها . وأذ ذاك ، بهرتنا واضلت عقولنا بمنظر جسدها ، الذى يؤثر اخبث تأثير على الرجل حقا !**

وفي هذه اللحظة ترك السيد « جيوم توربنوش » قلمه وانسحب ، محتجا بأنه لا يستطيع ان يشهد وسائل التعذيب هذه ، لأنه يشعر ان الشيطان يغزو جسده بعنف ! .. ولذلك فقد انهينا ذلك الاستجواب الثانى . ولما كان المجمع قد انتدب السيد « فرانسوا دوهانجيت » ليعمل آخر فى المدينة ، فقد قررنا ارجاء عملية التعذيب والاستجواب الى ظهر الغد ، بعد صلاة القداس ..

وقد توليت - انا هيروم - اكمال كتابة المحضر بنفسي ، بعد انسحاب السيد جيوم توربنوش ، ووقعته باسمى : « هيروم كورني »

## التماس

• حضر اليوم ، الرابع عشر من شهر فبراير ، امامنا - نحن هيروم كورنى - السادة المذكورون : « جيهان ريبو » ، و « انطوان جيهان » و « مارتن بويرتييه » ، و « هيروم ماشيفر » ، و « جاك دوفيدومير » ، والسيد ديدريه ، نيابة عن عمدة مدينة (تور) المنفيب فى الوقت الحاضر . . وهم مقدمو الشكوى فى قضية المدعوة « بلانش بروين » ، التى سبق لها ان اعترفت بأنها من راهبات دير « مونت كارميل » ، حيث تحمل اسم الاخت كلير . وكنا قد اعلناهم بالاستئناف المرفوع من المرأة المذكورة طالبة فيه حكم الله ومبدية استعدادها لان تجتاز الامتحان النهائى ، تحت الماء والنور ، بحضور اعضاء المجمع المقدس وأهالى مدينة (تور) ، لتبرهن على انها ليست شيطانة وانما هى امرأة طبيعية ، ولتثبت بذلك براءتها . وقد ابدى المحاضرون موافقتهم على هذا الالتماس ، وتعهدوا باعداد المكان المناسب وكومة الحطب اللازمة لاشعال النار . وحددنا - نحن قاضى التحقيق - اول ايام السنة الجديدة للقيام بالاجراءات ، وهو اليوم التالى لعيد « باسكال » ، على ان يتم التنفيذ فى ساعة الظهيرة - بعد القداس - واحطنا كل أصحاب الشأن علما بذلك . وسوف يعلن المنادى هذا القرار فى كل مدن اقليم (تورين) وقراها وقلاعها ، طبقا للقانون - «هيروم كورنى»

٣ - ما فعلته الشيطانة ، لتستولى على روح القاضى الشيخ . وما وقع من الملذات الشيطانية

• هذه هى وثيقة الاعتراف الكامل ، المحررة فى اليوم الاول من شهر مارس من سنة ألف ومائتين وواحد وسبعين ، بمعرفة «هيروم كورنى» ، الكاهن ، وقاضى مجمع كاتدرائية



سان موريس ، وكبير آباء الاعتراف ، وهى المناصب التى يقر ويعترف انه ليس أهلا ولا مستحقا لها ، وهو الخاطيء الذى يرى ان ساعته الاخيرة قد حانت ، والذى يرغب - بقلب منسحق من آثامه ، وشروده ، وخداعه ، وخبثه - فى اعلان اعترافه وندمه ، خدمة للحقيقة ، وتمجيда للرب ، واقرارا للعدالة ، عسى ان يشفع ذلك فى تخفيف عقوبته فى العالم الآخر . فقد استدعى «هيروم كورنى» المذكور - وهو على فراش موته - الاب «جيهان دولاهى» ، كاهن كنيسة سان موريس ، و «بييترو جيار» ، امين خزانة المجمع ، الموفد من قبل سيدنا «جيهان دى مونسورو» - رئيس الاساقفة - ليكتب اقواله ، ودون لويس بوت ، راهب دير ( مارموتيه ) - الذى اختاره المعترف ليكون اباه الروحى ومتلقى اعترافه - والسيد الجليل الدكتور جيوم دوكونسورى ، «الارشيداكيون» الرومانى - الموفد فى الوقت الحاضر الى ابروشيتنا من اينسا صاحب القداسة البابا - وعددا كبيرا من المسيحيين الذين جاءوا ليكونوا شهودا ، وفقا لرغبة «هيروم كورنى» المذكور - المشرف على الموت - فى ان يعلن اعترافه وندمه على رؤوس الاشهاد - وهو يرى انه ينهار بسرعة - ويرجو ان يفتح بكلماته أعين المسيحيين فلا يتردون فى هوة الجحيم .

« واذ كان هيروم المذكور قد بلغ اقصى درجات الضعف والوهن ، حتى اصبح غير قادر على الكلام ، فقد تولى «دون لويس بوت» قراءة اعترافه بجوار فراش موته . . وهذا هو نص الاعتراف الذى قراه على الجماعة المذكورة ، التى كانت تستمع اليه فى دهشة بالغة وجزع عظيم :

**« يا اخوتى : حتى السنة الواحدة والسبعين من عمرى ، التى بلغتها اليوم ، اعتقد اننى - فيما عدا الخطايا الصغيرة التى يقع فيها كل مسيحى ، مهما تكن قداسته - عشت عيشة مسيحية ، واستحققت الثناء والذكر العاطرين ، مما كوفيت به**

عليه في هذه الأبروشية ، اذ رقيت الى وظيفة كبير آباء الاعتراف التي لا أستحقها ! .. والآن وقد افتربت ساعتى ، وبدأت سكرات الموت تدفع بى الى المصير الذى ينتظر الاشرار والضالين فى أتون الجحيم ، رأيت ان أخفف من فداحة خطاياى بالندم الاعظم الذى قررت ان اعلنه فى اللحظة الاخيرة ، عسى ان يشملنى الله ببعض رحمته . ولذلك فقد توجهت بضراعى الى الكنيسة - التى خدعتها وغدرت بها ، وبعت أمانتها ولوثت سمعتها - كى تمنحنى فرصة اعلن فيها على الناس اثمى وجرمى ، على طريقة المسيحيين القدماء . وقد ساورنى الامل فى أن يكون باقيا فى جسدى من الحياة ما يمكننى به ان ابدى ندمى ، وان اتلقى كل صنوف اللعنة والمهانة عند باب الكاتدرائية من كل أخوتى . **وان ابقى هناك يوما كاملا ، حاسر الرأس حافى القدمين جاثيا على ركبتى ، ممسكا شمعة فى يدي ، وواضعا حبلا فى رقبتي ، جزاء ما اقترفته اذ سرت فى مسالك الجحيم ! ..** وازاء هذا المصير التعيس الذى آلت اليه فضيلتى المنهارة ، وعفتى الداهية - والذى يجب أن يكون بالنسبة اليكم انذارا صارخا بأن تفروا من وجه الرذيلة ومكائد الشيطان ، وان تعتصموا بالكنيسة ، حيث النجاة والخلاص - واذا كنت ضحية لا حول لها ولا قوة امام مكائد الشيطان الماكر الخبيث ، فأئنى ليحدونى الرجاء العميق بأن يستمع مخلصنا يسوع المسيح الى وساطتكم انتم جميعا ، يا من التمس معونتكم وصلاتكم ورحمتكم بى ، انا المسيحي المسكين الخاطيء الذى تفيض عيناه الآن بالدموع .. ولو اننى وهبت حياة اخرى لقضيتها فى أعمال النسدم والتوبة والتكفير عن ذنبى العظيم !

« والآن ، اسمعوا وارتعفوا بخوف عظيم ! .. فلقد اختارنى المجمع منعقدا ، لكن أقوم بتحقيق الدعوى التى اقيمت ضد شيطانة ، ظهرت فى شكل امرأة ، تمثلت فى راهبة هاربة من الدير ، تحمل اسم «سلمى» - فى البلد الذى جاءت منه -

وتعرف في الأبروشية باسم الاخت «كلير» ، من راهبات دير «مونت كارميل» . . وقد أزعجت المدينة واشاعت فيها الذعر والقلق ، إذ ألفت شباكها على عدد لا يحصى من الرجال ، فاقنصت أرواحهم ، ملقية بها بين برائن إبليس وعششروت ومامون امراء الجحيم . . **وقد وقعت أنا نفسي - أنا القاضي - في هذه الشباك ، في أواخر أيامي ، ففقدت عقلي ، والتمست المنافذ لاروغ من الواجب الجليل الذي اختارني له المجمع المقدس ، لثقتي في رزانتى ووقارى ! . . فبالله فلکم كانت هذه الشيطانة غاوية ، وكم استطعت - في أول الامر - أن أصمد أمام حيلها وأحاييلها !**

« ففما كنت أنصت الى الاجابات الأولى للشيطانة المذكورة ، رأيت - في ذعر - أن القيود المحيطة بيديها وقدميها ، لم تكن تترك أثرا في جسدها ، فأدهشتني قوتها الخفية التي كانت تتناقض مع ضعفها الظاهر . . **إلا أن عقلي ما لبث أن اضطرب فجأة ، إذ وقع بصرى على مفاتن الطبيعة التي كانت تتجلى في تقاطيع جسدها . . وأصفيت الى موسيقى صوتها ، التي بعثت الحرارة في كل جسمي ، وجعلتني أتمنى أن أعسود شابا ، وأن أهب نفسي لهذه الشيطانة ، موقنا من أن خلاص روحي ثمن زهيد لساعة واحدة بجوارها ، بل لحظة واحدة بين ذراعيها البديعتين ! . . وهكذا لم ألبث أن فقدت أمام نظراتها الساحرة ، ذلك الثبات الذي ينبغي - على الدوام - أن يكون أول صفة من صفات المحققين والقضاة . . واذ بدأت أوجه أسئلتى اليها ، راحت تجيبني ، وتجادلني ببراءة ، أذهلني ، حتى أنني ما انتهيت من استجوابها حتى اقنعت اقتناعا تاما بأنني إنما ارتكبت جريمة اثيمة ، إذ عرضت لأساليب التعذيب والقسوة هذه الصبية المسكينة التي كانت تبكي كطفل برىء . . على أن هاتفا علويا لم يلبث أن حذرني ، طالبا مني أن أقوم بواجبي ، قائلا لي أن هذه الكلمات**



لذهبية ، وهذه الموسيقى السماوية ، لم تكن سوى خدع  
 شيطانية . . وأن هذا الجسد الفائق الجمال الطاغى الفتنة ،  
 سرعان ما يتحول الى وحش مفترس ذى انياب حادة ،  
 ومخالب جارحة . . وأن هاتين العينين السابغيتين  
 الساحرتين ، لا تلبثان أن تنقلبيا الى جمرتين من جمرات  
 الجحيم . . وأن عودها اللدن الرطيب لا يلبث أن يثبت له  
 ذيل ذو حراشيف . . وفمها الوردى ذا الشفتين لسانتين  
 سرعان ما يستحيل الى فكى تمساح . . فتبت الى عقلنى ،  
 وشددت من عزيمتى ، مصدرا امرى بطرح هذه الشيطانة  
 على آلة التعذيب ، حتى تعترف بكنهها وحقيقة طبيعتها . .  
**الا انهم لم يكادوا يظعنون عنها ملابسها ليعذبوها ، فارى**  
**جسدها عاريا ، حتى وقعت فجأة تحت سلطانها وقوة**  
**سحرها ، وشعرت بعظامى الهرمة الهشة قد اشتد عودها ،**  
**ونفذ الى عقلى نورانيء ، وأرتد قلبى شابا ، يرسل الدماء تغلى**  
**في عروقى . . واذا بالثلوج المتراكمة على جبينى تذوب . .**  
 وفقدت كل شعور بحياتى المسيحية ، ووجدتنى كتلميذ  
 صغير يهرب من مدرسته ليسرق التفاح . . ولم تعد لى قدرة  
 على أن أرسم علامة الصليب ، ولا عدت أذكر لكنيسة ، ولا  
 الله الآب ، ولا الابن مخلص البشر . ورحت أهيم فى الطرقات  
 مفكرا فى سحر ذلك الصوت ، وفى مفاتن ذلك الجسد اللذين  
 أوتيتهما للشيطانة ، محدثا نفسى بألف خاطر طائش . . حتى  
 اذ نفذت فى أعماقى مذراة الشيطان - الذى كان قد استقر  
 فى رأسى كثعبان فى جذع سنديانة - قادتني تلك المذراة ذات  
 الشعب المسنونة نحو السجن ، رغم ارادة ملاكى الحارس ،  
 الذى ما فتىء يردنى - من آن لآخر - ويدفع هذه المغريات  
 عني . . الا أنني رغم نصيحته المقدسة ومعونته التى كان  
 يبذل أقصى الجهد فى اسدائها لى ، شعرت بألف مقلب تنفرس فى  
 قلبي ، وسرعان ما وجدت نفسي فى السجن الذى حبست

الشیطانة فيه . وما أن فتح الباب لى حتى اختفى عن بصرى كل مظهر من مظاهر السجون ، اذ كانت الشیطانة قد أقامت — بمساعدة الجن والعفاريت — سرادقا من الحرير والدمقس تتضوع فى أرجائه رائحة عطور والأزاهير . ورأيتها جالسة على سجيتها ، فلا أغلال فى عنقها ، ولا أصفاد فى يديها ، ولا سلاسل فى قدميها . . وارتعيت لنفسي أن أجرد من ثيابى الكهنوتية . وبعد أن ادخلت فى حمام تفوح منه الروائح الذكية ، أقبلت الشیطانة فذرتنى بثوب عربى ، وأجستنى على مائدة خافلة بالأطعمة الشهية ، والخمور الأسسيوية ، والكؤوس الذهبية ، والصحاف الفاخرة . . وقد انبغت حولنا موسيقى رائعة ، تسربت الى روحي فأبهجتها وأفرحتها . وجاءت هذه الشیطانة فبقيت كل الوقت الى جانبى ، وعناقها اللذيد يدفع بمزيد من الحرارة فى اعضائى . . وقد فارقنى ملاكى الحارس ، فلم أعد أعيش الا بالضوء انجبار الذى كان يشع من عيني المرأة المراكشية ، ملتصقا بجسدها الدافئ البديع ، مستهيا طيلة الوقت أن أرشف شهد شفيتها العقيقين ، اللتين كنت أخاهما فى تلك اللحظة طبيعيتين ، فلم أخش من عضة أسنانها التى تجر الانسان الى قاع الجحيم . وكنت أستشعر البهجة والتلذذ بنهومة يديها — التى لا تدانيها نهومة — دون أن يخطر ببالى أنها مخالف غير بشرية . وهكذا رحلت أتصرف كزوج يشتهي عروسه ، دون أن يحسب أن هذه العروس هى الموت الأبدى . ولم أعد أفكر فى أمور هذا العالم ، ولا فى مجد الرب ، وانما غرقت الى اطراف شعري فى النشوة ، فلم أعد اشعر بشيء فى الدنيا الا بالحب ، ولم أعد اعلم الا بصدر تلك المرأة ، وبأبواب جحيمها الذى كنت مشوقا الى أن أرتقى فيه . . فوا أسفاه ، يا اخوتى ، لقد غصت فى لجة الاشتها حتى قرارها . . وظلت ثلاثة أيام ، وثلاث ليال أنك قواى ،

دون أن أملك إيقاف التيار الذي أنهر في عروقي ، وقد  
فجرت له تلك الشيطانة التي روت شيخوختي وعظامي الجافة  
برحيق الحب ، الذي لم أدر كنهه ! .. وكان حبها لي في بدئه  
ينساب في بدني ناعما كاللبن ، ثم ما لبث أن اشتد لهيبه ،  
وراحت السنة سعيه تخزني وكأنها آلاف من الأبر سلطت على  
ضلوعي ، ونخاعي ، ومخي ، وأعصابي .. ثم دببت النار في  
كل كيائي ، فرحت أنلظى بنيران جحيم حقيقي ، وأخذت  
أعاني أظع آلام العذاب .. وكنت خلال هذه المتعة القاتلة  
أرى وجه الشيطانة وقد توهج كالجمرة المتهبة ، وراحت  
تضحك وقد استخفها الطرب ، هاتفة من فرط التشبوه  
والشهوة : « يا فارس ، يا مولاي ، يا فرحي ، يا نهاري ،  
يا بهجتي ، يا حياتي ! » .. وهي لا تفتأ تضمني إليها في  
شدة تزد ثم تزد ، حتى كأنها تريد أن تدخلني في ذات  
جسمها ، أو تدخل هي في ذات جسمي ، وتمزج رسمها  
برسمي

وبينما كان الدم يجف في عروقي ، والدنيا تغم في وجهي  
— لفرط ما بذلت من ماء الحياة في حبي — ظلت هي منتشية،  
منتشئة ، متأججة .. وراحت تقول لي ضاحكة :

— أيها الأحق المسكين ، يا من كنت تحسبني شيطانة ! ..  
لو أنني ظلمت منك الآن أن تبيعني روحك من أجل قبلة ، أفلا  
تعطينيها مع كل قلبك ؟  
فقلت لها : « بلى » .

فقلت : « لو أنك داومت على ما تفعل الآن ، لوجب عليك  
أن تغذي نفسك بدماء الأطفال الحديثي الولادة ، كي تتوفر  
لديك — دائما — حياة جديدة تبذلها بين ذراعي .. أفلا تقبل  
على وشف هذه الدماء عن طيب خاطر ؟ »

فقلت لها : « بلى » .

فقلت : « ومن أجل أن تكون دائما فارسي ، وتكون مرحا



كشاب في عنفوان شبابه ، مستمرنا الحياة ، شاربا كأس  
اللذة ، غائصا في لجج المسرة ، كما يفوص السابح في نهر  
الوار .. أفلا ترتضى أن تجحد الله ، وتجيد على المسيح ؟  
فقلت لها : « بلى » .

فقلت : « فاذا قدر لك أن تسترد الآن عشرين عاما من  
حياة النسك والرهينة ، أفما تبذلها في نظير سنتين اثنتين  
تقضيها غارقا في هذا الحب ، مقبلا على هذه الالهة العذبة ؟ »  
فقلت لها : « بلى » .

عندئذ شعرت بألف مقلب حاد تمزق أحشائي ، ثم اذا  
بقوة سحرية ترفعني عن الأرض وقد امتطيت ظهر الشيطانة  
التي نشرت جناحيها في الفضاء وهي تهنف صائحة بي :  
« اركب ، اركب ، يافارسي الهمام ! .. اثبت على ظهر مطيتك ،  
وتثبت بناصيتها ورقبتها .. اركب ، اركب ، يافارسي  
الهمام .. فكل شيء يركب ! »

حتى اذا ارتفعت بي في الجو تراءت لي مدن الأرض  
كرقعات من الضباب الكثيف ، وهناك رأيت كل رجل  
تصعبه شيطانة ، وقد تعانقا في شهوة عظيمة ، وانكل  
يصرخون بكلمات الهوى ، وهتافات الهيام ، ويرتجفون من  
فرط النشوة .. وفيما نحن منطلقان ، أشارت لي مطيتي  
ذات الرأس المراكشي - وهي تطير وتقفز بين السحاب - الى  
الأرض وقد استلقت بين أحضان الشمس وانثقت منهما  
النجوم .. ثم أدت البصر من حولي فاذا كل أنثى من الكواكب  
تعانق كوكبا ذكرا ، وكل عالم يعانق دنيسا .. وبدلا من  
الكلمات والشهقات التي ينفثها البشر في ساعة اللذة ، كانت  
الأكوان تصدر هزيم العواصف ، وقصف الرعود ، وهي تنفث  
وميض الصواعق ! .. حتى اذا بلغنا آخر المدى في اجواز  
الفضاء - ونحن سادران في الصعود - رأيت الطبيعة الآثي  
كلها ترتطم في أحضان أمير الحركة ونطارحه الهوى ..

واذ ذاك أرادت الشیطانة أن تمازحني وتسخر مني ، فألقت بي في معمعان المعركة الأبدية المروعة ، ففصت كما تفوص ذرة من الرمال في البحر . . وما لبثت شیطانتی أن صاحت بي : « أركب . أركب . يافارسی الهمام ، فكل شيء يركب ! » وفي تلك اللحظة تصورت مدى تفاهة الراهب في لجج العوالم الملائمة . . فها هي ذی الطبيعة كلها تتعاقب : المعادن ، والأجواء ، والمياه ، والأحجار ، والرعود ، والأسماك والنبات ، والحيوان ، والانسكان ، والارواح ، والاشباح . . كلها تتعاقب في وجد ! . . فكفرت بالعقيدة الكاثوليكية ، وآمنت بقوة الحب السرمدية ، وما لبثت أن ضمنت شیطانتی الساحرة بأعنف ما في أمكاني وكياني ، وأنا أشتهد أن أشعر بأنني أضم الطبيعة كلها بين أحضاني !

\*\*\*

• وما لبثت أن شعرت بضعف هائل ينتابني من جراء ما بذلت من جهد جبار ، واذا بي أسمع ضحكة جهنمية مجلجلة ، فانتبهت لأجد نفسي في فراشي ، يحيط بي خدمي الذين أبدوا منتهى الشجاعة في مقاتلة الشیطانة ، اذ القوا على فراشي ملء حوض من الماء المقدس ، وهم يرددون الصلوات الحارة الى الله . ومع ذلك ، فقد اضطررت - برغم عونهم - الى أن أخوض معركة عنيفة مخيفة مع الشیطانة المذكورة ، اذ كانت مخالباها لاتزال ناشبة في قلبي ، مسببة لي أشد الآلام . . فما أن أفقت الى نفسي ، حتى رحت أحاول أن أرسم علامة الصليب المقدسة ، في حين كانت الشیطانة الحبيبة تستلقي على فراشي . . كانت صورتها في كل شبر من السرير ، وقد انهمكت في اغشوائی واذكاء حرارتي ، ضاحكة ، مداعبة ، متمسحة ، قابضة على خصلات شعري ، رابضة على صدري ، عارضة امامی ألف صورة فاحشة ،

نافثة في كياني ألف شهوة داعرة !

واذ رآني سيدي رئيس الأساقفة - على هذه الحال -  
أخذته الشفقة بي ، فأمر بإحضار صندوق الآثار الباقية من  
جثة القديس « جاتيبي » . . فما أن مس الصندوق فراشي ،  
حتى أسرع الشيطانة بالفرار ، تاركة خلفها رائحة كرائحة  
الكبريت ، نفذت إلى حلق خدمي وسائر أصدقائي فأحرقتها  
فلما سطع نور الله في أنحاء حجرتي وأضاء روحي ، أحسست  
بأنني أصبحت على شفا الموت ، بسبب أثمي الذي تخلفت  
عنه آلامي وأوجاعي ، فتضرعت إلى الله أن يهني قلبي من  
القوة أعيش به زمنا قصيرا يمكنني فيه أن أبدى ندمي أمام  
ربي ، وأكفر عن ذنبي . . فقبل الرب ضراعتي ووهبني  
فسحة من الوقت يتسنى لي فيها أن أعلن على الناس  
خطاياي ، وأن أتوسل إلى أعضاء كنيسة « القديس موريس »  
أن يصلوا من أجلي ، إذ أوشك أن أنطلق إلى النار الأبدية . .  
ومن أجل ذلك أدلى باعترافي هذا - أمام الجميع - مقررًا أن  
الالتماس الذي قدمته الشيطانة المذكورة ، مبدية فيه  
استعدادها لاجتياز امتحان الماء المقدس وانوار ، لم يكن إلا  
خدعة ماهرة كانت تقصد من ورائها أنجاة من قرار محكمة  
رئيس الأساقفة والمجمع المقدس . . فلقد اعترفت لي سرا  
بأن في مقدورها أن تكلف شيطانة أخرى - ألفت اجتياز هذا  
الامتحان - بأن تظهر في مكانها !

وفي الختام أعلن أنني أنزل عن جميع أملاكي وأوصي بها  
لمجمع كنيسة القديس موريس ، ليتسنى له بناء دار للمجمع  
وزخرفتها ، وتكريسها باسم القديسين هيروم ، وجاتيبي ،  
إذ أن أحدهما شفيعى ، والآخر منقذ روحي . .

وبعد أن سمع الجميع نص هذا الاعتراف وضعه « جيهان -  
دو لاهي » تحت أنظار المحكمة الكليركية .



• نحن « جيهان دولاهای » ، المنتخب أباً أعظم للاعتراف بكاتدرائية القديس موريس - بوساطة الجمعية العامة للمجمع ، طبقاً لتقاليد وطقوس هذه الكنيسة - والمعين لاعادة الاجراءات في قضية الشيطانة ، المحبوسة حالياً في سجن المجمع . . . قد أصدرنا أمراً بإجراء تحقيق جديد في القضية المذكورة ، وسماع أقوال كل مواطن في هذه الأبروشسية ، تكون لديه معلومات عن موضوع القضية المذكورة . . . وذلك اذ نقرر أن الاجراءات التي تمت حتى الآن ، أصبحت كلها لاغية وباطلة ، بكافة ما تتضمنه من استجابات وقرارات وقرارات ، وقد أصدرنا أمراً هذا باسم أعضاء الكنيسة عموماً ، والمجمع المقدس منعقداً . . . كما نقرر أن الاستئناف المتضمن قبول حكم الله بإجتياز امتحان الماء والنار ، الذي رفعته الشيطانة - خداعاً منها - قد اعبر كأن لم يكن ، ولن يصير اجراء الامتحان المذكور نظراً لما عمدت اليه الشيطانة من غش وخداع . . . وسيعلن قرارنا هذا بوساطة البوق في كل أنحاء الأبروشسية ، التي سبق أن أعلنت فيها القرارات الباطلة السابق إصدارها في الشهر الماضي ، والتي صدرت تحت تأثير خداع الشيطانة وأغوائها . طبقاً لاعترافات المرحوم « هيروم كورنى » .

### جيهان دولاهای

كيف أفلتت المرأة المراكشية من قيدها  
وكيف أمكن بعد ذلك احراقها وهي حية ؟

• كتب هذا في شهر مايو من عام ألف وثلاثمائة وستين ،  
في صيغة وصية :

« أى ابنى العزيز ، يا أحب الناس عندى ، وأقربهم الى

قلبي : حينما يغدو في امكانك أن تقرأ هذا سأكون - أنا أبوك - راقدا في القبر ، طالبا صلواتك ، متوسلا اليك أن تسلك في الحياة ما رسمته لك هنا من طريق ، باذلا أقصى جهدك في رعاية عائلتك ، وضمان مستقبلك وسلامتك ..

لأننى انما كتبت هذا في الوقت الذى كنت فيه متأثرا بما رآته عينى من ظلم البشر .. فلقد كنت - فى صدر شبابهى - شديد الطموح لأن أصل الى مركز رفيع فى الكنيسة ، اذ كنت اعتقد حينذاك أنه ما من حياة أبدع من حياة الكهنوت ..

وعلى هدى هذه الفكرة المتألقة انطلقت 'تعلم القراءة والكتابة' بهمة وعزم ، وأعددت نفسى - بعد مجهود متواصل وتعب شديد - لأن أنخرط فى سلك الأكليروس .. ولما لم يكن لى من وسيط ولا معين ، فقد رأيت أن أقنع بأن 'كون موثقا' لدى مجمع سان موريس ، الذى كان يضم ارفع وأغنى شخصيات العالم المسيحى ، ولم يكن ملك فرنسا الا مجرد عضو فيه .. مما كان يتيح لى الفرصة - أكثر مما فى أى مكان آخر - لأن أجد سيذا يمكننى بمساعدته أن أعين فى وظيفة من وظائف رجال الدين ، وأن اضع فوق رأسى قلنسوة أسقف ، وأحتفى بكرسى رئيس أساقفة فى إحدى الأبرشيات .

ولكن سرعان ما تبين لى اننى كنت فى هذا التفكير ساذجا غريرا ، واننى كنت مغاليا فى طموحى ، ومبالغا فى تقدير قيمة روحى ، اذ رأيت « جيهان دوفيدوميه » - الذى أصبح بعد ذلك كاردينالا - وصل الى ما كنت أصبو اليه ، وعين فى المنصب الذى كنت أطمع فى الحصول عليه ، فى حين فشلت أنا ولم أنل الا الهزيمة والخذلان .. وفى تلك اللحظة التعيسة ، حدث ما خفف من متاعبى على يد الأب الفاضل « هيروم كورنى » ، ذلك الشيخ الطيب القلب - الذى طالما حدثتك عنه - فقد أقنعنى بعطفه ، بأن أكون كاتباً لمجمع سان موريس ورئيسا لأساقفة ( تور ) ، فقبلت هذا العرض بكل سرور ،

اذ كنت قد اشتهرت بأننى ناسخ ماهر . فما أن تم تعيينى فى هذه الوظيفة حتى كان الجمع قد بدأ فى مباشرة الدعوى المشهورة ضد شیطانة شوارع لا رو شود ، التى مازال المسنون من المواطنين يتحدثون عنها ، والتى كانت تروى - اذ ذاك - فى كل منزل فى فرنسا . . . ولما كنت قد اعتقدت أن هذه الدعوى سوف تكون فرصة موانية لتحقيق مطامعى والوصول الى المركز الذى كنت دائب الطموح اليه ، فقد اخبرنى رئيسى الفاضل لكتابة كل ما يتعلق بإجراءات هذه القضية الضخمة

وهكذا بدأت أقوم بمهمتى تحت اشراف الأب « هيروم كورنى » ، الذى كان يناهز الثمانين من عمره ، وكان رجلاً عظيم الحكمة موفور الذكاء ، مشهور الميل الى العدالة فى احكامه . . . فما أن قطع شرطاً فى تحقيق القضية المذكورة ، حتى وضع له ما يختفى وراءها من صفات ، اضمربها الذين اناروها نحو المرأة المتهمه . وقد اختمر هذا الاعتقاد فى ضمير القاضى العادل ، رغم انه لم يكن يتحيز للفتيات الساقطات ، ولم يتصل بامرأة فى كل حياته ، وانما كان قديساً مبجلاً مزداناً بالتقوى والطهارة وكل الصفات الفاضلة التى اهلته بجدارة لمنصبه الجليل . . . الا أنه فى هذه الحالة بالذات ، تبين - بمجرد أن ابلى الشهود بشهاداتهم ، وافضت الفتاة المسكينة باقوالها - أن هذه الفانية الطروب كانت - برغم فرارها من نذرها الدينى وهروبها من ديرها ورهبنتها - بريئة مما اتهمت به من أنها شیطانة أو ان الشيطان يتقمصها . . . وأن كل ما فى الأمر أن لها ثروة عظيمة اطمعت فيها اعداءها ، وأشخاصاً آخرين !

واقدم انطلقت ألف اكدوبة وفرية ملفقة ضد هذه الفتاة - التى كانت موضع الحقد والحسد من كل السيدات الشريفات - فصدقها الناس وآمنوا بها كما يؤمنون بالكتاب



المقدس . . حتى اذا اتضح وتأكد لدى الأب المبجل « هيروم كورنى » ، انه لا شيطان هناك غير شيطان الحب ، أقنع الفتاة بأن تطلع عن حياة اللهو ، وأن تقضى بقية عمرها فى الدير . . واذ تحقق من أن بعض النبلاء الفرسان - الذين أوتوا شجاعة فى الحرب ووفرة فى المال - على استعداد لأن يفعلوا كل شئ لانقاذها ، فقد استدعاها سرا ونصحها بأن ترفع التماسا الى الذين اتهموها ، طالبة تحكيم الله باجتياز امتحان الماء والنار ، وأن تسارع - فى ذات الوقت - الى النزول عن ممتلكاتها للمجمع المقدس ، كى تخرس الألسنة التى قد تعترض على قبول التماسها . وبهذه الطريقة كان من الممكن انقاذها من النار . . ولكن الشيطان الحقيقى أقحم نفسه فى هذا الأمر ، متمثلا فى صورة راهب . فان نقيض الفضيلة والقداسة والحكمة - المجسمة فى الأب هيروم كورنى - وهو ذلك المدعو « جيهان دو لاهاي » ، الذى لم يكذ يعلم بأن الفتاة المسكينة تعامل فى السجن كأنها ملكة ، حتى راح يتهم الأب الفاضل - قاضيا العادل - بمحاباتها والدارة عليها . . بل انه اتهمه بأنه أصبح خادما لها ، وعابدا فى محراب جمالها ، لأنها - كما زعم ذلك الكاهن الأحمق - جعلت الأب الشيخ الفاضل يرتد شابا ، متاجع القلب . . وازاء هذه التهمة الغلاة ، سقط الرجل الطيب مريضا - لفرط الحزن - وفقد قوته كلها فى يوم واحد ، وما لبث أن أشرف سريعا على الموت ، اذ تأكد من أن « جيهان دو لاهاي » قد أقسم على تحطيمه ، وتقديمه قربانا على مذبح مظامه . . فقد كان يطمع الى أن يخلفه فى وظيفته .

والواقع أن سيدنا رئيس الأساقفة زار السجن ، فوجد المرأة المراكشية فى مكان مريح ، متمتعة بالحرية التامة ، ولا قيود فى يديها أو فى قدميها ، اذ انها كانت - بما أوتيت من المال والجمال - قد اشترت رحمة نسجائها . . وقال البعض

— في ذلك الوقت — أن السجّان قد وقع في حبها ، وأنه بدافع من الحب — أو لعله بسبب الرعب الذي ساوره من عشاقها الفريسيان — قد رسم لها خطة الهرب من السجّان !

أما الرجل الفاضل « كورنى » ، فإن إشرافه على الموت — من جراء وشاية الخائن جيهان دو لاهاي — حملت المجمع الى أن يتدبر أمر الغاء الاجراءات التى سبق له أن تولاها ، والقرارات التى سبق أن أصدرها . واذ ذاك تقدم « جيهان دو لاهاي » المذكور — وكان في ذلك الوقت كاهنا بسيطا في الكاتدرائية — فلفت نظر المجلس الى انه يكفى لتدبير هذه الغاية ، الحصول على اعتراف علقى من الرجل الطيب وهو على فراش موته ! وعند ذلك انتهالت صنوف التعذيب والايلام على المريض المسكين — بوساطة رجال المجمع ، وكهنة سسان مسارتان ، ورهبان دير مارموتيه ، ورئيس الأسساقفة ، ومبعوث البسبسا — لكي يحملوه على الارتداد عن ايمانه وأعلان زندقته ، فتشبث الرجل الصالح بالرفض . . الا انهم بعد ألف صورة من صور الشر الذى أنزلوه بذلك الشهيد ، مالبثوا أن أعدوا له اعترافا مزيفاً ، اشترك في تزييفه كل اشرار المدينة وما ان قرىء هذا الاعتراف جهاراً ، الى جانب فراش الرجل ، حتى دب الرعب في كل أنحاء المدينة ، ورفعت كنائس الأيروشييه الصلوات العسامة من أجل هذه النكبة ، وراح كل واحد من الأهالى يتوقع أن يرى الشيطان متسللاً الى منزله عن طريق المدخنة . . . في حين أن الحقيقة كانت تتمثل في أن وطأة الحمى اشتدت على الأب الفاضل « هيروم كورنى » فتراءت له بعض الحيوانات في حجرته ، وراح يهذى ويخلط في كلامه ، لفرط السخونة التى دبت في دمائه فانتهر أولئك الاشرار الفرصة ، وزعموا انه ارتد عن عقيدته وجحد ربه ، وانصرفوا فرحين بهذا الاعتراف الزائف الذى دبروه له ، وحكموا عليه بمقتضاه .

فلما علم منى ذلك القديس المسكين بالخصعة ، بكى بكاء مرا ،  
ومات بين ذراعى ، كسير القلب ، مبلل الوجنتين بالدموع . .  
وكان كل ذلك بسبب هذه المرأة المراكشية ، التى استنارت  
- بضعفها وضراعتها - رحمته ، فوافق على ما طلبته من  
احتكام الى الله ، ومن تقدم لامتحان الماء والنار ، عسى أن ينفذ  
بنلك الروح الالهى الذى كان فى جسدها ، والذى قال عنه  
أنه جوهره صافية جديرة بأن يزدان بها تاج الخالق القدوس ،  
بعد أن تنطلق من هذه الحياة الى الفردوس !

واذ علمت بالاجراءات التى اتخذت فى هذه القضية - بعد  
ذلك - والاجابات الساذجة التى أدات بها تلك التعيسة  
البائسة ، وكل ما وقع من المكائد ووسائل الخديعة والغش  
والتلفيق والتزوير ، قررت أن أتظاهر بالمرض ، وأن أهجر  
خدمة الكنيسة والأسقفية ، كى لا اغمس يدى فى الدم البرىء  
الذى مازال يصرخ ، وسيظل يجأر الى الله حتى يوم الدينونة

\*\*\*

• **واقعد** علمت بعد ذلك أنهم طردوا السجنان ووضعوا  
مكانه الابن الثانى للجلاد ، فبادر هذا بإلقاء المرأة المراكشية فى  
سرداب مظلم ، بعد أن أثقل يديها وقدميها بأغلال زنتها  
خمسون رطلا ، وأحاط خاصرتها بحزام خشبى ، وأقام على  
حراسة سجنها كتيبة كاملة من رماة السهام وجنود رئيس  
الأساقفة .

**فراحوا** يعذبون الفتاة التعيسة ، ويصبون على جسدها  
الرقيق أشد ألوان القسوة والإيلام ، حتى اذا تكسر عظمها  
وتمزق لحمها وخارت قواها وانهارت مقاومتها ، فاهت  
بالاعتراف الذى اراد (( جيهان دولاهى )) انتزاعه منها . واذ  
ذاك ، صدر الحكم عليها - فى الحال - بأن تحرق فى ميدان  
القديس آتيين ، وأن توضع - فى انتظار تنفيذ الحكم - فى ردهة



**الكنيسة ، بعد ألباسها قميصا من الكبريت ، وأن تصادر كل أموالها لصالح خزانة المجمع .**

**ولقد كان هذا الحكم سببا في وقوع اضطرابات خطيرة ،**  
**رنشوب معارك قتال في المدينة . لأن ثلاثة فرسان من شباب**  
**اقليم (آورين) أقسموا أن يموتوا في سبيل الفتاة المسكينة ،**  
**وأن يحرروها بكل وسيلة ممكنة فأتوا الى المدينة ، يصحبهم**  
**آلاف من الفقراء والمعذبين وقدماء المحاربين - وآخرون ممن**  
**سبق أن أسدت اليهم الفتاة المذكورة يد العون - وراحوا**  
**بفتشون في كل منازل المدينة عمن أحسنت الفتاة اليهم . .**  
**واحتشدوا جميعا ، ثم اندفعوا في هياج وثورة نحو سهل**  
**( مونت موريس ) ، حيث انضم اليهم كل حافظي الجميل في**  
**عشرين قرية من القرى المحيطة بالمدينة .**

**واذ اكتمل شملهم وقويت شوكتهم ، اتجهوا نحو سجن**  
**رئيس الأساقفة ، فضربوا الحصار حوله ، وطلبوا تسليم**  
**المرأة المراكشية اليهم ، زاعمين أنهم يبتغون الفتك بها ، وهم**  
**- في الواقع - قد اضمروا اطلاق سراحها ووضعها على ظهر**  
**جواد سريع العدو ينطلق بها الى خارج المدينة ! . .**

**وفي هذه العاصفة الجارفة من الرجال رأينا خلال الحديد**  
**المجدول - الذي ينسدل على نوافذ قصر رئيس الأساقفة**  
**- أكثر من عشرة آلاف رجل محتشدين ، فضلا عن أولئك**  
**الذين كانوا جاثمين على سطوح المنازل أو في أعلى الشرفات،**  
**ليشهدوا خضم الجموع الثائرة .**

**وهناك كان من السهل سماع الصبحات الهائلة التي**  
**انطلقت - في هياج مخيف - من المسيحيين الذين أحاط**  
**بعضهم بالسجن قاصدين اطلاق سراح الفتاة المسكينة**  
**وتهريبها عبر ( اللوار ) ، الى الجانب الآخر من ( سسان**  
**سيمفوريان ) . وكان التجمع وضغط الأجسام شديدا جدا**  
**. . وكان التعطش الى الدماء بالغا أقصى درجاته الوحشية لدى**

بعض المتجمهرين وبلغ من وطأة الزحام والاحتدام - في ذلك اليوم المشهود - أن سقط سبعة أطفال ، وثمانية رجال ، واحد عشر امرأة ، فسحقوا تحت الأرجل ، وكأنهم كانوا قطعاً من الطين . . وبدأت الجموع الزاخرة كشين رهيب ، انبعث زئيره عالياً : « الموت للشيطانة ! . . اطرحوها خارجاً لنمزقها ! » « المجد للرب ، والموت للشيطانة ! » . . وظلوا يرددون هذا الهتاف جميعاً ، في صوت واحد عنيف مخيف يهتز له السمع ، ويرتجف منه القلب .

**وإذ ناك قرر رئيس الأساقفة أن يعمل على تهدئة هذه العاصفة ، التي كانت تهدد بتعطيم كل شيء فيخرج في موكب عظيم من الكنيسة ، متظاهراً بأنه قد اصطحب السجينة ، التي كادت تتسبب في وقوع كارثة هائلة ، إذ أقسم بعض النبلاء الشبان أن يهدموا ويحرقوا كل الكنائس والأديرة ! . .**

وبهذه الخدعة التي دبرها رئيس الأساقفة ، اضطرت الجموع إلى التفرق ، وعاد أغلب الناس إلى منازلهم التماساً لنقوت . . فلما أقبل الليل ، انعقد اجتماع يضم رهبان (تورين) ونبلائها وكثيرين من مواطنينا . . وتحاشوا لما خشي أن يجرى - في اليوم التالي ، من سلب ونهب ، قبلوا نصيحة المجمع بالتزام الهدوء ، والمحافظة على الأمن ، وبذلك أمكن أرجال الأمن الذين احتشدوا وقد بذلوا جهدهم في تهدئة الأهالي ، أن يقوموا بالحراسة في أنحاء المدينة . . وقتلوا في سبيل إقرار الأمن فريقاً من الرعاة ، والشريرين ، وقطاع الطرق - الذين جاءوا إذ علموا بما ساد المدينة من الاضطراب - لبضاعفوا الشغب

« وتقدم السيد هاردوين دو ماويه » - وهو نبيل كبير السن - فاتصل بالفرسان الشبان ، الذين تزعموا حركة الثورة لانقاذ المرأة المراكشية ، فواجههم قائلاً : « أمن أجل امرأة تافهة إلى هذا الحد ، تريدون أن تعرضوا ثورين للنار والدمار ؟ »

وقال لهم أن انتصارهم - إذا قدر لهم أن ينتصروا - لن يؤدي إلا إلى تقوية لشوكة الأشرار الذين جمعوهم وجاءوا بهم ، فليسوف يتحول هؤلاء النهابين - بعد أن ينهبوا قلاع أعدائهم - إلى قلاع زعمائهم ، فيصبح هؤلاء ضحية ما صنعت أيديهم ، وإن الكنيسة - إذا استفحل الخطر - لن تلبث أن تستنجد بالملك ، وحينئذ ستدور الدوائر آخر الأمر عليهم وساق الف حجة أخرى ، ولكن الفرسان أجابوا على هذه الخجج قائلين ، أنه من السهل على المجمع أن يساعد على فرار الفتاة تحت جنح الليل ، وبذلك يزول سبب الاضطراب .. فأجاب الكاردينال « دو سنسورى » - مندوب ابابا - على هذا الاقتراح الانسانى الحكيم ، بأنه ينبغي أن تكون كلمة الكنيسة هي العليا .. وانتهى الأمر إلى أن وقع الغرم على عاتق الفتاة المسكينة ، إذ أقر الجميع بأنه لا سبيل إلى اطعن في التحقيق !

« وبذلك أصبح للكنيسة الترخيص الكامل في أن تتخذ ما تشاء من الاجراءات لتنفيذ العقوبة في الفتاة .. فأقبل الناس من كل فج في دائرة حول ( تورين ) ، قطرها عشرون فرسخاً ، ليشهدوا الاحتفال الكنسى باحراقها .. حتى لقد كان من العسير على أى سبد أو راهب أن يجد مكاناً ينزل فيه ، في الليلة السابقة على اليوم المحدد .. فأقام كثير من الناس خياماً خارج المدينة - ليقضوا الليل فيها ، ومنهم من نام في الحقول ، أو على سفوح التلال .. ومع ذلك فإنه لم يتمكنوا من أن يشهدوا إلا انعكاس لهيب النار من بعيد !

\*\*\*

• « وعندما جىء بالفتاة المسكينة لتحرق ، كانت قد أصبحت شبه ميتة فعلاً ، وقد ابيض شعرها ، ولم تم إلا هيكلًا عظمياً يكسوه جلد رقيق .. وكانت سلاسلها أثقل



من وزنها هي ذاتها .. واذا كانت قد تمتعت بالسعادة في حياتها ، فانها دفعت ثمنها غاليا ، في هذه اللحظة التي يتضاءل أمام هولها كل ما حنت من مباهجها وملذاتها .. ولقد أكد أولئك الذين رأوها تمر في موكب الموت ، انها كانت تبكى وتولول بدرجة تستدر العطف والاشفاق في قلب أقيى أعدائها .. حتى اذا بلغوا بها ساحة الكنيسة ، اضطروا أن يضعوا قطعة من الخشب في فمها حتى تكف عن صياحها وعويلها ، فراحت تعض عليها كنش تولاها السباع وجن جنونه !..

« ثم جاء الجلاد فأوثقها في سارية منصوبة ، الا انها ما فتئت تناضل كي تفك وثاقها ، وظلت تجاهد في سبيل ذلك جهادا عنيفا مرا ، حتى تهالكت آخر الأمر وقد فقدت كل مقاومتها .. ولكنها ما لبثت أن انتصبت فجأة ، وقد استعادت كامل وعيها وقوتها - بصورة خارقة - فتمكنت أخيرا من أن تقطع الحبال التي كانت تقيدها ، وانطلقت هاربة الى داخل الكنيسة ، حيث راحت - بخفة عجيبة وسرعة مذهلة - تتسلق جدران الشرفات العليا ، وتطير كعصفور بين الأعمدة الشاهقة والأقاريز الضيقة ، وكانت على وشك أن تفر من ثغرة في السقف ، لولا أن رآها أحد الجنود فرماها بحريته ! » وبالرغم من أن الحرية أصابت قدمها ومزقتها ، إلا أن المسكينة ظلت تقفز - كالطائر المنعور - بين أروقة الكنيسة ، وهي مهشمة العظم ، والدماء تنزف بغزارة من جرحها ، والأشرار يطاردونها كما تطارد النمل الضسارية فريستها التعيسة !.. واستطاعوا بعد جهد هائل أن يمسكوها ، فصغدوها بالأغلال ، وقيدوها في سارية منصوبة وسط كومة من الحطب .. واستكاثت - في هذه المرة - واستسلمت ، فلم تصدر منها صرخة واحدة .. حتى اذا ألقى بها الجلاد في اللهب ، قفزت قفزتين أو ثلاث قفزات هائلة ، ثم سقطت

فی قاع الکومة المشتعلة التی ظلت تتقد لیلًا ونهارًا .. ولم یعد الناس یرون أمامهم إلا نارا وأوارا !

« وذهبت بنفسی - فی المساء التانی - لأتبین ما اذا کان قد بقى شیء ، من تلك الفتاة اللطيفة التی كانت تسيل رقة وعذوبة .. إلا اننی لم أجد سوى حفنة من الرماد . ومن المستحيل ان أصف لك - یا ولدی - مدى حزنی المریر الذی لا حد له ، ولا نظیر ، والذی ظل أكثر من عشرة أعوام یثقل علی صدری .. ولقد ظللت علی الدوام أفکر فی ذلك الملاك الذی أحرقه أولئك الأشرار .. فما برحت مخيلتی صورة هذه الصبية الفاتنة التی ذابت - كالشمعة - فی لهيب النار ، وعیناها الفاتنتان ، اللتان طالما أشماعتا البهجة والسرور فی القلوب ، تتطلعان ضارعتین ، ولا مجیب ولا منقذ من اللهب !

« ولم أعد أجد ملاذا من آلامی وأوهامی وهمومی ، إلا باللجوء الى الكنيسة التی فاضت عندها روح هذه الشهيدة .. وهناك أجتو وأصلی الى الله ، لیرحمها ویغفر لها ذنوبها ..

« وأخیرا ، لا یسغنی إلا أن أرتجف كلما تمثلت منظر أب الاعتراف الأعظم « جیهان دو لاهای » ، الذی دبر هذه المکیدة الشیطانية .. فقد مات بعد أن أكلته الديدان حیا ! .. اذ کان مريض الجنام هو جزاؤه الحق علی جریمته ، وقد أحرقت النار بیته وأتت علی زوجته .. وما من أحد ممن كانت لهم ید فی حرق الفتاة ، إلا بالجزاء وفاقا !

« أما أنا - یا ولدی العزیز - فقد خرجت من هذه الأحداث کلها ، بألف فكرة وألف عبرة کتبتهای لك هنا ، کی تكون الى الأبد دستورا لاسرتنیة ، تعيش علی مبادئه ، وتتصرف علی مقتضاه ! .. ولقد هجرت بخدمة الكنيسة ، وتزوجت من والدتك - التی تلقیت علی یدیها بركات لا تعد ولا تحصى - وقاسمتها حیاتی ، ومالی وکل حالی ..



هذا هو نص الخطاب الذى وجد - اثناء عملية الحصر، التى اجريت فى قصر البارون فرانسوا ثوريفوش ، مستشار ولى العهد ، الذى حكم عليه بالاعدام - عند ما ثار الامير المذكور ضد الملك - وصودرت املاكه بقرار من برلمان باريس. وقد سلم هذا الخطاب الى حاكم ( تورين ) ، باعتباره تحفة تاريخية ، واذيف الى اوراق الدعوى المحفوظة فى دار الاسقفية بواسطتى ، انا « بير جوايتيه » ، رئيس نقابة التجار

\*\*\*

• واذ انجز المؤلف نسخ هذه الرقاق وحل رموزها وبرمجتها من بعض الغريبة الى اللغة الفريسيه ، أعادها الى الرجل الذى أعدها لها .. ومنها علم ان اسم (الارو شوبدا) - اى الشارع المتهب - اما أطلق على هذا الشارع ، لان الشيطان المذكور كانت تقيم فيه ! ونخرج من هذه القصة كسب باننا ينبغي ألا نرهق جسدنا، بل يجب ان نستعمله بحكمة وعقل .. من اجل خلاص نفوسنا !







# كتابي

يسرهل - بالعدد القادم - عامر السابغ ، مزودا  
بمكتبة ضخمة تضم آلاف المجلدات ، بشتى اللغات ،  
في مختلف أبواب الفكر والمعرفة والادب والفن... الخ  
إن كتابي يقرأ لك كل شهر نحو مائة كتاب ، من  
هذا التراث الإنساني الخالد ، كي يقدم لك منها  
ثمانية أو عشرة ، مخصصة أو في تاختيص ، بألوية لسهل  
المحتج ، فينقل إليك ثقافة العالم على طبق ،  
ويوفر لك وقتك ومالك وجهدك !  
إنه يقرأ لك أعظم كتب العالم ، القديمة والحديثة ،  
ويقربها ، فيستبعد منها كل ما هو صاف ، أو  
ممل ، أو ضار ، أو غير صالح ، ويقدم لك الزبد  
الباقية في أجمل إطار ، وأمتع تاختيص  
فاجعل قراءة كتابي كل شهر عادة لك ،  
ومتعة لذهنك ، وذغراً ثقافياً لولدك ..

ترقب العدد القادم



Bibliotheca Alexandrina



0665871